

التحفة في نشر محاسن البردة

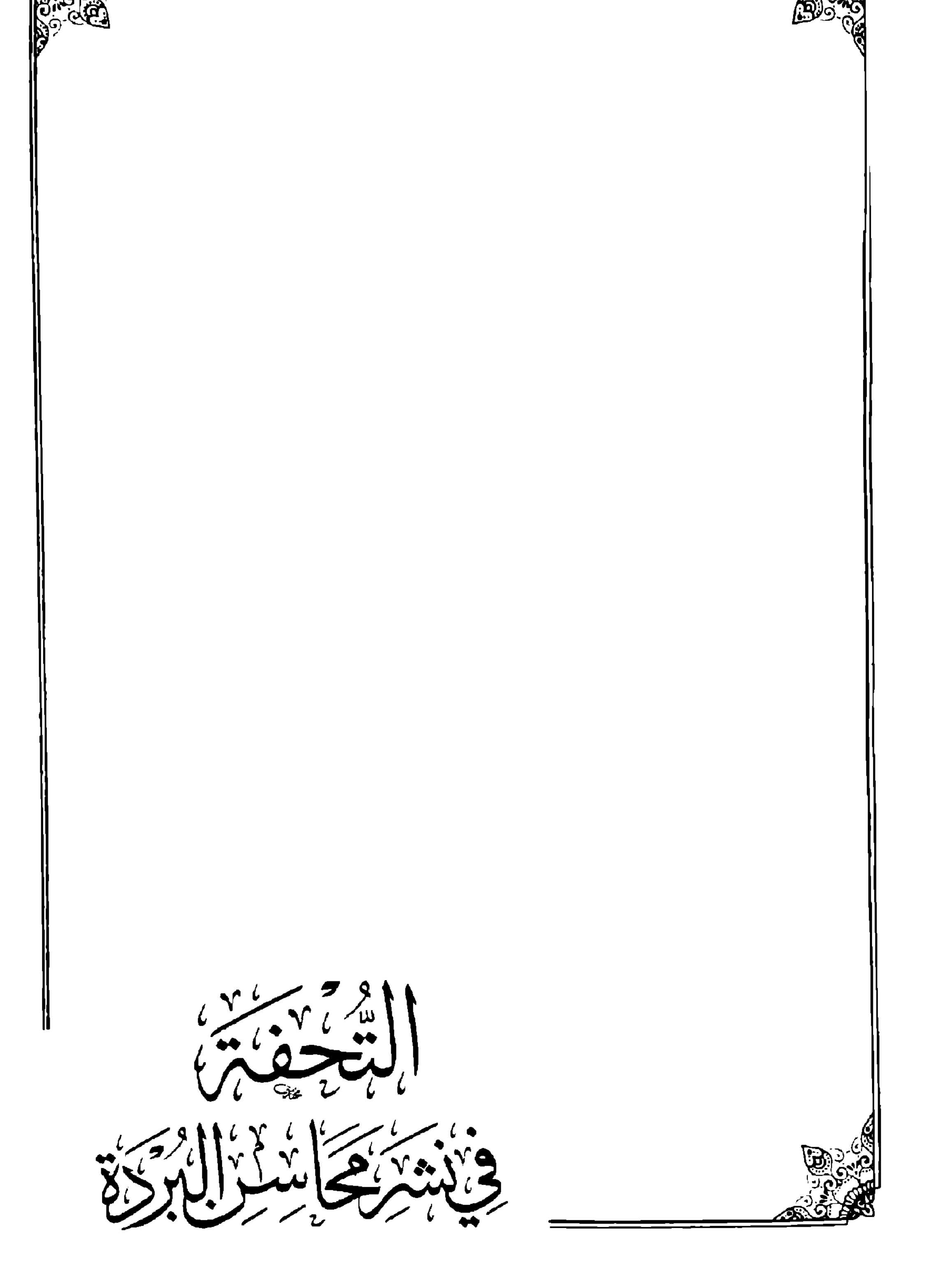
تأليف

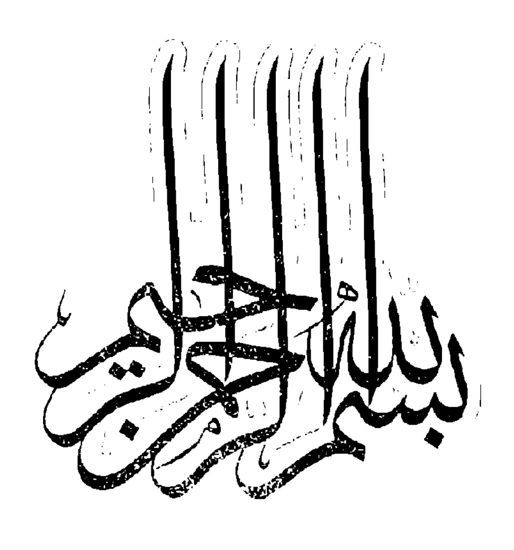
الشَّيخ عُثمانَ بنِ عُمرَ حِدِغْ الشّافِعِيّ الصُّومالِيّ

تقريظ مُفتي الدِّيارِ الهِندِيَّة

الشَّيخ مُحمَّد أختر رِضا خان الأزهريّ الحنفيّ القادِريّ
رحِمهُ اللهُ تعالى




التحفة
في نشر محاسن البردة



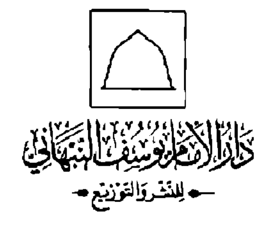


تأليف

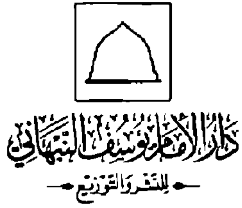
الشَّيخ عُثمان بن عُمر حدِغ الشَّافِعيّ الصُّومالي

تقريظ مُفتي الدِّيار الهنديّة

الشَّيخ مُحمّد أختر رضا خان الأزهريّ الحنفيّ القادِري
رحمه الله تعالى



الطَبعَةُ الأولَى
١٤٤٢ هـ - ٢٠٢١ م



دار الإمام يوسف النبهاني
للنشر والتوزيع
WWW.DAR-ALNABHANI.COM
EMAIL: INFO@DAR-ALNABHANI.COM

اسم الكتاب : التحفة في نشر محاسن البردة

المؤلف : الشيخ عثمان بن عمر جِدِغ الشافعي الصومالي

موضوع الكتاب : السيرة النبوية — مقاس الكتاب : (٢٤ سم)

عدد الأجزاء : (١) — عدد المجلدات : (١)

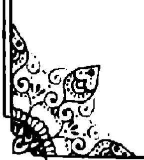
نوع الورق : شاموا فاخر — نوع التجليد : مجلَّد كرتوناج

عدد الصفحات : ٢٠٨ — عدد ألوان الطباعة : لونان

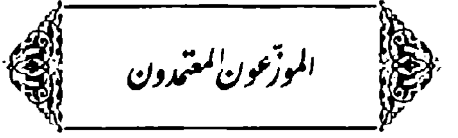
الرقم المعيار الدولي



ISBN-13: 978-1-8384081-3-8
9 781838 408138







الجمهورية اللبنانية
مكتبة دار الإمام يوسف النبهاني - بيروت
جوال : ٩٦١٨١٤٣٩٨٤٧+

المملكة العربية السعودية
المكتبة المكية - مكة المكرمة
هاتف : ٩٦٦١٢٥٥٠٠٨١٢+

الجمهورية العربية السورية
مكتبة دار الدقاق - دمشق
هاتف : ٩٦٣٩٣٦٥٠٩٣٧٠+

جمهورية مصر العربية
دار الإحسان - القاهرة
هاتف : ٢٠١١٢١٠٧٧١٧٤+

المملكة الأردنية الهاشمية
دار الرياحين - عمان
هاتف : ٩٦٢٧٩٠٤٧٤٤٩١+

ماليزيا
دار عمر المختار - كوالا ترنجانو
جوال : ٦٠١١١١١١١٨٩٥+

الجمهورية التركية
مكتبة الإمام الشافعي - كهرمان مرعش
جوال : ٩٠٥٣٤٧٠٣٢٤٧١+

الجمهورية التركية
مكتبة دار المعارج - إستانبول
هاتف : ٩٠٥٣٩٥١٣٣٦٥٣+

باكستان
مكتبة المدينة العربية - كراتشي / لاهور
جوال : ٩٢٣١٠٢٨٦٤٥٦٨+
٩٢٣٢١٩١٩٩٧٨٠+

الهند
مكتبة المدينة العربية - ممبئي
جوال : ٩١٧٤٠٠٢٦٢٦٩٢+

جميع منشوراتنا متوفرة على
جملون
متجر الكتب العربي
www.jamalon.com

المملكة المغربية
مكتبة الأندلس - فاس
هاتف : ٢١٢٦٦٨٤٣٣٩١٩+

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المانح الوهَّاب ، البر التواب ، الَّذي أنار قلوب أحبابه بمحبة حبيبه ، ووفَّقهم لمتابعته وٱقتفاء آثاره .

وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، ذو العظمة والكبرياء ، الَّذي وسعتْ رحمته أهل الأرض والسماء .

وأفضل الصلاة وأزكى السلام علىٰ سيد السادات ، وأفضل الكائنات ، الذي ٱختصه الله بالرتبة العليا ، والشفاعة العظمىٰ ، مَفْزَعِ الأمم في يوم تشيب من شدته الأطفال ، وتتراكم فيه الأهوال ، وعلىٰ آله وأصحابه الغر الميامين ، وأتباعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين .

أما بعد :

فيقول خويدم طلبة العلم ، ذو العجز والتقصير ، **عثمان بن عمر الشافعي** :

هٰذا تأليف قد وضعتُه في بيان محاسن القصيدة المشهورة بـ« البردة » لمصنِّفها الإمام البوصيري رحمه الله تعالىٰ ، سمَّيتُه بـ :

« التحفة في نشر محاسن البردة »

وقد كان سبب التصنيف أني ٱستحسنتُ ما أَوْدَعَ فيها مؤلِّفها من المحاسن المتنوِّعة ، واللطائف المستطرفة ، من أنواع البلاغة ، وأقسام الفصاحة ، ومن رعاية قوانين علمي العروض والقافية ؛ فهي في المعاني والمباني في الذروة

العالية ، والرتبة السامية ، وفي المدائح النبوية في أعلى القِمَّة وأتقنِ الصناعة الشعرية .

وقد كان دأب العلماء الصالحين الذين أدركناهم الاعتناء بقراءتِها للتبرُّكِ بها في المساجد والبيوت والمحافل ، وعند الشدائد والآفات ؛ كالقحط والأمراض وغير ذٰلك ، وكان أهل المحبة النبوية يترنمون بها في خلواتهم ويستلذون بذٰلك ويتنعمون به ، وأجاد من قال :

تَـرَنَّـمْ بـذكـرِ الـنـبِـي وغَـرِّدْ بـه ثـمَّ صِـح

هٰذا ؛ وقد ظهرتْ فئةٌ تطعن في هٰذه القصيدة المباركة وتمنع قراءتَها ، وتبغض مؤلِّفها ، وتبذل قصارىٰ جهدها في تسويد وجه محاسنها ، وتشويه رَوْنقها ، وتستخدم ما لديها من الحيل والوسائل والافتراءات لتطفئ نورها بأفواهها ، لكنها بحمد الله ما ٱزدادت بمكرهم إلا ٱنتشاراً .

وإذا أرادَ اللهُ نشْـرَ فضيلـةٍ طويـتْ أتـاح لهـا لسـان حسـود
لـو لا ٱشـتغالُ النَّـارِ فيمـا جـاوَرَتْ مـا كان يعـرف طِيـب نشْـرِ العُـود

فأحببتُ أنْ أتطفلَ بما لستُ له أهلاً من نشر بعض محاسنها ، وذكر نزرٍ من منافعها ، وطرفٍ يسير من فضائلها ، وقصدي من ذلك إقناع معارضها إن كان منصِفاً ، أو إرغامه و إفحامه إذا كان معانداً متعسفاً ، وليرتوي أهل المحبة من ماء زلالها ويشرب عشاق الحضرة المحمدية من لذيذ ألبانِها ، راجياً أن أنتظم في سلك خدامها وناشري عبير مسكها .

وقد كفَّرتْ تلك الطائفة المصنِّفَ ظلماً وعدواناً بسبب أبيات في هٰذه القصيدة المباركة ، فعَنَّ لي أن أذكر في أواخر هذا التأليف طرفاً يسيراً من

التحذير من تكفير المسلمين ، ونبذةً قليلة من أحوال الخوارج التي هي أول فرقة كفَّرت المسلمين ، وذٰلك للتنبيه علىٰ خطر التكفير المنتشر في هٰذا العصر في كثير من بلاد الإسلام ، وعلىٰ ما يترتب عليه من المفاسد الدينية والدنيوية ، والعقوبات الأخروية .

وأسألُ اللهَ سبحانه وتعالىٰ أن يتقبله مني بفضله وجوده وكرمه ، وأن يجعلَه لي وسيلةً إلى الاتصال والتعلُّق بجناب حبيبه الأعظم ، وصفيه الأكرم ، والقرب إلىٰ ساحته الفيحاء ، وحضرته العلياء ، وما توفيقي إلا بالله ، وبيده المعونة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم[1] .



---

(١) بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، مدبر الخلائق أجمعين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، والصلاة والسلام علىٰ أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين ، وبعد :

فهٰذه تقريرات لطيفة علىٰ كتابي « التحفة في نشر محاسن البردة » ، وضعتُها لتفسير بعض كلماته ، وذكر بعض الفوائد المهمة التي لا يستغنىٰ عنها القارئ ، وعلىٰ الله اعتمادي ، وإليه تفويضي واستنادي ، ولا حول ولا قوة إلا الله العزيز الحكيم .

ترجمة
الإمام أبي عبد الله محمد بن سعيد البوصيري رحمه الله [1]

قال ابن حجر الهيتمي في مقدمة « المنح المكية شرح الهمزية البوصيرية » :

(هو الشيخ الإمام العارف الكامل الهمام ، المتفنن المحقق ، البليغ الأديب المدقق ، إمام الشعراء وأشعر العلماء ، وبليغ الفصحاء وأفصح البلغاء ، الشيخ شرف الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد بن حماد بن محسن بن عبد الله بن صنهاج بن هلال الصنهاجي .

ولد سنة ثمان وستمائة .

وأخذ عنه : الإمام أبوحيان ، والإمام اليعمري أبو الفتح بن سيد الناس ، ومحقِّق عصره العز ابن جماعة ، وغيرهم .

وتوفي الإمام البوصيري رحمه الله سنة ست أو سبع وتسعين وستمائة علىٰ ما قاله المقريزي ، لكن صوب شيخ الإسلام العسقلاني أنه سنة أربع وتسعين .

كان أحد أبويه من بوصير الصعيد ، والآخر من دلاص ، فركبت النسبة منهما فقيل : (الدلاصيري) ، ثم اشتهر بـ(البوصيري) ، قيل : ولعلها بلد أبيه فغلبت عليه .

وقد صحب البوصيري القطبَ أبا العباس المرسي رضي الله عنه وأرضاه ، وجعل جنات المعارف منقلبه ومثواه ، فعادتْ عليه بركته ، وساعده لحظه

---

(١) تُرْجِم للبوصيري في : « حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة » (١/ ٥٧٠) ، و« شذرات » (٧/ ٧٥٣ ـ ٧٥٤) ، و« فوات الوفيات » لابن شاكر الكتبي (٣/ ٣٦٢ ـ ٣٦٩) ، و« الوافي للوفيات » (٣/ ٨٨ ـ ٩٣) .

وهمته إلىٰ أن فاق أهل زمانه ، ورزقه الله من الشهرة والحظ ما لم يصل إليه أحد من أقرانه ، فرحمه الله تعالىٰ ورضي عنه)[1] اهـ .

وقال الهيتمي أيضاً في « المنح المكية » في شرح بيت :

كل وصفٍ له ٱبتدأتَ به ٱستَوْ عَبَ أخبارَ الفضلِ منه ٱبتداءُ

(كان الإمام البوصيري ثاقب النظر ، كامل المعرفة ، متضلعاً من العلوم والمعارف ، وليس ذلك بكثير علىٰ من حلّ عليه نظر القطب الكبير ، والعلم الشهير ، سيدي أبي العباس المُرْسِي ، وارث أبي الحسن الشاذلي ، قدس الله تعالىٰ سرهما ، ونوَّر ضريحهما)[2] اهـ .

وأبو العباس المرسي هو العارف الشهير والقطب الكبير الذي قال فيه شيخه الإمام أبو الحسن الشاذلي : (ليأتيه البدوي يبول علىٰ ساقيه . . فلا يمسي عليه المساء إلا وقد وصل)[3] .

وكان لأبي العباس المرسي ٱتصال عظيم بسيد الوجود صلى الله عليه وسلم ، وكان كثير الرؤية والتلقي به حتىٰ قال : (لو ٱحتجب عني رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفة عين . . ما عددت نفسي مسلماً)[4] .

وقال أيضاً تحدُّثاً بنعمة ربه عليه : (أوقاتنا كلها ليلة قدر !!)[5] .

---

(١) « المنح المكية » (ص٦٩ ـ ٧٠) .

(٢) « المنح المكية » (ص٢٧١) .

(٣) « لطائف المنن » (ص٩١) .

(٤) « لواقح الأنوار القدسية » (ص١٦) .

(٥) « الطبقات الكبرىٰ » (ص٣١٨) .

وقال الشيخ ابن علان الصديقي في مقدمة كتابه « الذخر والعدة في شرح البردة » : (أما بعد : فهٰذا تعليق لطيف وترصيف قريب منيف على القصيدة المُنْبِئَةِ عن كمال المودة ، المسماة بـ« البردة » للعارف بالله العالم العامل المخبت الأواه ، شرف الدين أبي عبد الله محمد بن سعيد البوصيري أثابه الله)[1] اهـ .

وقال الشيخ الباجوري في « شرحه على البردة » : (ومن أجلِّ الشعراء : الإمام الكامل والهمام العالم العامل البليغ الأديب أشعر العلماء وأفصح الحكماء الشيخ شرف الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد البوصيري)[2] اهـ .

وفي « الأعلام » للزركلي : (محمد بن سعيد بن حماد الصنهاجي البوصيري المصري ، شرف الدين أبو عبد الله ، شاعر حسن الديباجة ، من أشهر شعره « البردة » ومطلعها :

أَمِــن تذكُّــرِ جِيــرانٍ بــذِي ســلَمِ

شرحها وعارضها كثيرون ، و« الهمزية » ، ومطلعها :

كيــف تَرقــىٰ رُقِيَّــك الأنبيــاءُ)[3]

وقال الشيخ بسام محمد بارود في حاشيته علىٰ « العمدة شرح البردة » : (البوصيري إمام الشعراء ، وشاعر الأئمة العلماء ، بل هو الفرقد الوضاء الذي أنار الطريق إلى المدائح النبوية ، شرف الدين ، أبو عبد الله محمد بن سعيد بن

(١) « الذخر والعدة » (ص١٠٥ـ١٠٦) .

(٢) « الباجوري على البردة » (ص٦) .

(٣) « الأعلام » (٦/١٣٩) .

حماد بن محسن بن عبد الله بن صنهاج بن هلال الصنهاجي البوصيري .

ولد الإمام البوصيري رضي الله عنه بقرية دلاص ـ إحدىٰ قرىٰ بني سويف ـ من صعيد مصر يوم الثلاثاء أول شوال (٦٠٨هـ) ، التي كان منها أحد أبويه ، والآخر من بوصير ـ بضم الباء ـ ، وكلتاهما بمديرية بني سويف وتعرف ببوصير لأسرة ترجع جذورها إلىٰ قبيلة صنهاجة إحدىٰ قبائل البربر ، التي ٱستوطنت صحراء جنوبي المغرب الأقصىٰ ، ونشأ بقرية بوصير القريبة من مسقط رأسه .

ثم ٱنتقل الإمام رضي الله عنه بعد ذلك إلى القاهرة حيث تلقىٰ علوم العربية والأدب منذ نعومة أظفاره ، فحفظ القرآن في طفولته ، وتتلمذ علىٰ عدد من أعلام عصره ، كما تتلمذ عليه نخبة طيبة وعدد كبير من العلماء المعروفين ، منهم : أبوحيان أثير الدين محمد ٱبن يوسف الغَرْناطي الأندلسي ، وأبو الفتح محمد بن محمد اليعمري الأندلسي الإشبيلي المصري ـ المعروف بـ(ٱبن سيد الناس)ـ ، والعز بن جماعة ، وغيرهم رحمهم الله تعالىٰ .

وكان رضي الله عنه يحمل قلباً لا يضطرب ، وعقلاً مستنيراً ، ولساناً صيرفياً .

وقصائده في حب النبي صلى الله عليه وسلم تزكي عظيم ما كان يتمتع به من وجدان الشاعر المخلص مع صفاء السريرة .

نظم الإمام البوصيري الشعر منذ حداثة سنه ، وله قصائد كثيرة ، ويمتاز شعره بالرصانة والجزالة ، وجمال التعبير ، والحس المرهف ، وقوة العاطفة ، وأكثر ما ٱشتهر بمدائحه النبوية ٱستعمالُ البديع فيها ، كما برع في ٱستخدام البيان ، ولكن غلبت عليه المحسنات البديعية في غير تكلف ؛ وهو ما أكسب شعره ومدائحه قوة ورصانة وشاعرية متميزة لم تتوفر لكثير ممن خاضوا غمار

المدائح النبوية والشعر الصوفي .

ثم أكرم الله إمامنا أن يجتمعَ بقطب العارفين وقدوة السالكين ، القطب الغوث ، سيدي الشيخ أبي العباس المرسي رضي الله تعالىٰ عنه وأرضاه وعنَّا به ، وهو الذي تلقىٰ علوم الأستاذ الجليل القطب الواصل سيدي أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه ، فٱنتفع الإمام البوصيري بصحبته كثيراً ، ثم تنسك وتصوف ، وأخذ عنه كثير من الرجال ، وتربوا علىٰ يديه الكريمتين .

وٱشتهر الإمام البوصيري رضي الله عنه بأنه كان يجيد الخط ، وقد أخذ أصول هٰذا الفن وتعلم قواعده علىٰ يد إبراهيم بن أبي عبد الله المصري ، وقد تلقىٰ عنه هٰذا العلم عدد كبير من الدارسين ، بلغوا أكثر من ألف طالب .

وقد تقلب الإمام البوصيري في العديد من المناصب في القاهرة والأقاليم ؛ فعمل في شبابه في صناعة الكتابة ، كما تولىٰ إدارة مديرية الشرقية مدة .

وله رضي الله عنه من القصائد العصماء ما لا يشبهها إلا القليل في مديح سيد الوجود صلىٰ الله عليه وآله وسلم ومن أشهرها بعد « بردة المديح المباركة » ـ موضوع هٰذا الكتاب ـ قصيدة « **الهمزية في مدح خير البرية** » ومطلعها :

كيف تَرقىٰ رُقِيَّك الأنبياءُ ... يا سماءً ما طاوَلَتْها سماءُ
لم يُساوُوك في عُلاك وقد حَا ... لَ سَناً منك دونَهم وسناءُ

وله قصيدة أخرىٰ علىٰ وزن « **بانت سعاد** » ومطلعها :

إلىٰ متىٰ أنتَ باللذَّاتِ مشغولُ ... وأنتَ عن كلِّ ما قدمتَ مسؤولُ

عُنِي الإمام البوصيري رضي الله عنه بقراءة السيرة النبوية ، ومعرفة دقائق

أخبار سيدنا النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم وجوامع سيرته العطرة، وأفرغ طاقته وأوقف شِعره وفنه علىٰ مدح النبي صلى الله عليه وسلم .

ترك الإمام البوصيري عدداً كبيراً من القصائد والأشعار ضمها ديوانه الشعري الذي حقَّقه محمد سيد كيلاني، وطبع بالقاهرة سنة (١٣٧٤هـ / ١٩٥٥م)، منها : قصيدته « البردة » الشهيرة بـ« الكواكب الدرية في مدح خير البرية »، و« القصيدة المضرية في مدح خير البرية »، و« القصيدة الخمرية »، و« قصيدة ذخر المعاد »، و« لامية في الرد على اليهود والنصارىٰ »، نشرها الشيخ أحمد فهمي محمد بالقاهرة سنة (١٣٧٢هـ / ١٩٥٣م) وله أيضاً تَهذيب الألفاظ العامية، وقد طبع كذلك بالقاهرة .

وكان من ثمار مدائحه النبوية « بائياته » الثلاث، التي بدأ إحداها بلمحات تفيض عذوبة ورقة أستهلها :

وَافَاكَ بالذنبِ العظيمِ المذنبُ   خَجِلاً يعنِّفُ نفسَه ويؤنِّبُ

ويستهل الثانية بقوله :

بمدحِ المصطفىٰ تَحيا القلوبُ   وتُغتَفَرُ الخطايا والذنوبُ

أما الثالثة ـ وهي أجودها جميعاً ـ ؛ فيبدؤها بقوله :

أزمَعوا البيْنَ وشدُّوا الرِّكابا   فاْطلب الصبرَ وخلِّ العتابا

وله أيضاً عدد آخر من المدائح النبوية الجيدة، من أروعها قصيدته « الحائية »، التي يقول فيها مناجياً ربه عز وجل :

يا من خزائنُ ملكِه مملوءة   كرماً وبابُ عطائه مفتوحُ

ندعُـوكَ عـن فقـر إليـك وحاجـة ومجـال فضلِـك للعبـادِ فسـيحُ
فٱصفـحْ عن العبـدِ المسـيء تكرماً إنَّ الكريـمَ عـن المسـيء صفـوحُ

ومنها قصيدته « الدالية » التي يبدؤها بقوله :

إلٰهـي علـىٰ كلِّ الأمـورِ لـك الحمـد
فليـس لمـا أوليـت مـن نعـم حـدُّ
لـك الأمـر مـن قبـل الزمـان وبعـده
ومـا لـك قبـل كالزمـان ولا بعـدُ
وحكمـك مـاض فـي الخلائـق نافـذ
إذا شئت أمـراً ليـس مـن كونـه بُـدٌّ[1]

ومن العجيب العجاب أنَّ شعره في أغلبه لا يمتاز بجودة ولا بلاغة ولا بروعة كبيرة ، ولكن مدائحه النبوية وحدها هي التي نالتْ من البيان والبلاغة أعلىٰ نصيب ! وٱستحوذت علىٰ قصب السبق في كل رهان !

فتراه في هٰذه القصيدة العصماء ـ أعني : « البردة » ـ قد ٱستولت عليه النشوة وموهبة البيان من كل جانب ، فأنطقته بهٰذه الحكمة الرائعة ، وجعلت قوله رصيناً جزلاً ، ولا بدع ، فتناوله للمدائح النبوية هو الذي أهَّله لهٰذه البلاغة ، ولذلك السمو في المعاني ، ولتلك الروعة والسحر من القول ، وكان ذلك بمثابة العون والرعاية والمكافأة وشد الأزر من حضرة سيدنا الحبيب صلى الله عليه وسلم له علىٰ حسن نيته وصدق عقيدته ، وعمق إيمانه ، وذلك شبيه بسيدنا

(١) ومن تآليفه : « الكلمة الطيبة والديمة الصيبة » ، كما في تعليق محمد سالم هاشم علىٰ « الذخر والعدة في شرح البردة » لابن علان الصديقي .

حسان بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه شاعر رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم، إذ كان شعره في الدفاع عن رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم وعن المسلمين هو أجود ما نَظَمَ وأبلغ ما قال، حتىٰ كان رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم يقول له: «اْهج المشركين.. فإن روح القدس معك»[1].

وتوفي الإمام رضي الله عنه سنة (٦٩٦هـ) عن عمر بلغ ٧٨ عاماً، ودفن قريباً من ضريح شيخه سيدي أبي العباس المرسي رضي الله عنه بالاسكندرية.

وكتب علىٰ قبره الأبيات التالية:

محمدُ بنُ سعيدٍ حاز منزلةً	في صادقِ الشعرِ أعيت كل نحرير
والناسجون علىٰ منوالِ «بردته»	باؤوا بعجزٍ وأبدوا كل تقصير
أبياتُها كالرقىٰ أضحت مكررة	فيشتفي كل منفوس ومصدور
تتلىٰ بكلِّ بقاع الأرض ينشدها	فم الزمان بإجلال وتوقير
وفي سماءِ الهدىٰ «الهمزية» اْشتهرتْ	كأنَّها رقمت في اللوحِ بالنور
ميلادُه بدلاص ثم غادرَها	باليمن والأمن تنفيذاً لمقدور
وقد ترعرَعَ في بوصير بلدته	ومنهما جاءَ تركيب الدلاصيري
تحية الله لا تنفك هامية	عليه حتىٰ يحينَ النفخ في الصور
هواتفُ الحق نادتْه مؤرخه	وحي القبول علىٰ لحدِ الأباصيري[2]

رضي الله عن الإمام البوصيري، وروح روحه، وأفسح ضريحه، وقدس

---

(١) أخرجه النسائي في «الكبرىٰ» (٧/ ٣٦٦) عن سيدنا البراء بن عازب رضي الله عنه.

(٢) قوله (وحي القبول... إلخ): تكون بحساب الجمل ستمائة وتسعين، وقد ذكرنا اْختلافاً في ذلك، فقيل: سنة ست أو سبع وتسعين وستمائة، وقيل: سنة أربع وتسعين، وقيل: خمساً وتسعين؛ فهٰذه خمسة أقوال.

سره ، وأنار رمسه ، وأدخله الجنة في عليين مع الأنبياء والشهداء والصالحين ، وجمعنا به مع سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم تحت ظل عرش الله يوم لا ظل إلا ظله ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين) ، ٱنتهىٰ ما نقلتُه من « حاشية الشيخ بسام محمد بارود على البردة »[1] بٱختصار وتقديم وتأخير .

(١) حاشية الشيخ بسام محمد بارود على « العمدة شرح البردة » (ص٦٤ ـ ٧٠) .

أسماء هذه القصيدة

ـ « **البردة** » : وهي أشهر أسمائها ، قال الباجوري : (وإنما ٱشتهرتْ بذٰلك لأنه لما نظمها بقصد البرء من داء الفالج الذي أصابه ، فأبطل نصفه . . حتىٰ أعجز الأطباء رأى النبي صلى الله عليه وسلم في منامِه ، فمسح بيده الكريمة عليه ولفه في بردته ، فبرأ لوقته كما ذكره الناظم في تعليقه)[1] اهـ .

ـ « **البرأة** » : نقل الباجوري أن الأولىٰ أن يقال لهذه القصيدة « برأة » لأن المؤلف برأ بها ، والتي حقها أن يقال لها بردة « بانت سعاد » التي هي قصيدة كعب بن زهير ؛ لأنَّ النبي صلى الله عليه وسلم أجازه عليها بردة حين أنشدها بين يديه صلى الله عليه وسلم[2] .

ـ « **الكواكب الدرية في مدح خير البرية** » .

ـ « **الكواكب البدرية في مناقب أشرف البرية** » : سماها بذلك الشيخ جلال ابن قوام بن الحكم كما في « كشف الظنون »[3] .

وكثرة الأسماء تدل علىٰ شرف المسمىٰ كما هو مشهور .



---

(١) « الباجوري على البردة » (ص٦) .

(٢) « الباجوري على البردة » (ص٦) .

(٣) ٱنظر : « كشف الظنون » (٢/ ٢٩٩) .

عدد أبيات قصيدة البردة

ٱعلم أنّ عدد أبياتِها علىٰ ما ٱتفقت عليه معظم النسخ الصحيحة مائة وستون بيتاً ، أولها :

أمِـنْ تَذَكُّـرِ جِيْـرَانٍ بِـذِيْ سَـلَمِ   مَزَجْـتَ دَمْعـاً جَرَىٰ مِـنْ مُقْلَـةٍ بِـدَمِ

وآخرها :

مَـا رَنَّحتْ عَذَبَـاتِ البَانِ رِيْـحُ صَبَا   وَأطْرَبَ العِيْسَ حَادِي العِيْـسِ بِالنَّغَمِ

هذا هو المعروف المشهور ، ومما يشهد علىٰ ذلك قول بعضهم :

أَبْيَاتُهَـا قَـدْ أَتَـتْ سِـتِّيْنَ مَـعْ مِائَـةٍ   فَـرِّجْ بهـا كَرْبَنَـا يـا وَاسِـعَ الكَـرَمِ

لكن بعضهم زادوا فيها أبياتاً ، فمن ذلك بيت زادوه في أولها ، كما قاله العلامة البيجوري في « حاشيته على البردة » وهو :

الحَمْـدُ للهِ مُنْشِـي الخَلْـقِ مِـنْ عَدَمِ   ثُـمَّ الصَّلَاةُ علـى المُخْتَـارِ فِـي القِدَمِ

وقال : (وهو ليس من القصيدة)[1] .

وقال الباجوري أيضاً : (وفي بعض النسخ زيادة هٰذا البيت :

حَتَّىٰ إذا طَلَعَت في الأُفقِ عَمَّ هُدَا   هَـا العَالَمِينَ وأَحْيَتْ سَـائِرَ الأُمَمِ)[2]

بعد قوله :

---

(١) « الباجوري على البردة » (ص٣٧) .

(٢) « الباجوري على البردة » (ص٩٦) .

فَإِنَّـهُ شَـمْسُ فَضْـلٍ هُـمْ كَوَاكِبُهَـا ... يُظْهِـرْنَ أَنْوَارَهَـا لِلنَّـاسِ فـي الظُّلَـمِ

وسيأتي أن حاجي خليفة جعلها : مائة واثنين وستين بيتاً .

وفي « البلسم المريح من شفاء القلب الجريح » زيادة تسعة أبيات بعد قول المصنف :

بِعَـارِضٍ جَـادَ أَوْ خِلْتَ البِطَـاحَ بِها ... سَـيْبٌ مِـنَ اليَـمِّ أَوْ سَـيْلٌ مِـنَ العَـرِمِ

وهي :

لَمَّـا شَـكَتْ وَقْعَـهُ البَطْحَـاءُ قَـالَ لَهُ ... عَلَى الرُّبَىٰ والهِضَابِ ٱنْهَلَّ وٱنْسَجِمِ

فَـأَدَّتِ الأَرْضُ مِـن رِزْقٍ أَمَانَتِهـا ... بِـإِذْنِ خَالِقِهَـا لِلنَّـاسِ والنَّعَـمِ

وأُلْبِسَـتْ حُلَـلاً مِنْ سُنْدُسٍ وَلَوَتْ ... عَمَائِمـاً بِـرُؤُوسِ الهَضْـبِ والأَكَـمِ

فالنخـلُ بِاسِـقَةٌ تَجْلُـو قَلائِدَهـا ... مِثْـلَ البَهَـارِ علـى الخَدَّيْـنِ والعَنَـمِ

وفَـارَقَ النَّاسَ داءُ القَحْـطِ وٱنبَعَثَتْ ... إلـى المَكَارِمِ نَفْسُ النَّكْسِ والبَرَمِ

إذا تَتَبَّعْـتَ آيَـاتِ النَّبِـيِّ فقـد ... أَلْحَقْـتَ مُنْفَخِمـاً منهـا بِمُنْفَخِـمِ

قُـلْ لِلمُحَـاوِلِ شَـأْواً فـي مَدَائِحِـه ... هِـيَ المَوَاهِـبُ لـم أَشْـدُدْ بهـا زِيَـمِ

ولا تَقُـلْ لـي بِمَـا ذا نِلْـتَ جِيِّدَهَـا ... فمـا يُقَـالُ لِفَضْـلِ الله ذا بِكَـمِ

ولَـوْلَا العِنَايَـةُ كان الأَمْرُ فيـه علىٰ ... حَـدِّ السَّـوَاءِ فـذُو نُطْـقٍ كَـذِي بُكُمِ[1]

قال مؤلِّف هٰذا الشرح : (إنَّ هٰذه الأبيات تقَعُ في بعض نسخِ النظم وليست بثابتة ، وذكر بعض الثقات أن الذي زادها هو الفاضل أبو علي بن الحباب الأندلسي الغرناطي)[2] اهـ .

---

(١) « البلسم المريح » (ص١١٦ ـ ١٢٠) .

(٢) « البلسم المريح » (ص١١٦) .

واعلمْ أنَّ صاحب « البلسم المريح » جعل عدد أبيات هٰذه القصيدة مائة وواحداً وسبعين بيتاً ، هٰذه التسعة وبيتاً زاده بعد قوله : (لولا الهوىٰ لم ترق دمعاً علىٰ طلل . . . إلخ) ، وهو :

ولا أَعَارَتْـكَ لونَـيْ عَبْـرَةٍ وضَنـىً   ذِكْرَى الخِيَامِ وذِكْرَىٰ سَاكِنِي الخِيَمِ[1]

وزاد أيضاً بعد قوله : (والكاتبين بسمر الخط ما تركت . . . إلخ) بيتاً ، وهو :

إنْ قَامَ فـي جَامِعِ الهَيْجَـاءِ خَاطِبُهم   تَصَامَمَـتْ عنـه أُذْنـاً صِمَّـةُ الصَّمَمِ[2]

وقال العلامة محمد بن علي بن علَّان في « الذخر والعدَّة في شرح البردة » : (وأدخل بعضهم بعد قوله : وأذنْ لسُحبِ صلاةٍ منك دائمةٍ . . . إلخ ، بيتاً حسناً لا بأس به وهو :

وآلِهِ العِزِّ والصَّحْبِ الَّذِينَ عَلَوْا   أَهْلِ الصَّفَا والوَفَا والجُودِ والكَرَمِ)[3]

وزاد بعضُهم بعد قوله : (وأذنْ لسُحبِ صلاةٍ . . . إلخ) هٰذين البيتين :

وَالآلِ وَالصَّحْـبِ ثُـمَّ التَّابِعِيْـنَ فَهُمْ   أَهْـلُ التُّقَـىٰ وَالنَّقَـا وَالحِلْـمِ وَالكَـرَمِ
ثُـمَّ الرِّضَـا عَنْ أَبِـيْ بَكْرٍ وَعَـنْ عُمَرٍ   وَعَـنْ عَلِـيٍّ وَعَـنْ عُثْمَـانَ ذِيْ الكَـرَمِ

وكثيراً ما يزيد قرّاؤها آخر كل فصل من فصولها هٰذا البيت :

مَـولايَ صَـلِّ وَسَـلِّمْ دَائِمـاً أَبَـداً   عَلَـىٰ حَبِيْـبِكَ خَيْـرِ الخَلْـقِ كُلِّهِـمِ

وبعضهم يزيد بعد هٰذا البيت :

---

(١) « البلسم المريح » (ص٤٤) ، وقد ذكر الباجوري أيضاً هٰذا البيت هنا في « حاشيته على البردة » (ص ٤٥) .

(٢) « البلسم المريح » (ص١٤٩) .

(٣) « الذخر والعدة » (ص٣٠٧) .

يَـا رَبِّ بِالْمُصْطَفَـىٰ بَلِّـغْ مَقَاصِدَنَـا وَٱغْفِـرْ لَنَـا مَـا مَضَىٰ يَـا وَاسِـعَ الكَرَمِ

وهي زيادة حسنة مناسبة لأواخر الفصول .

وزاد بعض الصالحين هٰذه الأبيات بعد قوله : (ما رنَّحتْ عذباتُ البان . . . إلخ) :

يَـا رَبِّ بِالْمُصْطَفَـىٰ بَلِّـغْ مَقَاصِدَنَـا وَٱغْفِـرْ لَنَـا مَـا مَضَىٰ يَـا وَاسِـعَ الكَرَمِ
وَٱغْفِـرْ إِلَٰهِـي لِـكُلِّ الْمُسْـلِمِيْنَ بِمَـا يَتْلُونَ فِي الْمَسْجِدِ الأَقْصَىٰ وفي الحَرَمِ
بِجَـاهِ مَـنْ بَيْتُـهُ فـي طَيْبَـةٍ حَـرَمٌ وَاِسْـمُهُ قَسَـمٌ مِـنْ أَعْظَـمِ القَسَـمِ
وَهٰـذه « بُـرْدَةُ » الْمُخْتَارِ قَـدْ خُتِمَتْ وَالحَمْـدُ للهِ فـي بَـدْء وفـي خَتَـمِ
أَبْيَاتُهَـا قَـدْ أَتَـتْ سِـتِّيْنَ مَـعْ مَائَـةٍ فَـرِّجْ بِهـا كَرْبَنَـا يَـا وَاسِـعَ الكَـرَمِ

وسمِعنا بعضَهم يزيد بعد هٰذه الأبيات :

يَـا رَبِّ فـي مُصْطَفَاكَ عَافِ ذَا سَـقَمٍ مِـن كُلِّ مـا فيـه مِـن دَاءٍ ومِـن أَلَـمِ
يَـا رَبِّ بِالْمُصْطَفَـىٰ سَـلِّمْ مُسَـافِرَنَا وَٱجْمَـعْ سَـلَامَتَنَا يَـا وَاسِـعَ الكَـرَمِ
يَـا رَبِّ بِالْمُصْطَفَـىٰ أَسْـقِ أَرَاضِينَـا غَيْثـاً مُغِيثـاً هَنِيئـاً وَأَبِـلَ الدِّيَـمِ
وَٱغْفِـرْ لِسَـامِعِها وَٱرْحَمْ لِمُنْشِـدِهَا سَـأَلْتُكَ الخَيْـرَ يَـا ذَا الجُـودِ والكَـرَمِ

في « كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون » الذي أَلَّفه العلامة المولىٰ مصطفىٰ بن عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي المعروف بـ(حاجي خليفة) المولود سنة (١٠١٧هـ) المتوفىٰ سنة (١٠٦٧هـ) ما حاصله :

(« قصيدة البردة » الموسومة بـ« الكواكب الدرية في مدح خير البرية » المشتهرة بـ« البردة الميمية » للشيخ شرف الدين أبي عبد الله محمد بن سعيد الدلاصي ثم البوصيري المتوفىٰ سنة (٦٩٤هـ) أربع وتسعين وستمائة ، لما أراد براعة المطلع جَرَّدَ من نفسه شخصاً مزج دمعه بدمه فسأله عن علة ذلك فقال مخاطباً له :

أَمِـنْ تَذَكُّـرِ جِيْـرَانٍ بِـذِيْ سَـلَمِ   مَزَجْـتَ دَمْعـاً جَـرَىٰ مِـنْ مُقْلَـةٍ بِـدَمِ

وهي مائة بيت واثنان وستون بيتاً ، منها : اثنا عشر في المطلع ، وستة عشر في ذكر النفس وهواها ، وثلاثون في مدائح الرسول عليه الصلاة والسلام ، وتسعة عشر في مولده[1] ، وعشرة في يمن دعائه[2] ، وسبعة عشر في مدح القرآن ، وثلاثة عشر في ذكر معراجه ، واثنان وعشرون في جهاده ، وأربعة عشر في الاستغفار ، وتسعة في المناجاة .

---

(١) كذا في الأصل وهو غلط ، والصواب : وثلاثة عشر في مولده .

(٢) يقصد الأبيات التي تبدأ من : (جاءت لدعوته الأشجار . . . إلخ) ، والتي ذكر فيها الناظم بعض معجزاته صلى الله عليه وسلم ، وعده للأبيات هنا وفي بعض المواضع الآتية مخالف لما هو معروف ، ولعل ذلك يرجع إلى اختلاف رويات البردة بزيادة بعض الأبيات وتركها .

روي أنه أنشأها حين أصابه فالج فٱستشفع بها إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ ، ولما نام رأى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه فمسح بيده المباركة فعوفي ، وخرج من بيته أول النهار فلقيه بعض الفقراء فقال له : (يا سيدي ؛ أريد أن تعطيني القصيدة التي مدحت بها رسول الله صلى الله عليه وسلم) ، قال : (أي قصيدة تريد ؟) ، فقال : (التي أولها : أمن تذكر جيران . . . إلخ) ، فأعطاها له وجرىٰ ذكرها في الناس ، ولما بلغتْ الصاحب بَهاء الدين وزير ملك الظاهر ٱستنسخها ونذر ألا يسمعها إلا حافياً واقفاً مكشوف الرأس ، وكان يتبرك بها هو وأهل بيته ورأوا من بركاتِها أموراً عظيمة في دينهم ودنياهم .

وسبب شهرتِها بـ« البردة » أنه أصاب سعد الدين الفارقي رمد عظيم أشرف منه على العمىٰ ، فرأىٰ في منامه قائلاً يقول : (ٱمض إلى الصاحب بَهاء الدين وخذ منه البردة وٱجعلها علىٰ عينيك تُفِقْ[1] إن شاء الله تعالىٰ) ، فنهض من ساعته وجاء إليه وقال له ما رأىٰ في نومه ، فقال الصاحب : (ما عندي شيء يقال له البردة وإنما عندي مديح النبي صلى الله عليه وسلم أنشأها البوصيري ، فنحن نستشفي بها) ، فأخرجها ووضعها سعد الدين علىٰ عينيه فعوفي من الرمد .

وهٰذه القصيدة الزهراء والمديحة الغراء بركاتها كثيرة ، ولا يزال الناس يتبرَّكون بها في أقطار الأرض ، وقد يروىٰ في إنشائه لها وسبب ٱشتهارها بـ« البردة » وجوه شتى ، والأقرب إلى القبول ما ذكر ههنا ، لكن قال المولىٰ

---

(١) قوله (تُفِقْ) : من أفاق ، وقال الزبيدي في « تاج العروس شرح القاموس » (١٣/ ٤١٤) : (أفاق من مرضه ومن غشيته ، يفيق إفاقة وفواقاً ، أي : رجعت الصحة إليه أو رجع الى الصحة) اهـ .

مصنفك في شرحه بعد نقل منامه ورؤيته النبي صلى الله عليه وسلم : (فألقىٰ عليه الصلاة والسلام برداً علىٰ عاتقيه ومسح بيده ، فلما ٱستيقظ وجد بدنه صحيحاً كله ، ووجد ذلك البرد علىٰ عاتقيه ، ففرح به ، فخرج . . . فذكر إلىٰ آخر القصة)[1] .

ثم قال : (وروي عن بعض الكبراء أنه أصابه مرض ، فطلب القصيدة فجاء صاحبها إليه وقرأها . . فشفاه الله سبحانه وتعالىٰ من ساعته ، فأعطاه برداً ، فسميت بـ : « البردة » تيمناً)[2] ، ٱنتهىٰ والله سبحانه وتعالىٰ أعلم .

وعليها شروح كثيرة منها :

١ ـ **شرح للشيخ علي بن محمد البسطامي الشاهرودي** ـ المعروف بـ : **مصنفك** ـ ، المتوفىٰ سنة (٨٧٥هـ) خمس وسبعين وثمانمائة ، أوله : (الحمد لله الذي جعل مقادير العلماء . . . إلخ) ، وقال في آخره : (تم بقصبة بسطام لثماني عشرة مضين من رمضان سنة (٨٣٦هـ) ست وثلاثين وثمانمائة ، وكان الافتتاح فيه بجامع هراة في جمادي الأولىٰ سنة (٨٣٥هـ) خمس وثلاثين وثمانمائة) .

٢ ـ **وشرحها الشيخ بدر الدين محمد بن محمد الغزي** ، وسماه : « **الزبدة** » ، وتوفي سنة (٩٨٤هـ) أربع وثمانين وتسعمائة .

٣ ـ **والشيخ محيي الدين محمد بن مصطفى** ـ المعروف بـ : **شيخ زاده** ـ ، المتوفىٰ سنة (٩٥١هـ) ، أوله : (الحمد لله المحتجب عن درك العيون بكمال

---

(١) « كشف الظنون » (٢/ ٢٩٦) .

(٢) « كشف الظنون » (٢/ ٢٩٦) .

فردانيته . . . إلخ) .

٤ ـ وشرحها الشيخ القاضي بحر بن رئيس بن الهاروني المالكي شرحاً ، أوله : (الحمد لله كاشف الكروب والآلام . . . إلخ) ، وسماه : « ٱرتشاف الشهدة في شرح قصيدة البردة » .

٥ ـ وشرحها المولىٰ عبيد الله محمد بن يعقوب الفناري صاري ، المتوفىٰ سنة (٩٣٦هـ) ست وثلاثين وتسعمائة معزولاً عن قضاء حلب ، قال صاحب « الشقائق » : (وهو من أحسن شروحها)[١] .

٦ ـ وشرف الدين علي اليزدي ، المتوفىٰ سنة (٨٢٨هـ) ثمان وعشرين وثمانمائة .

٧ ـ وشمس الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الزمردي ـ الشهير بـ : ٱبن الصائغ ـ ، المتوفىٰ سنة (٧٧٦هـ) ست وسبعين وسبعمائة ، أوله : (أما بعد حمداً لله الذي من حمده مدح أنبيائه . . . إلخ) .

٨ ـ وكمال الدين حسين الخوارزمي ، المتوفىٰ في حدود سنة (٨٤٠هـ) أربعين وثمانمائة .

٩ ـ وجمال الدين عبد الله بن يوسف ـ المعروف بـ : ٱبن هشام النحوي ـ ، المتوفىٰ سنة (٨٦١هـ)[٢] .

١٠ ـ والشيخ زين الدين خالد بن عبد الله الأزهري ، المتوفىٰ سنة (٩٠٥هـ) خمس وتسعمائة ، فرغ من تأليفه في رجب سنة (٩٠٣هـ) ثلاث وتسعمائة ،

(١) « الشقائق النعمانية » (ص٢٧٨) .

(٢) وذكره أيضاً الشوكاني في « البدر الطالع » (١/ ٢٧٦) .

شرحها أولاً شرحاً مفصلاً سماه : « الزبدة في شرح قصيدة البردة » ، أوله : (أما بعد حمداً لله مستحق التحميد . . . إلخ) ، ثم أختصره .

١١ ـ وجلال الدين محمد بن أحمد المحلي الشافعي ، المتوفىٰ سنة (٨٦٤هـ) أربع وستين وثمانمائة ، وهو شرح مختصر أيضاً .

١٢ ـ وشرحها خير الدين خضر بن عمر العطوفي ، المتوفىٰ سنة (٩٤٨هـ) ثمان وأربعين وتسعمائة .

١٣ ـ وزين الدين أبو العز أبو المظفر طاهر بن حسن ـ المعروف بـ : آبن حبيب الحلبي ـ ، المتوفىٰ سنة (٨٠٨هـ) ثمان وثمانمائة ، وسماه : « وشي البردة » ، وخمَّسها .

١٤ ـ وشرحها أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق التلمساني شرحاً ، وهو شرح عظيم سماه بـ : « الاستيعاب لما فيها من البيان والإعراب »[1] .

١٥ ـ وله شرح آخر سماه : « إظهار صدق المودة في شرح قصيدة البردة » ، أوله : (الحمد لله الذي خلع علىٰ حبيبه محمد بردة عنايته السابقة الكبرىٰ . . . إلخ) ، وهو شرح عظيم ، وتوفي سنة (٧٨١هـ) إحدىٰ وثمانين وسبعمائة .

١٦ ـ وشرحها أحمد بن مصطفى ـ الشهير بـ : لالي ـ شرحاً بالعربي ، ثم شرحها بالتركي ثانياً ، وأتمه في سنة (١٠٠١هـ) إحدىٰ وألف ، أول الشرح التركي : (الحمد لمن جعل النظم لحسن الكلام . . . إلخ) .

١٧ ـ وشرحه مصطفى بن بالي .

---

(١) كذا في الأصل، وأسم الكتاب : « الاستيعاب لما في البردة من البيان والإعراب » .

١٨ ـ وشرحه المولىٰ محمد ـ الشهير بـ : ابن بدر الدين ـ المنشي الرومي الأقحصاري الحنفي ، شيخ الحرم المحمدي ، المتوفىٰ سنة (١٠٠١هـ) إحدىٰ وألف ، وسماه : « طراز البردة » ، أوله : (أفصح ما أفصح عنه بلابل البلاغة . . .) ، وفرغ عن كتابته سنة (٩٥٨هـ) ثمان وخمسين وتسعمائة .

١٩ ـ والشيخ رضي الدين يوسف بن أبي اللطف القدسي الشافعي ، المتوفىٰ بعد الألف (١٠٠٦هـ) ، في مجلد أطال فيه وأطنب ، أوله : (الحمد لله الذي أرسل محمداً رحمة . . . إلخ) .

٢٠ ـ وبدر الدين محمد بن بهادر الزركشي ، المتوفىٰ سنة (٧٩٤هـ) أربع وتسعين وسبعمائة .

٢١ ـ وعبيد الله بن محمد بن يعقوب ، وسماه : « إغاثة اللهفان » .

٢٢ ـ وشرحه شمس الدين أبو عبد الله محمد بن حسن القدسي البرموني ، أوله : (الحمد لله الذي أظهر من مضمون سره . . . إلخ) ، ذكر فيه أنه شرحه بمدينة قسطنطينية بالزاوية البايزيدية ، جمعه من الشروح ، وسماه : « النبذة في طي العدة لنشر معاني البردة » سنة (٩٩٠هـ) .

٢٣ ـ ومن شروحها شرح الشيخ جلال الدين الخجندي ـ نزيل الحرم ـ ، المتوفىٰ سنة (٨٠٣هـ) ، أوله : (الحمد لله الذي أكرمنا بدين الإسلام . . . إلخ) ، وهو شرح مختصر جمعه بعض تلامذته من إملائه في الحرم النبوي .

٢٤ ـ وشرحها العلامة أبو شامة عبد الرحمن بن إسماعيل الشافعي النحوي المؤرخ ، المتوفىٰ سنة (٦٦٥هـ) خمس وستين وستمائة ، أوله : (سبحان من

أخفىٰ سبحات وجهه بحجاب عجائب الأنوار . . . إلخ)[1] .

٢٥ ـ ومن شروحها شرح أبي العباس أحمد الأزدي ـ المعروف بـ : القصار ـ .

٢٦ ـ وحسن بن حسين التالشي ، أوله : (الحمد لله المحمود الذي خلق نور محمد . . . إلخ) ، ذكر فيه أنه أنشأه بالقاهرة للوزير علي باشا .

٢٧ ـ وشرحها الفاضل مسعود بن محمود بن يحيى الحسبني ، أوله : (الحمد لله نحمده ونستعينه . . . إلخ) ، ذكر فيه بحر القصيدة وعروضها ، وسماه : « نزهة الطالبين وتحفة الراغبين » ، رأيتُ منه نسخة كتبتْ عام خمس وستين وثمانمائة .

٢٨ ـ ومن شروحها « نتائج الأفكار » ليحيى بن منصور بن يحيى الحسني ، أوله : (أحمد اللهَ ذا العظمة والسلطان . . . إلخ) .

٢٩ ـ وشرحها الإمام فخر الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن محمد الشيرازي شرحاً بسيطاً ، أوله : (الحمد لله نحمده ونستعينه ونؤمن به ونتوكل عليه . . . إلخ) ، ذكر فيه أنه رواها عن شيوخه ، منهم : صاحب « القاموس » ، ثم شرحها مع أبحاث كثيرة في شعبان سنة (٨٠٩هـ) تسع وثمانمائة بعد أن شرحها أولاً مقتصراً علىٰ حل ألفاظها ، وشرح معانيها في محرم سنة (٧٩٧هـ) سبع وتسعين وسبعمائة مبنياً علىٰ خمسة قواعد : مبادئ ، ومقاصد ، وتراجم ،

---

(١) كذا في « كشف الظنون » (٢/ ٢٩٨) ، وهٰذا يقتضي أن أبا شامة شرح « البردة » في حياة المؤلف ، وكان أبو شامة أكبر منه سناً ، فإنه ولد سنة (٥٩٩هـ) ، والبوصيري ولد سنة (٦٠٨هـ) ، وبين وفاتيهما نحو ثلاثين سنة ؛ فأبو شامة أقدم ولادة ووفاة من البوصيري .

وتقطيعات ، وإعرابات ؛ وسماه : « **نزهة الطالبين وتحفة الراغبين** » .

٣٠ ـ ومن شروحها شرح منسوب للفاضل **الحسن بن محمد بن الحسن الحنفي النخعي** ، أوله : (أن أولىٰ ما ألويت إليه أعنة الأقلام في ديوان التحميد . . . إلخ) ، ذكر فيه لغاتها وإعرابها ومعناها مبسوطاً ، ورأيت نسخة منه .

٣١ ـ وشرحها **محمد بن منلا أبي بكر بن محمد بن منلا سليمان الكردي السهراني الحنفي** في رمضان سنة (١٠٤٨هـ) ثمان وأربعين وألف بالجامع الأزهر ، أوله : (الحمد لله الذي أوجد الموجودات من كتم العدم . . . إلخ) ، وسماه بـ : « **الدرة المضيئة في شرح الكواكب الدرية** » .

٣٢ ـ ومن شروحها الفارسية شرح ممزوج **لغضنفر بن جعفر الحسيني** ، أوله : (بدانك ناظم أين قصيدة . . . إلخ) ، شرحه سنة (٩٢٠هـ) عشرين وتسعمائة .

٣٣ ـ وشرحها **جلال بن قوام بن الحكم** ، أوله : (الحمد لله الذي علم بالقلم . . . إلخ) ، قال : (قد ٱطلعتُ على القصيدة الموسومة بـ« الكواكب الدرية في مناقب أشرف البرية » ـ وتعرف بـ« البردة النبوية » ـ التي نظمها البوصيري في فضائل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وترشيح شيء من معجزاته الباهرة وآثاره المرضية ، يتبرك ويستشفىٰ بها أكثر مما يتبرك بسائر مدائحه ومعجزاته ؛ لكرامة ظهرت علىٰ ناظمها منها) ، وأتمه في جمادى الآخرة سنة (٧٩٢هـ) ٱثنتين وتسعين وسبعمائة .

٣٤ ـ ومن أحسن شروحها شرح **نور الدين علي القاري** ، المتوفىٰ سنة

(١٠١٤هـ) أربع عشرة وألف .

٣٥ ـ ومن شروحها بالتركية شرح مختصر للشيخ سعد الله الخلوتي .

٣٦ ـ ومن شروحها شرح أوله : (حامداً لله العلي العظيم . . . إلخ) ، وفرغ منه سنة (٨٨٢هـ) اثنتين وثمانين وثمانمائة .

٣٧ ـ ومن شروحها شرح الشيخ شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني ـ شارح « البخاري » ـ ، المتوفىٰ سنة (٩٢٣هـ) ثلاث وعشرين وتسعمائة ، أوله : (الحمد لله الذي شرح بمدح نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قلوب أوليائه . . . إلخ) ؛ وسماه : « مشارق الأنوار المضية في شرح الكواكب الدرية »[1] .

٣٨ ـ ومن شروحها شرح أوله : (لك الحمد والشكر يا ذا النعم . . . إلخ) ، ألفه صاحبه الوزير محمود باشا .

٣٩ ـ ومن شروحها بالتركي شرح مبسوط ليحيى بن عبد الله الدفتري المصري أورد فيه تخميساً تركياً وعربياً وترجمة للأبيات ، ألفه في عصر السلطان أحمد خان ، وذكر أن له « شرح المنفرجة » أيضاً بالتركية .

٤٠ ـ وشرحها بعض المدنيين بعد القراءة على الشيخ عفيف الدين عبد الله بن محمد بن أحمد بن خلف بن عيسى السعدي المطري في محرم سنة (٧٦٠هـ) ستين وسبعمائة في الروضة ، وأشار هو إليه بتعليق حواش كالشرح له .

٤١ ـ وشرحها القاضي زكريا بن محمد الأنصاري ، المتوفىٰ سنة (٩٢٦هـ) ست وعشرين وتسعمائة ، وهو شرح ممزوج مختصر ، أوله : (الحمد لله الملك

---

(١) وذكره أيضاً الشوكاني في « البدر الطالع » (١/ ٧٠) .

الوهاب . . . إلخ) ؛ وسماه : « الزبدة الرائقة في شرح البردة الفائقة » .

٤٢ ـ وشرحها عصام الدين إبراهيم بن عربشاه الإسفرايني ، المتوفىٰ سنة (٩٤٤هـ) أربع وأربعين وتسعمائة بالفارسية .

٤٣ ـ ومن شروحها « طيب الحبيب هدية إلىٰ كل محب لبيب » لجلال الدين أحمد بن محمد بن محمد الخجندي ، ولد سنة (٧١٩هـ) .

٤٤ ـ وذكر الحسين الواعظ في « تحفة الصلوات » شرحاً لها للإمام المدني .

وخمَّسها أيضاً جماعة منهم :

٤٥ ـ سليمان بن علي القراماني ، المتوفىٰ سنة (٩٢٤هـ) أربع وعشرين وتسعمائة وعارضها بأخرىٰ .

٤٦ ـ ومحمد نبادكاني بن صافي ، المتوفىٰ في حدود سنة (٩٠٠هـ) تسعمائة .

٤٧ ـ وأبو الفضل أحمد بن أبي بكر المرعشي ، المتوفىٰ سنة (٨٧٢هـ) اثنتين وسبعين وثمانمائة .

٤٨ ـ وعبد الله بن محمود ـ المعروف بـ : كجوك محمود زاده ـ ، المتوفىٰ سنة (١٠٤٢هـ) اثنتين وأربعين وألف .

٤٩ ـ ويوسف بن موسى الجذامي ، المتوفىٰ سنة (٧٦٧هـ) .

٥٠ ـ وأسعد بن سعد الدين المفتي ، من آل حسن جان المشهور ، المتوفىٰ سنة (١٠٣٤هـ) أربع وثلاثين وألف .

٥١ ـ ويحيى بن زكريا المفتي .

٥٢ ـ وخمسها الشيخ شمس الدين محمد بن خليل المقري الحلبي ـ المعروف بـ : ٱبن القباقبي ـ ، المتوفىٰ سنة (٨٤٩هـ) تسع وأربعين وثمانمائة ؛ وسماه : « الكواكب الدرية في مدح خير البرية » .

٥٤ ـ وخمسها الشيخ الأديب ناصر الدين بن عبد الصمد ، معيد المدرسة المالكية بفيوم .

٥٥ ـ وشعبان بن محمد القرشي ، وسماه : « آثار المعشوق »[1] أوله :

يا قلب قد فاضَ دمعُ العين كالديم

٥٦ ـ وخمسها الإمام شهاب الدين أحمد بن محمد الحجازي ، المتوفىٰ سنة (٨٧٥هـ) خمس وسبعين وثمانمائة .

٥٧ ـ وممن خمسها الشيخ نجم الدين محمد بن أحمد بن عبد الله القلقشندي الشافعي ، المتوفىٰ سنة (٨٧٦هـ) ست وسبعين وثمانمائة .

٥٨ ـ وسبَّعها جمال الدين محمد بن الوفاء أوله :

الله يعلم ما بالقلب من ألم

ٱنتهىٰ ما نقلتُه من « كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون »[2] بٱختصار وتقديم وتأخير .

قلت : ومن شروحها وحواشيها :

٥٩ ـ « العمدة في شرح البردة » للمحدث الفقيه أحمد بن محمد بن حجر

---

(١) « آثار العشرة » في النسخة التي بأيدينا ؛ فليحرر .

(٢) « كشف الظنون » (٢/ ٢٩٥ ـ ٣٠٠) .

الهيتمي ، الذي قيل فيه : ابن حجر في البشر كالياقوت في الحجر ، ولد سنة (٩٠٩هـ) ، وتوفىٰ سنة (٩٧٣هـ) ، أوله : (الحمد لله الذي وفق أقواماً بمدح نبيه الكريم ، وحباهم علىٰ ذلك برضوان وجنة النعيم . . . إلخ)[1] .

٦٠ ـ وللشيخ إبراهيم بن الشيخ محمد الباجوري حاشية نفيسة على « البردة » ، ولد رحمه الله سنة (١١٩٨هـ) ألف ومائة وثمان وتسعين ببلده الباجور ، وهي قرية من قرىٰ مصر ، وتوفي رحمه الله يوم الخميس الثامن والعشرين من ذي القعدة سنة (١٢٧٦هـ) ألف ومائتين وست وسبعين[2] .

٦١ ـ وشرحها العلامة المحدث الشهير محمد بن علان الصديقي المكي ، المتوفىٰ سنة (١٠٥٧هـ) ، وسماه : « الذخر والعدة في شرح البردة » ، أوله : (الحمد لله الذي شرح بمدح نبينا صلى الله عليه وسلم القلوب ، وجعل ذلك ذخراً وعدة لنا لحوز المطالب ، وبردة مُعَدة لكشف الكروب . . . إلخ)[3] .

وقال في آخره : (بدأت في تأليفه يوم الأربعاء ثالث عشر ذي القعدة سنة (١٠٤٣هـ) ، وأتممته يوم السبت آخر يوم من الشهر المذكور مع أشغال كثيرة وأمور غير يسيرة ، والمأمول من بحر كرم رسول الله صلى الله عليه وسلم القبول والجائزة بالشفاعة وبنيل خير الدارين لي ولأولادي ولأحبائي وللمسلمين ، وكان ذلك بسكني من جبل أبي قبيس تقبله الله بمنه)[4] .

---

(١) « العمدة » (ص١٠٩) .

(٢) انظر ترجمته في : « الأعلام » (١/ ٢٧١) .

(٣) « الذخر والعدة » (ص١٠٥) .

(٤) « الذخر والعدة » (ص٣٠٩) .

٦٢ ـ وذكر الشيخ داود بن سليمان النقشبيدي في كتابه « نحت حديد الباطل » شراحاً آخرين منهم : أبو البقاء الحنفي ، وسمىٰ شرحه : « العدة في كل شدة » .

٦٣ ـ ومنهم : السيد الغبريني المقرئ ، ذكره الشهاب الخفاجي في « تاريخه »[1] .

وشرحها أيضاً : محمد بن محمد الشاذلي بن عاشور ، توفي (١٢٣٤هـ) ، له « شفاء القلب الجريح في شرح البردة » .

ورأيتُ شرحاً آخر يسمَّى : « البلسم المريح من شفاء القلب الجريح تَهذيب وشرح الشيخ ٱبن عاشور » مع ٱختصار وتعليق وتهذيب الدكتور عمر عبد الله كامل .

وقال الحافظ ٱبن حجر العسقلاني : (إن الشيخ طاهر بن حسن بن عمر زين الدين الحلبي مهر في النظم والنثر ، وعمل شرحاً على « البردة » وخمَّسها)[2] .

وقال الحافظ أيضاً في « الإنباء » : (إن محمد بن عبد الحق بن إسمعيل الأنصاري هو صاحبنا كتب إلي وشرح « البردة » ، ولد سنة (٧٧٣هـ))[3] اهـ .

وذكر الزركلي في « الأعلام » أن من تأليف الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن خلدون العالم الاجتماعي البحّاثة « شرح البردة »[4] ، وذكر أيضاً أن محمد

---

(١) « نحت حديد الباطل وبرده بأدلة الحق الذابة علىٰ صاحب البردة » (ص٢١) .

(٢) « إنباء الغمر » (٢/ ٣٣) .

(٣) « إنباء الغمر » (٣/ ٤٥٠) .

(٤) « الأعلام » (٣/ ٣٠٥) .

بن المبارك الهستوكي شرح « البردة » بمجلدين ، وتوفي سنة (١٣١٣هـ)[١] .

وحيدر بن عبد الله الداغستاني ، له « شرح البردة » ، أنجزه (١٣٠٤هـ) وسماه : « غاية المرام في شرح البردة »[٢] .

وسعيد بن سليمان الكرامي ، فقيه مالكي ، له « شرح قصيدة البردة »[٣] .

وسليمان بن علي القرماني ، فقيه حنفي ، له « شرح قصيدة البردة » ، توفي (٩٢٤هـ)[٤] .

وعبد الرحمن بن أحمد الصناديقي الشافعي ، له « شرح الشمائل » ، و« شرح البردة » ، توفي (١١٦٤هـ)[٥] .

قلت : وشرحها الشيخ أختر الهندي الحنفي ، اجتمعت به في ضيافة أكرمنا بها الشيخ موسىٰ عَبْدَهْ يوسف ـ المعروف بـ : موسىٰ عرب الصومالي الإسحاقي ـ بمنزله في جدة ليلة الخميس ٢٧ من شهر شعبان سنة (١٤٣١هـ) ، وقد رأيت الشيخ أختر مهيباً وقوراً معمراً ضريراً ، وأخبرنا الشيخ موسىٰ عَبْدَهْ أنه إمام الطريقة القادرية ومفتي الأحناف في الهند[٦] .

فهٰذا نيف وسبعون شرحاً وتخميساً وتسبيعاً .

---

(١) « الأعلام » (٧/ ١٨) .

(٢) « الأعلام » (٣/ ٢٩٠) .

(٣) « الأعلام » (٣/ ٩٠) .

(٤) « الأعلام » (٣/ ١٣٠) .

(٥) « الأعلام » (٣/ ٢٩٧) .

(٦) وسماه : « الفردة في شرح البردة » .

قال الشيخ العلامة مانع الحميري في بحثه بعنوان « الردّ على ٱبن عثيمين حول بعض أبيات البردة » : (إن العشرات من الأعلام والعلماء الراسخين في العلم شرحوا هٰذه القصيدة وتفننوا في شرحها وتخميسها وتسبيعها ، فهل كلهم دعاة إلى الشرك الأكبر ؟! وتداولها العلماء الأعلام كابراً عن كابر !! وهل كلهم جَهِلَ ما فهمه ٱبن عثيمين ؟! وقانا الله من مزالق الردىٰ ، وعافانا من الشذوذ عن السواد الأعظم لهٰذه الأمة)[1] .

وقال الشيخ داود بن سليمان النقشبندي : (فهل ترىٰ أن كل هؤلاء الناس من العلماء لم يعلموا أن فيها شركاً وكفراً أو خطأً ، أو أنت أيها الجاهل علمته ونبهت عليه وهم غفلوا عنه وما نبِهوا له[2] ، أم علموا ذلك وغشوا الناس ؟! فما هٰذا ورب الناس إلا خناس يوسوس في صدور هؤلاء الأرجاس)[3] اهـ .



---

(١) « الرد على ٱبن عثيمين حول بعض أبيات البردة » .

(٢) قال في « القاموس » (ص١٥٧٧) : (ما نبِهَ له كفَرِحَ ما فَطِنَ) اهـ .

(٣) « نحت حديد الباطل وبرده بأدلة الحق الذابة علىٰ صاحب البردة » (ص٢١) .

أقوال العلماء في قصيدة البردة

قال ٱبن حجر الهيتمي في « المنح المكية شرح الهمزية » : (كان البوصيري من عجائب الدهر في النظم والنثر ، ولو لم يكن له إلا قصيدته المشهورة بـ« البردة » التي تسبب نظمها عن وقوع فالج به أعيا الأطباء ، ففكر في إعمال قصيدة في النبي صلى الله عليه وسلم يتشفع بها إليه صلى الله عليه وسلم ، ثم به إلىٰ ربه ، فأنشأها ، فرآه ماسحاً بيده الكريمة عليه ، فعوفي لوقته ، ثم لما خرج من بيته . . لقيه عبد صالح فطلب منه سماعها فعجب منه ؛ إذ لم يخبر بها أحداً ، فقال : سمعتها البارحة تنشد بين يديه صلى الله عليه وسلم وهو يتمايل كتمايل القضيب ، قال فأعطيته إياها ، وقيل : إنه ٱشتد رمده بعد نظمها ، فرآى النبي صلى الله عليه وسلم في النوم ، فقرأ عليه شيئاً منها فتفل في عينيه فبرئ لوقته . . لكفاه ذلك شرفاً وتقدماً ، كيف وقد ٱزداد شهرتُها إلىٰ أن صار الناس يتدارسونَها في البيوت والمساجد كالقرآن ؟!)[1] اهـ .

بل كان بعضهم يقرؤها أثناء الجهاد ويستعين بها في المعارك الاسلامية ، ففي « الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصىٰ » ذكر صاحب الدوحة في ترجمة الشيخ أبي الحسن علي بن عثمان الشاوي قال : (حدثني غير واحد ممن يوثق به ممن حضر الوقعة وبعضهم يصدّق بعضاً ، قالوا : لما ٱنهزم الناس ٱستقبل الشيخ أبو الحسن النصارىٰ وسيفه في يده وهو يتلو « بردة » البوصيري)[2] .

---

(١) « المنح المكية » (ص٧٠) .

(٢) « الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصىٰ » (٤/ ١٥٢) .

وفي « النور السافر » أن الشيخ محمد بن علي بن عراق الكتاني الشافعي كان جالساً تحت شجرة فمر علىٰ خاطره قول البوصيري : (وراودته الجبال الشم من ذهب . . . إلخ) ، قال : (فما ٱستتمتُ بخاطري إلا ونظرتُ إلى تلك الشجرة قد ٱستحالت ذهباً ، فهالني ذلك وتضرعتُ إلى الله تعالىٰ حتىٰ عادت كما كانت)[1] اهـ بحذف يسير .

وقال الباجوري في « حاشيته على البردة » : (مما صاغه الإمام البوصيري صوغ الذهب الأحمر ، ونظمه نظم الدر والجوهر : قصيدته المشهورة بـ« البردة »)[2] اهـ .

وقال الشيخ بسام محمد بارود في تعليقه على « العمدة في شرح البردة » : (قال بعض العارفين من أهل الله الذين شرحوا القصيدة : يغلب على الظن أن هٰذه القصيدة لم يُسبَقْ إليها في مدح المصطفىٰ صلى الله عليه وسلم لحلاوتها ووجازة لفظها ، وٱنتقاء الأوصاف التي وُصِفَ بها النبي الأعظم والرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم التي لم يشاركه فيها مخلوق) .

ثم قال : (وكيف لا يكون من وصل بالمحبة المذكورة ، وٱستظل بالظلال المأثورة ، وتعلق بكنف حبيب رب العالمين ، ونعلق بباب نبي الله أكرم الأكرمين ، وجاور الكريم على الله سيد المرسلين ، كيف لا يكون عيشه عيشاً رغداً ، ولا ينال عند رب المخلوقات رفعة ويداً[3] ، ولا تأتي إليه الفتوحات الربانية ركعاً وسجداً ، فمتىٰ تعلق المؤمن بأحب الخلق على الله وجاور بقلبه

---

(١) « النور السافر » (ص٢٥٧) .

(٢) « الباجوري على البردة » (ص٦) .

(٣) أي : جاهاً ونعمة ؛ فإن اليد تطلق علىٰ ذلك كما في « القاموس » (ص١٧٨٩) .

كنف رسول الله ، وشرب بكأس أهل الوفا ، ومنح حب المصطفىٰ ، وٱمتلأت عروقه وأوصاله وحقائقه ورقائقه بما منحه الله وسقاه ، ومنَّ عليه به وروّاه ، فلا تسل ـ يا حبيبي المحب لذاك الجناب ـ عما يحصل لك من اللذات الروحانية ، والتنعمات الظاهرة والباطنة واللدنية ، مع أنك لا خوف عليك ولا حزن لديك ، لأنك في جنة الفردوس التي خلقت من أجله ، وفي رياضات المعارف المُسدَلِ عليها ستر[1] حسنه ، فمن تعلق بجناب عزيز القدر عند الله ، وٱنقطع إلىٰ محبة صفوة الله ، وٱستظل بأمان الله علىٰ خلقه ، ودخل تحت لواء رسوله وعبده عاش عيشاً هنياً ، وصار في حياته وبعد وفاته راضياً مرضياً . . فلا خوف عليه في حياته ، ولا حزن لديه من الأنكاد بعد مماته ، لأنه قد وصل بمحبته إلى الأمان الأعظم ، وٱتصل بخدمته إلى النبي المحترم ، فللّه الحمد علىٰ ما هيأ لنا من بركة خاصة حضرة أهل الوداد ، ويسر لنا محبة حبيبه وصفيه ، وأصحابه الطاهرين الأمجاد)[2] اهـ .

---

(١) قال في « لسان العرب » (٥/ ٤٩٠) : (السِّتْرُ : معروف ما ستر به ، والجمع : أستار وسُتُرٌ) .

(٢) « العمدة في شرح البردة » (ص٦٤٧) .

وفي تعليق علىٰ كتاب « كشف الظنون » (٢/ ٢٩٠) : (هي ـ أي : « قصيدة البردة » ـ مشهورة بين الأنام ، ويتبرك بها الخواص والعوام ، حتىٰ قرئت قدام الجنائز والمساجد وٱستشفىٰ بها الأمراض والأسقام ، وكتبوا عليها من التخميسات والتسبيعات والنظائر ما لا يعد .

ذكر السهراني أنه رأىٰ خمسة وثلاثين تخميساً جمعها بعض العلماء ، ورأىٰ تسبيعاً عجيباً مبدوءاً من أوله إلىٰ آخره بلفظة الجلالة للشيخ شهاب الدين أحمد بن عبد الله المكي ، فذكره بعد شرح كل بيت . وشرحوها بشروح لا تحصىٰ غير أنهم ٱقتصروا على المعنى اللغوى ، وأعرضوا عن اللطائف والإشارة . . لكن الشيخ ٱبن المرزوق المغربي غير المرزوقي النحوي شرحها شرحاً عظيماً ، وبين فيه المعاني التصوفية في غاية الطول والكِبَر ، وكل مصنف شيئاً أدعىٰ أنه لم يسبق به منه) .

وفي كتاب « البلسم المريح » من عجائب بركتها ما حكاه ٱبن فضل الله في كتابه « مسالك الأبصار » أنه حكىٰ له غير واحد ممن يثق به أن رجلاً من كتّاب مصر كان مغرماً بها مُشِيْعاً لمنافعها ، وكان له رفيق نصراني فهزأ به ، فرمد ٱبن ذلك الرجل وأتاه به غلام والنصراني إلىٰ جنبه ، فقال الرجل للغلام : (ٱذهب به إلى الكحال ودعه يطببه) ، فقال له النصراني : (لا حاجة بك إلى الكحال ، **ألم تزعم أن في « البردة » شفاءَه)** ، قال : (نعم . . والله ؛ **لا أطببه بغيرها)** ، **فوضعها علىٰ عيني الصبي ، فما مضىٰ له يومان إلا وقد زال ذلك الرمد بتمامه** ، فقال النصراني : (لا ظلمة بعد عيان !!) ، وأسلم وحسن إسلامه اهـ .

وفي شرح الأنطاكي أن بعض الشيوخ كان يوصي تلامذته بتلاوتِها ويقول : **(إنّها من أعظم الوسائل إلى الله ، وأنه فاز بها من الرجال من فاز ، وأن تلاوتَها تؤمن الخائف وتزيل الهموم وتفرج الكروب** ، وأن المكان الذي تتلىٰ فيه تنزل **فيه الرحمة والبركة)** ، وكان يقول : (إذا لم تتيسر تلاوتُها بأسرها كفت هٰذه الأبيات ، وهي من قوله : وٱستفرغ الدمع . . . إلىٰ قوله : وكيف تدعو إلى الدنيا . . .) اهـ .

قال بعض تلامذته : (وقد رأيت من بركتها الأمر العجيب ، وكل ذلك قليل في بركة ممدوحها عليه الصلاة والسلام ، كيف وأنه الوسيلة العظمىٰ والملاذ الأحمىٰ ، فلا جرم أن للمتمسك بجنابه الرفيع الفوز بمطلوبه ، وللمتوسل به إلىٰ ربه الإسعاف بمرغوبه)[1] اهـ .

وقال ٱبن حجر الهيتمي في « المنح المكية في شرح الهمزية » : (أبلغ بيت

---

(١) « البلسم المريح من شفاء القلب الجريح » مع ٱختصار وتعليق وتهذيب الدكتور عمر عبد الله كامل (ص٦ ـ ٧) .

في « الهمزية » :

كَيفَ تَرقَىٰ رقيك الأنبياءُ	يا سماء ما طَاوَلتها سماءُ

وفي « بردة المديح » :

فَإنَّ فَضْلَ رَسُولِ اللهِ لَيْسَ لَهُ	حَدٌّ فَيُعْرِبَ عَنْهُ نَاطِقٌ بِفَمِ

ثم يليه :

دَعْ ما ٱدَّعَتْهُ النَّصَارَىٰ في نَبِيِّهِمِ	وٱحْكُمْ بِمَا شِئْتَ مَدْحاً فيه وٱحْتَكِمِ

ثم يليه :

فَمَبْلَغُ العِلْمِ فِيهِ أَنَّهُ بَشَرٌ	وَأَنَّهُ خَيْرُ خَلْقِ اللهِ كُلِّهِمِ

ثم يليه :

فَاقَ النَّبِيِّينَ فِيْ خَلْقٍ وَفِي خُلُقٍ	وَلَمْ يُدَانُوهُ فِي عِلْمٍ ولاَ كَرَمِ)[1]

وقال ٱبن حجر أيضاً في « العمدة في شرح البردة » في شرح قوله :

فَمَبْلَغُ العِلْمِ فِيهِ أَنَّهُ بَشَرٌ	وَأَنَّهُ خَيْرُ خَلْقِ اللهِ كُلِّهِمِ

(قال الزركشي : هٰذا البيت من أحسن أبيات القصيدة وأمدحها)[2] اهـ .

قلتُ : وكان شيخنا العارف بالله الشيخ أحمد بن محمد الغَبَلِي ـ المعرف بـ : الشيخ أحمد غَبَلِهْ ـ يحب تكرار هٰذا البيت عند قراءة « البردة » .

---

(١) « المنح المكية » (؟؟؟) .

(٢) « العمدة » (ص٢٨٦) .

وسمعتُ من بعض مشايخنا أن الناظم رحمه الله لما قال : فَمَبْلَغُ العِلْمِ فِيْهِ أَنَّهُ بَشَرٌ . . أرتج عليه الكلام ولم يدر ما يقول ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وَأَنَّهُ خَيْرُ خَلْقِ اللهِ كُلِّهِمِ ، فقالها بعده ، والله أعلم .



قال ٱبن حجر الهيتمي في « العمدة في شرح البردة »، والباجوري في « حاشيته على البردة » : (حكي أن بعض الناس رأىٰ في منامه أن الصديق يزف[1] النبي صلى الله عليه وسلم بهذين البيتين :

كَأَنَّـهُ وَهْـوَ فَـرْدٌ فِـي جَلالَتِـه ... فِي عَسْكَرٍ حِينَ تَلْقَاهُ وفِي حَشَم

كَأَنَّمَا اللُّؤْلُؤُ المَكْنُونُ فِي صَدَفٍ ... مِنْ مَعْدِنَي مَنْطِقٍ مِنْهُ وَمُبْتَسَمِ)[2]

وقال ٱبن حجر في « العمدة » في شرح قول المصنف :

وَمُنْذُ أَلْزَمْتُ أَفْكَارِي مَدَائِحَهُ ... وَجَدْتُهُ لِخَلاصِي خَيْرَ مُلْتَزِمِ

(أشار الناظم رضي الله عنه بهٰذا إلىٰ ما أصابه من داء الفالج الذي أبطل نصفه، وعمل هٰذه القصيدة من جرائه ـ أي : أجله ـ يتوسل بها إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ـ في إزالته عنه، ثم رأى النبي صلى الله عليه وسلم في النوم يمسح بيده الشريفة عليه، فعوفي لوقته من مرضه، فلما ٱستيقظ وأصبح يمشي في أزقة بلبيس مربه بعض الصالحين وقال له : أسمعني القصيدة التي ٱمتدحت بها النبي صلى الله عليه وسلم التي مطلعها :

---

(١) « العمدة في شرح البردة » (ص٣١٠)، « الباجوري على البردة » (ص٦٠).

(٢) يقال : زف العروس إلىٰ زوجها أهداها إليه، وفي « تاج العروس شرح القاموس » (١٢/ ٢٥٢) : (قال الراغب : زف العروس مستعار من زفزفة النعام فيما يقتضي السرعة، لا لأجل شَبَهِها ولكن للذهاب بها علىٰ خفة من السرور) اهـ.

أمِـنْ تَذَكُّـرِ جِيـرَانٍ بِـذِي سَـلَمِ　　　مَزَجْـتَ دَمْعـاً جَـرَىٰ مِـنْ مُقْلَـةٍ بِـدَمِ

فقال له الناظم رضي الله عنه ولم يكن قد أطلع أحدا عليها : من أخبرك بها ؟ فقال : سمعتها تُنْشَدُ بين يديه صلى الله عليه وسلم وهو يتمايل كالقضيب)[1] اهـ ، ومثله في « حاشية الباجوري على البردة » ، و« الذخر والعدة » لابن علان الصديقي[2] .

قلت : وتمايله صلى الله عليه وسلم لَمَّا أنشدت هٰذه القصيدة بين يديه يدلّ علىٰ سروره وٱرتياحه بها ، ومسحُه صلى الله عليه وسلم بيده الكريمة علىٰ مؤلفها يدل أيضاً على ٱعتنائه صلى الله عليه وسلم به وشفقته عليه لفرحه بهٰذه القصيدة المباركة .

ولا يُستغرب سروره صلى الله عليه وسلم بذلك بعد وفاته ، فقد قال الإمام النووي في « الإيضاح في مناسك الحج » : (حكىٰ أصحابنا عن العتبي مستحسنين له أنه قال : كنت جالساً عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، فجاء أعرابي فقال : السلام عليك يا رسول الله ، سمعت الله يقول : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾[3] ، وقد جئتك مستغفراً من ذنبي ، متشفعاً بك إلىٰ ربي ، ثم أنشأ يقول :

يـا خيـرَ مَـن دُفِنـتْ بالقـاعِ أعظُمُـه　　　فطـابَ مِـن طِيبِهِـن القـاعُ والأكَـمُ
نفْسِـي فـداءٌ لـقبرٍ أنـتَ سـاكنُه　　　فيـه العَفَـافُ وفيـه الجُـودُ والكَـرَمُ

---

(١) « العمدة في شرح البردة » (ص٦٤٩) .

(٢) « الباجوري على البردة » (ص١٤٣) ، « الذخر والعدة » (ص٢٩٧) .

(٣) النساء : ٦٤ .

أنتَ الشَّفيعُ الَّذي تُرجَىٰ شفاعتُه ... علىٰ الصِّراطِ إذا ما زَلَّتِ القَدَمُ
وصاحِبَاك فلا أنساهما أبداً ... منـي السَّلامُ عليكم ما جَرَىٰ القَلَمُ)

قال : (ثم ٱنصرف ، فغلبتني عيناي فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم فقال : **يا عتبي ؛ الحق الأعرابي فبشره بأن الله تعالىٰ قد غفر له**)[1] اهـ .

وقال الهيتمي في « الجوهر المنظم » : (عد بعضُ العلماء العتبيَّ في مشايخ الإمام الشافعي رحمه الله تعالىٰ)[2] اهـ .

فٱنظر ـ رحمك الله ـ إلىٰ ما وصل إليه هٰذا الأعرابي من غفران الله له ببديع ثنائه وجميل مديحه له صلى الله عليه وسلم .

ويأتي في مبحث سرورِه صلى الله عليه وسلم بما قيل في حضرته من الأشعار المشتملة على الثناء عليه أنه صلى الله عليه وسلم **كان يسر في حياته ويتهلل وجهه إذا مدحه المادحون ، وذكر محاسنه الواصفون** ، وحاله صلى الله عليه وسلم بعد وفاته كحاله في حياته في كثير من الأمور[3] ، وقد قال صلى الله

---

(١) « الإيضاح في مناسك الحج » (ص٥٦٥) . وقصة العتبي هٰذه مشهورة ، ذكرها كثير من العلماء في كتبهم منهم : أبو نصر ٱبن الصباغ في « الشامل » (ص٩٧٤ ـ ٩٧٥) ، وٱبن قدامة الحنبلي في « المغني » (٥/ ٤٦٥ ـ ٤٦٦) ، والحافظ القسطلاني في « المواهب اللدنية » (٤/ ٥٨٣) ، وٱبن حجر الهيتمي في « الجوهر المنظم في زيارة قبر النبي المعظم » (ص٥١) ، والحافظ ٱبن كثير في « تفسيره » (٢/ ٣٤٨) ، وغيرهم .
وقد رأيت مراراً أبيات ذلك الأعرابي مكتوبة في جدار الحجرة الشريفة النبوية .
والعتبي بضم العين وسكون التاء ، وٱسمه كما في « المواهب اللدنية » (٤/ ٥٨٣) : محمد بن عبيد الله بن عمرو ٱبن معاوية بن عمر بن عتبة بن أبي سفيان بن صخر بن حرب .
(٢) « الجوهر المنظم » (ص٥١) .
(٣) وذكر بعضهم أن شعرات من شعره صلى عليه وسلم في بعض البلاد تُرَىٰ وهي تتمايل=

عليه وسلم : « إذا مدح المؤمن في وجهه . . ربا الإيمان في قلبه »[1] .

فمن أسباب محبة الناس لهٰذه القصيدة ما عرفوه من سروره صلى الله عليه وسلم بها وإكرامه علىٰ مؤلفها لأجلها ، فيسرون بها كما سرّ بها سيد الخلق صلى الله عليه وسلم ، ومن شأن المؤمنين السرور بالمرائي الصالحة وعدم الاغترار بها ، فقد قال الحافظ الذهبي في سير أعلام النبلاء : (قال الامام أحمد بن حنبل : الرؤيا تسرّ المؤمن ولا تغرّه)[2] .

وأما هٰذه الفرقة المكفّرة للبوصيري التي تهتف علىٰ رؤوس الأشهاد بأنه

=إذا أنشدت عندها المدائح النبوية والشمائل المصطفوية .

(١) رواه الطبراني في « المعجم الكبير » (١/ ١٧١) ، والحاكم في « المستدرك » (٦٥٩٤) عن أسامة بن زيد .

وقال المناوي في « فيض القدير » (١/ ٤٤٠) : (المراد : المؤمن الكامل الذي عرف نفسه وأمن عليها من نحو كبر وعُجب ، بل يكون ذلك سبباً لزيادته في العمل الصالح المؤدي لزيادة إيمانه ورسوخ إيقانه .

أما من ليس بهٰذه الصفة ؛ فالمدح عليه من أعظم الآفات المفضية بإيمانه إلى الخلل الذي ورد فيه خبر : « إياكم والمدح ») اهـ .

وروى البخاري (٢٦٦٣) عن أبي موسى قال : (سمع النبيُّ صلى الله عليه وسلم رجلاً يثني علىٰ رجل ويُطريه في المِدحة ، فقال : « أهلكتم أو قطعتم ظهر الرجل ») .

وقال ابن عطاء الله في « الحكم العطائية » بشرح الشرقاوي (ص١٢٤) : (المؤمن إذا مدح . . استحيا من الله أن يثني عليه بوصف لا يشهد من نفسه ، وأجهل الناس من ترك يقين ما عنده لظن ما عند الناس ، والزهاد إذا مدحوا . . انقبضوا لشهودهم الثناء من الخلق ، والعارفون إذا مدحوا . . انبسطوا لشهودهم ذلك من الملك الحق) اهـ .

(٢) قال الذهبي في « سير أعلام النبلاء » (١١/ ٢٢٧) في ترجمة الإمام أحمد : (قال المروذي : أدخلت إبراهيم الحصري علي أبي عبد الله وكان رجلاً صالحاً ، فقال : إن أمي رأت لك مناماً هو كذا وكذا ، وذكرت الجنة ، فقال : يا أخي ؛ إن سهل بن سلامة كان الناس يخبرونه بمثل هٰذا ، وخرج إلىٰ سفك الدّماء ، وقال : الرؤيا تسر المؤمن ولا تغرّه) .

مشرك وقصيدتَه « البردة » من الشركيات ؛ فتراها تعبس وجوهها وتشمئز قلوبُها إذا سمعت أنغام أهل المحبة والصفاء وأصوات المشتاقين إلىٰ لقاء المصطفى المرتاحين المستلذين بالأناشيد النبوية المفصحة عن الأخلاق الزكية والأوصاف السنية التي آمتن الله بِها علىٰ سيد البرية ذي المفاخر العلية والكمالات المعنوية والمحاسن البدنية ، بل لا يستطيع هؤلاء المكث في موضع قراءتِها !! فتراهم يقومون سراعاً من المجالس والمحافل التي تقرأ فيها « البردة » وغيرها من المدائح النبوية .

فأين هؤلاء ممن تفيض دموعهم لدىٰ سماعهم أناشيد المادحين لجنابه الرفيع صلى الله عليه وسلم وقصائدَ العاشقين لرؤية جماله وبدر كماله ؟!

وما زال أهل المحبة من المؤمنين يفرحون ويرتاحون إذا سمعوا ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتلذّذون به ، كيف وقد قال حبر الأمة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالىٰ : ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ﴾[1] : (الرحمة هنا : النبي صلى الله عليه وسلم)[2] ، فعلىٰ هٰذا نحن مأمورون بالفرح به صلى الله عليه وسلم بنص هٰذه الآية الكريمة .

وقال الحافظ السيوطي في « الدر المنثور » : (أخرج أبو الشيخ عن آبن عباس رضي الله عنهما في الآية قال : فضل الله العلم ، ورحمته محمد صلى الله عليه وسلم ، قال الله تعالىٰ : ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[3])[4] اهـ .

---

(١) يونس : ٥٨ .

(٢) « الدر المنثور » (٤/ ٣٣٠) .

(٣) الأنبياء : ١٠٧ .

(٤) « الدر المنثور » (٤/ ٣٣٠) .

وفي « بلوغ المأمول » : (ورجح الآلوسي في تفسيره « روح المعاني » كون الرحمة في الآية هي النبي صلى الله عليه وسلم)[1] اهـ .

وفي « الدر المنثور » : (أخرج الخطيب وٱبن عساكر عن ٱبن عباس رضي الله عنهما ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ﴾ قال : النبي صلى الله عليه وسلم)[2] اهـ .

وهٰذا الفرح يدل علىٰ حبه وتوقيره صلى الله عليه وسلم الذي أمرنا الله تعالىٰ به في قوله : ﴿لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ﴾[3] ، فقد قال غير واحد من المفسرين : إن ضميري ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ راجعان للنبي صلى الله عليه وسلم ، قال القرطبي في تفسيره « الجامع لأحكام القرآن » : (الهاء فيهما للنبي صلى الله عليه وسلم ، وهنا وقف تام ، ثم تبتدئ وتسبحوه ، أي : تسبحوا الله ، وقيل : الضمائر كلها لله تعالىٰ)[4] .

وقال الحافظ ٱبن الجوزي في « المدهش » : (قد تجمع العرب شيئين في كلام فيرد كل واحد منهما إلىٰ ما يليق به ، وفي القرآن الكريم : ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾[5] ، فالسكون بالليل وٱبتغاء الفضل بالنهار ، ومثله قوله تعالىٰ : ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ﴾ ، فالتعزير والتوقير للرسول ، والتسبيح لله عز وجل . وقال ٱبن كثير مفسراً لقوله تعالىٰ : ﴿وَتُعَزِّرُوهُ﴾ قال ٱبن عباس وغير واحد : تعظموه ، ﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾ من التوقير

---

(١) « بلوغ المأمول » (ص٢٤) .

(٢) « الدر المنثور » (٤/٣٦٨) .

(٣) الفتح : ٩ .

(٤) « الجامع لأحكام القرآن » (١٦/١٨٦) .

(٥) القصص : ٧٣ .

والاحترام والإجلال والإعظام)[1] اهـ .

فعلىٰ هٰذا يكون معنىٰ ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا﴾ إلى ﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾ أن الله أرسل رسوله ليعظموه ويحترموه ويجلوه ، فيكون من حكمة بعثته صلى الله عليه وسلم تعظيمُه وإجلاله .

وقال ٱبن عبد البر عن مجاهد في قوله تعالىٰ ﴿أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾[2] قال : (بمحمد وأصحابه)[3] .

ولقد أحسن بعض عشاق الحضرة المحمدية حيث قال :

بيني وبينكَ يا حبيب فراسِخُ ... أمّا الغرامُ ففي الفُؤادِ فراسخُ

وقال آخر :

كلُّ القُلُوبِ إلى الحبيبِ تَمِيلُ ... ومَعِي بهٰذا شَاهِدٌ ودَلِيلُ
أمّا الدَّلِيلُ ؛ فإنْ ذكَرتَ مُحمَّداً ... صَارتْ دُمُوعُ العَاشِقِينَ تَسِيلُ

فشتان مابين هذين الفريقين وهما كما قال القائل :

سَارتْ مشرقةٌ وسرت مغرباً ... شتانِ بينَ مشرقٍ ومغربِ

قال الله سبحانه وتعالىٰ : ﴿إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ﴾[4] .

---

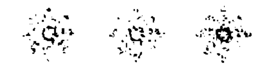
(١) « المدهش » (ص٣٨ـ٣٩) .

(٢) الرعد : ٢٨ .

(٣) ذكره الحافظ ٱبن عبد البر في« الاستيعاب في معرفة الصحابة » (ص٧٠) في أواخر ترجمة إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

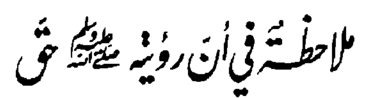
(٤) الليل : ٤ .

ولا أدري متىٰ يتوافق هٰذان الفريقان ويصطلحان !! والظاهر أن ٱختلافهما يدوم حتىٰ يختصما أمام رب الأرض والسماء في يوم تجتمع فيه الخلائق لفصل القضاء ، قال تعالىٰ : ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾[1] ، فهنالك الموعد ، وقد أفلح فيه من تزكىٰ ، وخاب من ٱفتضح فيه وٱكتسىٰ ثوب الردىٰ ، وليكن في ذهنك أنه صلى الله عليه وسلم قال : « المرء مع من أحب »[2] ، فيكون للمحب معيته صلى الله عليه وسلم ، جعلنا الله ممن يحبون حبيبه ويهتدون بِهديه ويتمسكون بسنته صلى الله عليه وسلم .



(١) الزمر : ٣١ .

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٨٨) في باب مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الساعة ، فقال : (متى الساعة ؟) ، قال : « وماذا أعددت لها ؟ » ، قال : (لا شيء إلا أني أحب الله ورسوله) ، فقال : « أنت مع من أحببت » ، قال أنس : (فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبي صلى الله عليه وسلم أنت مع من أحببت) ، قال أنس : (فأنا أحب النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر ، وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم وإن لم أعمل بمثل أعمالهم) . ورواه أيضاً مسلم وغيره .



ملاحظة في أن رؤيته صلى الله عليه وسلم حق

قد يتخيل متخيل بأن هٰذا من المرائي والمنامات وهي لا يعوَّل عليها في ثبوت شيء ونفيه ، فنقول قد ورد في السنة الصحيحة أن رؤيته صلى الله عليه وسلم حق وأن الشيطان لا يتمثل به ، فقد روى البخاريُّ في « صحيحه » عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من رآني في المنام . . فقد رآني ؛ فإنَّ الشيطان لا يتخيل بي »[1] ، وفي رواية أبي هريرة : « لا يتمثل الشيطان بي »[2] .

وعن أبي هريرة أيضاً قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا اقترب الزمان . . لم تكد رؤيا المؤمن تكذب ، ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة »[3] .

وعن أنس بن مالك أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة »[4] .

وعن أبي سعيد الخدري أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة »[5] .

---

(١) أخرجه البخاري (٦٩٩٤) .

(٢) أخرجه البخاري (٦١٩٧) .

(٣) أخرجه البخاري (٧٠١٧) .

(٤) أخرجه البخاري (٦٩٨٣) .

(٥) أخرجه البخاري (٦٩٨٩) .



رویٰ هٰذه الروايات كلها البخاري في « صحيحه » .

فهاتان الرؤيتان ـ أعني : رؤية البوصيري النبيَّ صلى الله عليه وسلم وهو يمسح بيده الشريفة عليه ، ورؤيةَ بعض الصالحين النبيَّ صلى الله عليه وسلم وهو يتمايل عند إنشاد « البردة » بين يديه صلى الله عليه وسلم ـ من المرائي الحسنة التي يراها المؤمنون والصالحون ، وقد علمت أنَّها جزء من النبوة وأنَّها لا تكذب .

فثبت أن هاتين الرؤيتين مما يستأنس به علىٰ شرف هٰذه القصيدة وعلوِّ قدرها ، ومما تطمئن به النفوس السليمة من أمراض البدع وفتن التنطع والغلوِّ في الدين . . .

وقد أخبر الله أن لأوليائه البشرىٰ في الحياة الدنيا وفي الآخرة فقال جل شأنه : ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . . .﴾ إلىٰ قوله تعالىٰ : ﴿. . . لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ﴾[1] ، وفسر عليه الصلاة والسلام هٰذه البشرى التي في الحياة الدنيا بالرؤيا الصالحة التي يراها المؤمن أو ترىٰ له ، فقد روى الحاكم في المستدرك عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله عز وجل : ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ﴾ ، قال : « **هي الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترىٰ له** » ، قال الحاكم : (هٰذا حديث صحيح علىٰ شرط الشيخين ولم يخرجاه) ، وأخرجه الترمذي في « الجامع » في تفسير هٰذه الآية ، وأخرجه أيضاً غيرهما[2] .

---

(١) يونس : ٦٢ ـ ٦٤ .

(٢) أخرجه الحاكم في « المستدرك » (٣/ ٧٧) ، والترمذي (٣١٠٦) .

وروى الحاكم عن عطاء بن يسار قال : سألت أبا الدرداء رضي الله عنه عن قول الله عز وجل : ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ﴾ ، فقال : (ما سألني أحد غيرك منذ سألتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها ، فقال : « ما سألني عنها أحد غيرك منذ أنزلت ، هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترىٰ له ») ، ورواه الترمذي أيضاً وغيره[1] .

وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال : « لم يبق من النبوة إلا المبشرات » ، قالوا : (وما المبشرات ؟) ، قال : « الرؤيا الصالحة »[2] .

فٱتضح أن رؤية البوصيري ورؤية بعض الصالحين المذكورتين من البشرى التي في هٰذه الآية الكريمة ، وذكرنا أيضاً أن بعض الناس رأىٰ في المنام أن الصديق رضي الله عنه يَزُفُّ النبي صلى الله عليه وسلم بهٰذين البيتين :

كَأَنَّـهُ وَهْـوَ فَـرْدٌ فِـي جَلالَتِـهِ   فِي عَسْكَرٍ حِينَ تَلْقَـاهُ وفِـي حَشَـمِ
كَأَنَّمَـا اللُّؤْلُـؤُ المَكْنُونُ فِـي صَدَفٍ   مِـنْ مَعْدِنَـي مَنْطِـقٍ مِّنْـهُ وَمُبْتَسَـمِ

وهٰذا كله يشهد علىٰ شرف هـٰذه القصيدة وعظيم شأنِها ، ومما يدل علىٰ تفوّقها علىٰ كثير من المدائح والقصائد النبوية ما تضمنته من بديع معانيها وفصاحة مبانيها وحسن تركيبها وتناسب أبياتِها ورعاية الآداب الشعرية وقوانينه وغير ذلك مما يزداد به رونق النظم وبَهاؤه .

فهٰذا وذاك هو ما ٱقتضىٰ محبة الناس لها ومزيدَ ٱعتنائهم بها قديماً وحديثاً

---

(١) أخرجه الحاكم في « المستدرك » (٥/ ٥٥٨) ، والترمذي (٢٢٧٢) .

(٢) أخرجه البخاري (٦٩٩٠) .

مع آختلاف طبائعهم وتباين أفهامهم وتباعد أوطانِهم ، فهنيئاً لمن رزقه الله سلامة الصدر وحسن الاعتقاد في الأولياء والصالحين وتصديقَ ما أكرمهم الله به عليهم ، وهنيئاً لمن منَّ الله عليه الانقيادَ للحق ومخالفة النفس الأمارة بالسوء ووسواس الشيطان الرجيم ، ورحم الله آمرأ آجتنب مجالس علماء السوء ومراكز أباطيلهم وضلالاتهم ، ونسأل الله سبحانه وتعالىٰ أن يهدينا إلىٰ صراطه المستقيم ، وأن يتفضل علينا بحبه وحب أحبابه أجمعين .

فائدة في حكم العمل بالمرائي النبوية

لقد ذكرنا أن رؤيا المؤمن حق وأنها جزء من النبوة ، لكن لا يتغير بها حكم الشريعة ، فقد حكى القاضي عياض الإجماع علىٰ ذلك ، ويعمل الرائي بالرؤيا النبوية آستحباباً إذا كانت موافقة للشريعة ، وأما إذا خالفتها . . فلا يعمل بها ، فقد نقل الإمام النووي رحمه الله في « شرح صحيح مسلم » عن القاضي عياض أنه لا تبطل بالرؤيا سنة ثبتت ولا تثبت بها سنة لم تثبت ، وقال : (**هٰذا بإجماع العلماء**) ، ثم قال النووي : (وكذا قاله غيره من أصحابنا وغيرهم ، فنقلوا الاتفاق علىٰ أنه لا يُغَيَّرُ بسبب ما يراه النائم ما تقرر في الشرع) ، ثم قال النووي بعد كلام : (**أما إذا رأى النبي صلى الله عليه وسلم يأمره بفعل ما هو مندوب إليه أوينهاه عن منهي عنه أو يرشده إلىٰ فعل مصلحة ؛ فلا خلاف في آستحباب العمل علىٰ وفقه** ، لأن ذلك ليس حكماً بمجرد المنام ، بل بما تقرر من أصل ذلك الشيء)[1] اهـ .

وفي « منتهى السول علىٰ وسائل الوصول إلىٰ شمائل الرسول » للشيخ عبد

---

(١) « شرح مسلم » للنووي (١/ ١٦٧) .

الله بن سعيد اللحجي : (سئل شيخ الإسلام زكريا الأنصاري رحمه الله تعالىٰ عن رجل زعم أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يقول له : مر أمتي بصيام ثلاثة أيام ، وأن يُعيِّدوا بعدها ، ويخطبوا فهل يجب الصوم أو يندب أو يجوز أو يحرم ؟ وهل يكره أن يقول أحد للناس : أمركم النبي عليه الصلاة والسلام بصيام أيام لأنه كذب عليه ، ومستنده الرؤيا التي سمعها من غير رائيها أو منه ، وهل يمتنع أن يتسمىٰ إبليس بٱسم النبي صلى الله عليه وسلم ويقول للنائم : إنه النبي صلى الله عليه وسلم ويأمره بطاعته ليتوصل بذلك إلىٰ معصيته كما يمتنع عليه التشكل في صورته الشريفة أم لا ؟ وبم تتميز الرؤية له صلى الله عليه وسلم الصادقةُ من الكاذبة ، وهل يثبت شيء من أحكام الشرع بالرؤية في النوم ؟

فأجاب رحمه الله تعالىٰ بقوله : لا يجب علىٰ أحد الصوم ولا غيره من الأحكام بما ذكر ، ولا مندوب[1] بل قد يكره أو يحرم ، لكن إن غلب على الظن صدق الرؤيا . . فله العمل بما دلت عليه ما لم يكن فيه تغيير حكم شرعي ، ولا يثبت بها شيء من الأحكام ؛ لعدم ضبط الرائي لا للشك في الرؤيا .

ويحرم على الشخص أن يقول : أمركم النبي صلى الله عليه وسلم بكذا فيما ذكر ، بل يأتي بما يدل علىٰ مستنده من الرؤيا ، إذ لا يمتنع عقلاً أن يتسمىٰ إبليس بٱسم النبي صلى الله عليه وسلم ليقول للنائم : إنه النبي صلى الله عليه وسلم ، ويأمره بالطاعة ، والرؤيا الصادقة هي الخالصة من الأضغاث) . . . إلىٰ آخره[2] .

---

(١) كذا في الأصل ، والظاهر أنه : (ولا يندب) .

(٢) تمامه : (والأضغاث أنواع ، الأول : تلاعب الشيطان ليحزن الرائي ، كأن يرىٰ أنه قطع رأسه ، الثاني : أن يرى أن بعض الأنبياء يأمره بمحرم أومحال ، الثالث : ماتحدّث به النفس=

وفي « المواهب المحمدية بشرح الشمائل الترمذية » للشيخ سليمان ٱبن عمر الشافعي ـ المعروف بـ : الجمل ـ : (وفي « العباب » ما نصه : **ورؤيته صلى الله عليه وسلم بصفته المعروفة حق لكن لا يعمل بها فيما يخالف الشرع ، فإن** لم تخالفه لكن خالفت مذهب الرائي فهل يعمل بمذهبه أو برؤياه ؟ وجهان أو جهمها أولهما ، وإن وافقتها بأن أمر بفعل ما يندب أو فيه مصلحة أو نَهاه عما يكره نُدِبَ العملُ برؤياه ، والكذب عليه عمداً كبيرة لا كفر وتقبل التوبة منها)[1] ٱنتهىٰ .



=في اليقظة تَمنياً فيراه كما هو في المنام) اهـ بٱختصار . ٱنظر : « منتهى السول » (٤/ ٣٣٦ ـ ٣٣٧) .

(١) « المواهب المحمدية » (٢/ ٤٦٤) .

ذكر من روى البردة أو سمعها من الأئمة الأعلام أو حفظها عن ظهر قلب

قال شيخ الاسلام أبو الفضل ابن حجر العسقلاني في كتابه « المعجم المفهرس لمسانيد ابن حجر » : (القصيدة المعروفة بـ« البردة » من نظم البوصيري قرأتُها على العلامة شمس الدين الغماري النحوي بسماعه لها على العلامة أثير الدين أبي حيان عنه ، وكتب إلينا أبو الخير أحمد ابن أبي سعيد العلائي عن تقي الدين أبي المحاسن يوسف بن عمر بن سالم سماعاً عن الناظم)[1] .

وقال العلامة ابن حجر الهيتمي في « المنح المكية في شرح الهمزية » : (حصلت لي رواية هٰذه القصيدة ـ يعني : « الهمزية » وغيرها من شعر الناظم ـ من طرق متعددة ، منها بل أعلاها أني أرويها عن شيخنا شيخ الإسلام خاتمة الحفاظ والمتأخرين أبي يحيىٰ زكريا الأنصاري الشافعي ، عن العز أبي محمد بن الفرات ، عن العز أبي عمر بن البدر بن جماعة ، عن ناظمها .

وعن حافظ العصر ابن حجر ، عن الإمام المجتهد السراج البلقيني ، والسراج ابن الملقن ، والحافظ زين الدين العراقي ، عن العز بن جماعة رحمهم الله تعالىٰ ، عن ناظمها .

وأرويها أيضاً عن مشايخنا عن الحافظ السيوطي عن جماعة منهم الشُّمُنّيّ

(١) « المعجم المفهرس » (ص٤١٥) .

بعضهم قراءة وبعضهم إجازة ، عن عبد الله بن علي الحنبلي ، كذلك عن العز بن جماعة ، عن الناظم)[1] اهـ .

وقال الفاضل عبد الرزاق النقشبندي الخالدي في مقدمة تحقيقه علىٰ كتاب « نحت حديد الباطل وبرده بأدلة الحق الذابة عن صاحب البردة » : (ممن روىٰ هٰذه القصيدةَ :

* الإمام المفسر لكتاب الله العزيز أبو حيان الأندلسي محمد بن يوسف بن علي الغرناطي ـ صاحب تفسير « البحر المحيط » ـ .

* والإمام الحافظ محمد بن محمد بن محمد بن سيد الناس اليعمري ـ صاحب السيرة الشهيرة « عيون الأثر » ـ .

* والإمام الفقيه سلطان العلماء عبد العزيز بن عبد السلام ـ صاحب « القواعد الكبرىٰ » ـ .

* والإمام المحدث محمد بن جابر الوادي آشي .

* والإمام الحافظ زين الدين العراقي .

* والإمام المحدث الفقيه عمر بن علي ـ المعروف بـ : ابن الملقن ـ .

* والإمام المجتهد عمر بن رسلان البلقيني .

* والإمام المحدث الفقيه زكريا الأنصاري .

* والإمام الحافظ جلال الدين ، وغيرهم ممن لا يحصون كثرة)[2] .

---

(١) « المنح المكية » (ص٧٣) .

(٢) « نحت حديد الباطل وبرده » (ص١٠ ـ ١١) .

وفي مقدمة كتاب « نحت حديد الباطل وبرده » : (ممن سمعها أو حفظها من الأئمة الأعلام :

* الإمام إبراهيم بن علي القلقشندي[1] .

* والإمام عبد الرحمن بن أحمد بن فهد ؛ حفظها و« الهمزية » .

وسمعها :

* الإمام أحمد بن محمد بن محمد الجخندي على العز بن جماعة[2] .

* والإمام أحمد بن خليل ٱبن كيكلدي علىٰ يوسف المشهدي[3] .

* والحافظ ٱبن حجر العسقلاني علىٰ محمد ٱبن محمد الغماري[4] .

* والإمام مجد الدين الفيروزأبادي على العز بن جماعة[5] .

* والإمام محمد بن أحمد الفاسي ـ صاحب « العقد الثمين » ـ على الفيروزأبادي .

وسمعتها :

* عائشة بنت أبي بكر المراغي على العز بن جماعة[6] .

---

(١) كما في « الضوء اللامع » (١/ ٧٧) .

(٢) كما في « الضوء اللامع » (٢/ ١٩٩) .

(٣) كما في « المعجم المؤسس » (١/ ٣٦٣) .

(٤) كما في « المعجم المؤسس » (٣/ ٢٤٦) .

(٥) كما في « العقد الثمين » (٢/ ٣٩٣) .

(٦) كما في « الضوء اللامع » (١٢/ ٧٤) .

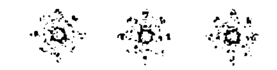
وسمعتها :

* ست الأهل بنت محمد بن فهد علي أحمد المرشدي[1] .

وحفظتها مع « العمدة » و« الأربعين » :

* بيرم أحمد[2]) ، انتهىٰ ما نقلته من مقدمة كتاب « نحت حديد الباطل وبرده »[3] .

وقال الحافظ العسقلاني : (كان محمد بن عثمان أبو البركات خيراً حسن الأخلاق محباً في أهل الحديث ، حدث عن البوصيري بالقصيدة الميمية التي يقال لها « البردة » في المدح النبوي)[4] .



---

(١) كما في « الضوء اللامع » (١٢/ ١٤٧٦) .

(٢) كما في « الضوء اللامع » (١٢/ ١٥) .

(٣) « نحت حديد الباطل وبرده » (ص١١ ـ ١٢) .

(٤) « الدرر الكامنة » (٣/ ٢٧) .

فصل في بعض خواص البردة

ذكر العلامة الباجوري في « حاشيته على البردة » خواصّ كثيرة للبردة أقتصر علىٰ نقل طرف منها لطولها ، قال رحمه الله تعالىٰ في شرحه علىٰ بيت :

نعم سرىٰ طيف من أهوىٰ فأرقني   والحب يعترض اللذات بالألم

(إن من كرر هٰذا البيت بعد صلاة العشاء حتىٰ يغلب عليه النوم . . فإنه يرى المصطفىٰ صلى الله عليه وسلم في منامه إن شاء الله تعالىٰ)[1] .

وقال في شرح بيتي :

يَا لائِمِي في الهَوَى العُذْرِيِّ مَعْذِرَةً   مِني إليكَ وَلَو أنْصَفْتَ لم تَلُمِ

عَدَتْكَ حَالِيَ لا سِرِّي بِمُسْتَتِرٍ   عَنِ الوُشَاةِ ولا دَائِي بِمُنْحَسِمِ

(فائدة هذين البيتين : أنك إذا رأيت منكراً ولم تقدر علىٰ إزالته . . فاكتبهما في ورقة بزعفران ومسك وماء ورد ويكون تفصيل الورقة دائرة ، ثم اجعلها بين عينيك تحت العمامة ؛ فتقوىٰ علىٰ إزالته بإذن الله تعالىٰ ، وإذا أردت أن تقهر نفسك علىٰ إقامة شعائر الدين . . فواظب علىٰ قراءتهما خلف كل صلاة)[2] .

وقال في أبيات :

فَإنَّ أمَّارَتِي بِالسُّوءِ مَا اتَّعَظَتْ   مِنْ جَهْلِهَا بِنَذِيرِ الشَّيْبِ وَالْهَرَمِ

---

(١) « الباجوري على البردة » (ص١٩) .

(٢) « الباجوري على البردة » (ص٢٠) .

وَلا أَعَدَّتْ مِنَ الفِعْلِ الجَمِيْلِ قِرَىٰ ضَيْـفٍ أَلَـمَّ بِرَأْسِـيْ غَيْـرَ مُحْتَشِـمِ
لَـوْ كُنْـتُ أَعْلَـمُ أَنِّـيْ مَـا أُوَقِّـرُهُ كَتَمْـتُ سِـرّاً بَـدَا لِـيْ مِنْـهُ بِالكَتَـمِ

(إن من كانت نفسه غالبة عليه ، وآمتنعت من التوبة ، وعجز عن مخالفة النفس . . فليكتب الأبيات الثلاثة يوم الجمعة بعد الفراغ من صلاتِها ويمحوها بماء الورد ويشربُها ، فإذا شربَها آستمر جالساً مستقبل القبلة حتىٰ يصلي العصر والمغرب ، ويذكر الله تعالىٰ ، ويكرر هٰذه الأبيات في بعض الأوقات أيضاً ، فإنه لا يفارق هٰذا المجلس إلا وقد أنقادت نفسه وحسن حالها إن شاء الله تعالىٰ ويوفقه الله للتوبة)[1] .

وقال في بيتي :

وآخْشَ الدَّسَائِسَ مِنْ جُوْعٍ ومِنْ شِبَعٍ فَـرُبَّ مَخْمَصَـةٍ شَـرٌّ مِـنَ التُّخَـمِ
وآسْتَفْرِغِ الدَّمْعَ مِنْ عَيْنٍ قَدِ آمْتَلأَتْ مِـنَ المَحَـارِمِ وآلْـزَمْ حِمْيَـةَ النَّـدَمِ

(فائدة هٰذين البيتين : أن من قسا قلبه ، وآستولت عليه نفسه ، وكررهما ليلة الجمعة عند السحر . . فإنه لا يصبح إلا وقد رأىٰ رقةً في قلبه وكسراً في نفسه ونُهوض أعضائه في العبادة ، وندم علىٰ ما فرط وتاب الله عليه)[2] .

وفي بيتي :

وخَالِفِ النَّفْسَ والشَّيْطَانَ وآعْصِهِمَا وإنْ هُمَـا مَحَّضَـاكَ النُّصْـحَ فَآتَّهِـمِ
ولا تُطِـعْ مِنْهُمَـا خَصْمـاً وَلا حَكَماً فَأَنْـتَ تَعْـرِفُ كَيْـدَ الخَصْـمِ وَالحَكَمِ

---

(١) « الباجوري على البردة » (ص٢٣) .

(٢) « الباجوري على البردة » (ص٣١) .

(خاصية هذين البيتين : أن من واظب عليهما . . غلب نفسه وشيطانه ، ورزقه الله الحفظ منهما إن شاء الله تعالىٰ)[1] .

وفي أبيات :

أَسْتَغْفِرُ اللهَ مِنْ قَوْلٍ بِلا عَمَلٍ ... لَقَدْ نَسَبْتُ بِهِ نَسْلاً لِذِي عُقُمِ
أَمَرْتُكَ الخَيْرَ لَكِنْ مَا ٱئْتَمَرْتُ بِهِ ... ومَا ٱسْتَقَمْتُ فَمَا قَوْلِي لَكَ ٱسْتَقِمِ
ولا تَزَوَّدْتُ قَبْلَ الْمَوْتِ نَافِلَةً ... وَلَمْ أُصَلِّ سِوَىٰ فَرْضٍ وَلَمْ أَصُمِ

(خاصية هٰذه الأبيات : أن من دخله العجب أو الرياء في علم أو عمل . . كتبها عند طلوع الفجر وكررها إحدىٰ وسبعين مرة ، ثم علق ذلك المكتتب علىٰ عضده الأيسر مائلاً لجهة جنبه ؛ فإنه يتواضع حينئذ ويصير آمناً من العجب والرياء)[2] .

وقال في أبيات :

ظَلَمْتُ سُنَّةَ مَنْ أَحْيَى الظَّلامَ إِلَىٰ ... أَنِ ٱشْتَكَتْ قَدَمَاهُ الضُّرَّ مِنْ وَرَمِ
وشَدَّ مِنْ سَغَبٍ أَحْشَاءَهُ وَطَوَىٰ ... تَحْتَ الحِجَارَةِ كَشْحاً مُتْرَفَ الأَدَمِ
ورَاوَدَتْهُ الجِبَالُ الشُّمُّ مِنْ ذَهَبٍ ... عَنْ نَفْسِهِ فَأَرَاهَا أَيَّمَا شَمَمِ
وأَكَّدَتْ زُهْدَهُ فِيهَا ضَرُورَتُهُ ... إِنَّ الضَّرُورَةَ لا تَعْدُو عَلَى العِصَمِ
وكَيْفَ تَدْعُو إِلَى الدُّنْيَا ضَرُورَةُ مَنْ ... لَوْلاهُ لَمْ تَخْرُجِ الدُّنْيَا مِنَ العَدَمِ

(خاصية هٰذه الأبيات : أن من ثقل عليه قيام الليل ، وغلب عليه النوم والكسل ، ولا زالت نفسه تمتد لراحة الدنيا . . فليكتب هٰذه الأبيات في لوح

---

(١) « الباجوري على البردة » (ص٣٢) .

(٢) « الباجوري على البردة » (ص٣٥ـ٣٦) .

ويجعله عند رأسه ، فيتزين له حينئذ العمل الصالح وتحدثه نفسه بأمور الآخرة)[1] .

وفي بيتي :

نَبِيُّنَا الآمِرُ النَّاهِي فَلا أَحَدٌ	أَبَرَّ فِي قَوْلِ لا مِنْهُ وَلا نَعَمِ
هُوَ الحَبِيبُ الَّذِي تُرْجَىٰ شَفَاعَتُهُ	لِكُلِّ هَوْلٍ مِّنَ الأَهْوَالِ مُقْتَحِمِ

(خاصيتهما : **التخلص من الوقوع في الشدائد ، فمن واظب علىٰ قراءتهما** . . خلص من الوقوع في الشدائد ، **ومن وقع في شدة قبل قراءتهما وكرر قراءتهما في جوف الليل وتوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم . . رفعت عنه تلك الشدة)**[2] .

وقال في بيت :

دَعَا إِلَى اللهِ فَالمُسْتَمْسِكُونَ بِهِ	مُسْتَمْسِكُونَ بِحَبْلٍ غَيْرِ مُنْفَصِمِ

(**فائدة هٰذا البيت : حفظ الإيمان والأمان من سلبه بأن يقال بعد كل صلاة عشر مرات مفتتحة بالصلاة والسلام على النبي بصيغة مخصوصة ، وهي :** اللهم ؛ صل وسلم علىٰ نبيك البشير الداعي إليك بإذنك السراج المنير)[3] .

وفي بيتي :

مَا سَامَنِي الدَّهْرُ ضَيْماً وَٱسْتَجَرْتُ بِهِ	إِلَّا ونِلْتُ جِوَاراً مِنْهُ لَمْ يُضَمِ

(1) « الباجوري على البردة » (ص٣٦) .
(2) « الباجوري على البردة » (ص٤٣) .
(3) « الباجوري على البردة » (ص٤٤) .

وَلا ٱلتَمَسْتُ غِنَى الدَّارَيْنِ مِنْ يَدِهِ إلَّا ٱسْتَلَمْتُ النَّدَىٰ مِنْ خَيْرِ مُسْتَلَمِ

(فائدة هٰذين البيتين : أن من كان مسجوناً أو خائفاً من سلطان ، وداوم علىٰ قراءتهما سبع عشرة مرة بعد كل صلاة . . فإن الله يفرج عنه همه ، ويجعل له من أمره مخرجاً)[1] .

وفي هٰذين البيتين :

لا تُنْكِرِ الوَحْيَ مِنْ رُؤْيَاهُ إنَّ لَهُ قَلْباً إذَا نَامَتِ العَيْنَانِ لَمْ يَنَمِ
وَذَاكَ حِينَ بُلُوغٍ مِنْ نُبُوَّتِهِ فَلَيْسَ يُنْكَرُ فِيهِ حَالُ مُحْتَلِمِ

(فائدة هٰذين البيتين : الخفة من المرض ، من كتبهما في صحيفةٍ فَخَارٍ ومحاهما بشراب العرقسوس ، وشربهما على الريق . . فإنه يخف بإذن الله تعالىٰ)[2] .

وقال في شرح هٰذه الأبيات :

فَمَا تَطَاوَلَ آمَالُ المَدِيحِ إلَىٰ مَا فِيهِ مِنْ كَرَمِ الأَخْلاقِ والشِّيَمِ
آيَاتُ حَقٍّ مِنَ الرَّحْمٰنِ مُحْدَثَةٌ قَدِيْمَةٌ صِفَةُ المَوْصُوفِ بِالقِدَمِ
لَمْ تَقْتَرِنْ بِزَمَانٍ وَهْيَ تُخْبِرُنَا عَنِ المَعَادِ وعَنْ عَادٍ وعَنْ إرَمِ
دَامَتْ لَدَيْنَا فَفَاقَتْ كُلَّ مُعْجِزَةٍ مِنَ النَّبِيِّينَ إذْ جَاءَتْ ولَمْ تَدُمِ
مُحَكَّمَاتٌ فَمَا تُبْقِينَ مِنْ شُبَهٍ لِذِي شِقَاقٍ وَلا تَبْغِينَ مِنْ حَكَمِ
مَا حُورِبَتْ قَطُّ إلَّا عَادَ مِنْ حَرَبٍ أَعْدَى الأعَادِي إلَيْهَا مُلْقِيَ السَّلَمِ

---

(١) « الباجوري على البردة » (ص٨٣) .

(٢) « الباجوري على البردة » (ص٨٥) .

رَدَّتْ بَلاغَتُهَا دَعْوَىٰ مُعَارِضِهَا   رَدَّ الغَيُوْرِ يَدَ الجَانِي عَنِ الحُرُمِ
لَهَا مَعَانٍ كَمَوْجِ البَحْرِ فِي مَدَدٍ   وفَوْقَ جَوْهَرِهِ فِي الحُسْنِ والقِيَمِ
فَمَا تُعَدُّ ولا تُحْصَىٰ عَجَائِبُهَا   وَلا تُسَامُ عَلَى الإِكْثَارِ بِالسَّأَمِ
قَرَّتْ بِهَا عَيْنُ قَارِيهَا فَقُلْتُ لَهُ   لَقَدْ ظَفِرْتَ بِحَبْلِ الله فَاعْتَصِمِ
إنْ تَتْلُهَا خِيْفَةً مِنْ حَرِّ نَارِ لَظَىٰ   أطْفَأْتَ حَرَّ لَظَىٰ مِنْ وِرْدِهَا الشَّبِمِ
كَأَنَّهَا الحَوْضُ تَبْيَضُّ الوُجوهُ بِهِ   مِنَ العُصَاةِ وقَدْ جَاءُوْهُ كَالحُمَمِ
وكَالصِّرَاطِ وكَالمِيْزَانِ مَعْدِلَةً   فَالقِسْطُ مِنْ غَيْرِهَا فِي النَّاسِ لَمْ يَقُمِ
لا تَعْجَبَنْ لِحَسُوْدٍ رَاحَ يُنْكِرُهَا   تَجَاهُلاً وَهْوَ عَيْنُ الحَاذِقِ الفَهِمِ
قَدْ تُنْكِرُ العَيْنُ ضَوْءَ الشَّمْسِ مِنْ رَمَدٍ   ويُنْكِرُ الفَمُ طَعْمَ المَاءِ مِنْ سَقَمِ

(خاصية هٰذه الأبيات : لمن كان لا يحسن العبادة ، ولمن كان لكن لا تستقيم له حجة . . فليكتب هٰذه الأبيات في صحفة فخار بماء ورد وزعفران ويمحها ويشربها عند إرادة النوم وقيامه من النوم ، فإنه يصير فصيح اللسان ، وتقوىٰ حجته ، ويرزقه الله القوة على العبادة بإذن الله تعالىٰ)[1] .

وفي أبيات :

هُمُ الجِبَالُ فَسَلْ عَنْهُمْ مُصَادِمَهم   مَاذَا رَأَىٰ مِنْهُمُ فِي كُلِّ مُصْطَدَمِ
وسَلْ حُنَيْناً وسَلْ بَدْرًا وسَلْ أحُداً   فُصولَ حَتْفٍ لَهُمْ أدْهَى مِنَ الوَخَمِ
المُصْدِرِي البِيضِ حُمْراً بَعْدَمَا وَرَدَتْ   مِنَ العِدَا كُلَّ مُسْوَدٍّ مِنَ اللِّمَمِ
والكَاتِبِينَ بِسُمْرِ الخَطِّ مَا تَرَكَتْ   أقْلامُهُم حَرْفَ جِسْمٍ غَيْرَ مُنْعَجِمِ
شَاكِي السِّلَاحِ لَهُمْ سِيمَا تُمَيِّزُهُمْ   والوَرْدُ يَمْتَازُ بِالسِّيمَا مِنَ السَّلَمِ

---

(١) « الباجوري على البردة » (ص٩٤) .

تُهْدِي إِلَيْكَ رِيَاحُ النَّصْرِ نَشْرَهُمُ فَتَحْسِبُ الزَّهْرَ فِي الأَكْمَامِ كُلَّ كَمِي
كَأَنَّهُمْ فِي ظُهُورِ الخَيْلِ نَبْتُ رُبَىً مِنْ شِدَّةِ الحَزْمِ لا مِنْ شَدَّةِ الحُزُمِ
طَارَتْ قُلُوبُ العِدَا مِنْ بَأْسِهِمْ فَرَقاً فَمَا تُفَرِّقُ بَيْنَ البَهْمِ وَالبُهَمِ

(خاصية هٰذه الأبيات : أن من كتبها علىٰ باب بلد أو دار أو بستان ما دامت مكتوبة . . لا يصل إلىٰ ذلك سارق ولا دود ولا غير ذلك .

قال قائلُ هٰذه الفائدة : قد جربت في القمح والشعير وغيرهما .

وقال أيضاً : كتبت هٰذه الأبيات علىٰ باب دار ، فجاء السارق ، فسمع صوتاً في الدار فرجع ، ثم قال لأصحابه ذلك ، فأخبروه أن صاحب البيت غائب جمعتين ، ثم رجع ثاني ليلة فسمع فيه صوتاً يقول له : ما غبت ومنعه الله ببركة هٰذه الأبيات)[١] .

وفي أبيات :

وَمَنْ تَكُنْ بِرَسُولِ اللهِ نُصْرَتُهُ إِنْ تَلْقَهُ الأُسْدُ فِيْ آجَامِهَا تَجِمِ
وَلَنْ تَرَىٰ مِنْ وَلِيٍّ غَيْرِ مُنْتَصِرٍ بِهِ وَلاَ مِنْ عَدُوٍّ غَيْرَ مُنْقَصِمِ
أَحَلَّ أُمَّتَهُ فِيْ حِرْزِ مِلَّتِهِ كَاللَّيْثِ حَلَّ مَعَ الأَشْبَالِ فِيْ أَجَمِ

(خاصيتها : أن من كان خائفاً في بحر أو بر وكتبها بريقه في كفه وأراها للسباع . . فإنها تذهب بإذن الله تعالىٰ عنه)[٢] .

وفي أبيات :

(١) « الباجوري على البردة » (ص١٢٥) .

(٢) « الباجوري على البردة » (ص١٣٢) .

خَدَمْتُـهُ بِمَدِيـحٍ أسْـتَقِيلُ بِـهِ	ذُنُوبَ عُمْرٍ مَضَىٰ فِي الشِّعْرِ وَالخِدَمِ
إِذْ قَلَّدَانِـيَ مَـا تُخْشَـىٰ عَوَاقِبُـهُ	كَأَنَّنِـي بِهِمَـا هَـدْيٌ مِـنَ النَّعَـمِ
أطَعْتُ غَيَّ الصِّبَا فِي الحَالَتَيْنِ ومَا	حَصَّلْـتُ إِلَّا عَلَـى الآثَـامِ وَالنَّـدَمِ
فَيَـا خَسَـارَةَ نَفْـسٍ فِـي تِجَارَتِـهَا	لَـمْ تَشْـتَرِ الدِّيـنَ بِالدُّنْيَا وَلَـمْ تَسُـمِ
وَمَــنْ يَبِـعْ آجِـلاً مِّنْـهُ بِعَاجِلِـهِ	يَبِـنْ لَـهُ الغَبْـنُ فِـي بَيْـعٍ وَفِـي سَـلَمِ
إنْ آتِ ذَنْباً فَمَـا عَهْـدِي بِمُنْتَقِـضٍ	مِـنَ النَّبِـيِّ وَلا حَبْلِـي بِمُنْصَـرِمِ
فَـإِنَّ لِـي ذِمَّـةً مِّنْـهُ بِتَسْـمِيَتِي	مُحَمَّـداً وَهْـوَ أوْفَـى الخَلْـقِ بِالذِّمَـمِ
إنْ لَـمْ يَكُنْ فِـي مَعَادِي آخِـذاً بِيَدِي	فَضْـلاً وإِلَّا فَقُـلْ يَـا زَلَّـةَ القَـدَمِ
حَاشَـاهُ أنْ يُحْـرِمَ الرَّاجِـي مَكَارِمَـهُ	أوْ يَرْجِـعَ الجَـارُ مِنْـهُ غَيْـرَ مُحْتَـرَمِ
وَمُنْـذُ أَلْزَمْـتُ أفْـكَارِيْ مَدَائِحَـهُ	وَجَدْتُـهُ لِخَلاصِـي خَيْـرَ مُلْتَـزِمِ
ولَـنْ يَفُـوْتَ الغِنَـىٰ مِنْـهُ يَـداً تَرِبَتْ	إنَّ الحَيَـا يُنْبِـتُ الأزْهَـارَ فِـي الأكَـمِ
ولَـمْ أُرِدْ زَهْـرَةَ الدُّنْيَا الَّتِـي اقْتَطَفَتْ	يَـدَا زُهَيْـرٍ بِمَـا أثْنَـىٰ عَلَـىٰ هَـرِمِ

(خاصية هٰذه الأبيات : للملسوع ، تكتب بماء المطر والورد وتمحىٰ ويشربُها ، فإنّها تزول سريعاً بإذن الله تعالىٰ)[1] ، انتهىٰ ما نقلته من حاشية الإمام الشيخ إبراهيم البيجوري .

وذكروا أيضاً خواصَّ كثيرة لـ« البردة » ، منها : ما ذكره الشيخ حسن محمد شداد بن عمر باعمر في كتابه « كيفية الوصول لرؤية سيدنا الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم » ، فقد قال : أخبرني السيد أحمد مشهور طه الحداد أن بعض المحبين جاء إليه وطلب منه أن يرى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام ، وأمره بقراءة هٰذا البيت من « البردة » ، وكلما قرأ هٰذا البيت مرة واحدة يصلي

(١) « الباجوري على البردة » (ص١٣٨) .

على النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم عشر مرات ، وٱمتثل الطالب ذلك الأمر ، وقرأ وصلىٰ علىٰ سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورآىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم وٱستبشر بتلك البشرى العظيمة ، والبيت قوله في « البردة » :

نعم سرىٰ طيف من أهوىٰ فأرقني والحب يعترض اللذات بالألم

وقال بعضهم : يقرأ منه عدد خاص وهو أن تقرأ هٰذا البيت المبارك أربعين مرة[1] .

وقال آخرون : يكرر هٰذا البيت إلىٰ أن يغلبه النوم ، كما أخبرني بذلك أخي الحاج عمر محمد عبد الله شداد ، وقد أخبره بذلك والدنا الإمام الشيخ محمد عبد الله شداد[2] .

وعن الحبيب عمر محمد سالم بن حفيظ : من قرأ « بردة المديح » وقرأ بعد كل بيت منها :

مولاي صل وسلم دائماً أبداً علىٰ حبيبك خير الخلق كلهم

تكثر رؤياه النبي صلى الله عليه وسلم[3] اهـ .

تنبيه

فإن قيل : قد لا توجد هٰذه الخواص والمنافع المذكورة . . فيظن الظانّ أنها غير صحيحة وأنها لم تثبت عن أحد يعتمد عليه ، فلذا لا طائل تحتها ولا فائدة

---

(١) « كيفية الوصول لرؤية سيدنا الرسول صلى الله عليه وسلم » (ص٩١) .

(٢) « كيفية الوصول لرؤية سيدنا الرسول صلى الله عليه وسلم » (ص٧٨) .

(٣) « كيفية الوصول لرؤية سيدنا الرسول صلى الله عليه وسلم » (ص٨٥) .

فيها ؟!

قلت : قال الحافظ القسطلاني في « المواهب اللدنية » في المقصد الثامن في طبه صلى الله عليه وسلم لذوي الأمراض والعاهات ما حاصله : (ههنا أمر ينبغي أن يتفطن له ، نبه عليه ابن القيم ، وهو أن الآيات والأذكار والأدعية التي يستشفىٰ بها ويرقىٰ بها هي في نفسها نافعة شافية ، ولكن تستدعي قبول المحل وقوة همة الفاعل وتأثيره ، فمتىٰ تخلف الشفاء كان لضعف تأثير الفاعل ، أو لعدم قبول المحل المنفعل ، أو لمانع قوي فيه يمنع أن ينجع فيه الدواء ، كما يكون ذلك في الأدوية والأدواء الحسية ، فإن عدم تأثيرها لعدم قبول الطبيعة لذلك الدواء)[1] .

ثم قال القسطلاني : (ومن أنفع الأدوية : الدعاء ، وهو عدو البلاء ، يدافعه ويعالجه ويرفعه أو يخففه إذا نزل ، وهو سلاح المؤمن ، ومن أقوى الأسباب في رفع المكروه وحصول المطلوب ، ولكن قد يتخلف أثره عنه إما لضعفه في نفسه بأن يكون دعاء لا يحبه الله لما فيه من العدوان ، وإما لضعف القلب وعدم إقباله على الله وجمعيته عليه وقت الدعاء ، وإما لحصول المانع عن الإجابة من أكل الحرام والظلم ورين الذنوب على القلوب ، واستيلاء الغفلة والسهو واللهو ، وقد روى الحاكم حديث : « واعلموا ؛ أنَّ الله لا يقبل دعاء من قلب غافل لاه »[2])[3] .

وقال أيضاً : (وإذا جمع مع الدعاء حضور القلب ، والجمعية بالكلية

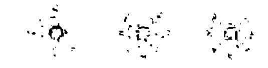
---

(١) « المواهب اللدنية » (٣/ ٤٢١ـ ٤٢٢) .

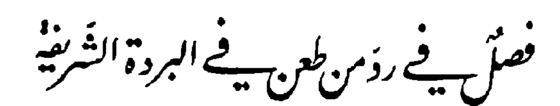
(٢) أخرجه الحاكم في « المستدرك » (٢/ ١٦٤) .

(٣) « المواهب اللدنية » (٣/ ٤٢٢) ببعض تصرف .

على المطلوب ، وصادف وقتاً من أوقات الإجابة ، كثلث الليل الأخير مع الخضوع والانكسار والذل والتضرع ، واستقبال القبلة والطهارة ورفع اليدين ، والبداءة بالحمد والثناء علىٰ الله والصلاة والتسليم علىٰ سيدنا محمد بعد التوبة والاستغفار والصدقة ، وألحّ في المسألة وأكثر التملق والدعاء والتوسل إليه بأسمائه وصفاته ، والتوجه بنبيه صلى الله عليه وسلم . . فإن هٰذا الدعاء لا يكاد يرد أبداً ، لا سيما إن دعَا بالأدعية التي أخبر صلى الله عليه وسلم أنّها مظنة الإجابة ، أو أنّها متضمنة للاسم الأعظم)[1] اهـ .



(١) « المواهب اللدنية » (٣/ ٤٢٢ ـ ٤٢٣) .



فصل في رد من طعن في البردة الشريفة

قال الشيخ بسام محمد بارود في تعليقه على شرح ابن حجر على « البردة » المسمى « العمدة » في شرح بيت :

عدتك حالي لا سري بمستتر   عن الوشاة ولا دائي بمنحسم

(وما أكثر الوشاة في أيامنا هٰذه ولو كان بعضهم يتزيىٰ بلباس أهل العلم والدين إلا أنه يحمل في صدره قلباً أسود قاسياً ، لا همّ له إلا أن يفسد على الناس عقيدتهم في محبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بحجة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، متظاهراً بدعوته إلىٰ عدم المبالغة في مدح هٰذا الجناب الشريف .

ولا يترك مناسبة من المناسبات المباركة سواء مولد الرسول صلىٰ الله عليه وآله وسلم أو غيرها من المناسبات التي اعتاد الناس إحياءها بمديح هٰذا الجناب المبارك ، أو إحياء ليلة مولده الشريف إلا وينتصب هٰذا الداعية السوء لمنع الناس عن ذلك بحجج واهية باطلة فاسدة ، وإلا . . فقل لي يا أخي المسلم المحب لهٰذا الرسول العظيم ، قل لي بربك : **هل عرف قدر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا الله ؟! فماذا يقول المادحون بمدحه ؟! ومهما قالوا هل بلغوا بعضاً من حقه ؟!**

قل لي بربك : وأي شيء يفعله المحتفلون بمولد سيد الكائنات عليه من الله أفضل الصلوات إلا قراءة قرآن ، ثم إظهار الفرح بمولد سيد الكائنات ، والتلذذ

بسيرته الشريفة المباركة ، والحث علىٰ محبته والتأسي بسنته ، ثم التمدح بذكر شمائله وخصائصه مما حباه الله من حسن الأخلاق ومكارم الصفات ؟! هل في الموالد التي تقام في العالم الإسلامي غير هٰذا ؟!

لكن رسل الشيطان من بني الإنسان يأبون إلا أن يشوشوا على الناس عقولهم وعقيدتهم ، فيطلعون عليهم في كل مناسبة ما يمنعهم ويحجبهم عن إظهار محبتهم والتعبير عنها بتلك الاحتفالات ، فإياك إياك من سماع كلام قطاع الطرق إلى الله وإلىٰ رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، وكن علىٰ يقين بأنك علىٰ ما انتهجه السلف الصالح الثقات من هٰذه الأمة رضي الله عنهم ، ووفقنا لنهج مسلكهم علىٰ ما يرضي الله ورسوله)[1] اهـ .

وقال الشيخ يوسف خطار محمد في « الموسوعة اليوسفية » : (نصيحتي أن أقول : يجب عليك إذا كنت ممن يرضىٰ بما قال الله ورسوله أن تنقاد للحق وتخضع ، وتصم سمعك عن الافتراء ، ولا تصحب من كذب وافترىٰ ، وأن تصون لسانك عن الجدل والمراء والكذب ، وأن تكون مفتاحاً للخير مغلاقاً للشر ، تجمع المسلمين ولا تفرقهم ، فقد قال المصطفىٰ صلى الله عليه وسلم : « بشروا ولا تنفروا ، ويسرو ولا تعسروا »[2] .

ولا داعي لمحاربة الذاكرين المحبين للصالحين ، وهٰذا نوع من أنواع تحريش الشيطان بين المسلمين ، فلا تكن بريداً له ، وإياك أن تقطع الناس عن طريق الذاكرين الصالحين ، فعندما تقطعهم عن أهل الذكر والصلاح يَتَصيَّدُهم

---

(١) « العمدة » (ص١٣٢ ـ ١٣٤) .

(٢) أخرجه أبو داود (٤٨٠٢) .

الشيطان، ومحاربة إبليس وجنوده وما نرىٰ من الكبائر التي تهز عرش الرحمن والتي تحصل عياناً، ولا تُنْكَر وكأنها جائزة فمحاربتها أولىٰ.

وهٰذا ما يقوله أي إنسان فيه حرارة الإيمان الصادق والوعي الناضج)[1].

واعلم أن طائفة من المبتدعة أنكرت على البوصيري أبياتاً من «البردة» ونسبت إليه ما لا يليق بمسلم ذي مروءة أن يتفوّه به، منها:

* قوله: (أقسمت بالقمر... إلخ).

* وقوله: (يا أكرم الخلق... إلخ).

* وقوله: (فإن من جودك الدنيا وضرتَّها... إلخ).

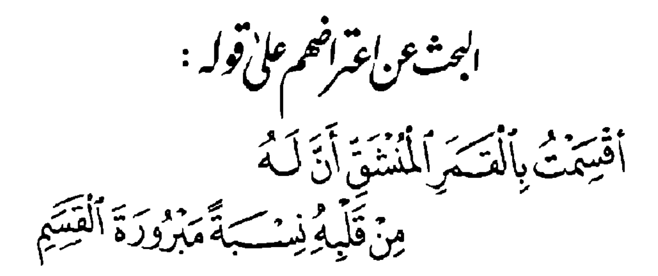
* وقوله: (لعل رحمة ربي حين يقسمها... إلخ).

فلنتكلّم علىٰ ذلك بما يزيل إن شاء الله بُهتانَهم ويدحض أباطيلهم وتمويهاتهم، والله الهادي إلىٰ سواء السبيل.



---

(١) «الموسوعة اليوسفية» (ص٣٧٣).



وٱعلم أنهم ٱعترضوا على البوصيري رحمه الله تعالىٰ في هٰذا البيت ، فقالوا : حلف بغير الله ، وقد ورد النهي عن الحلف بغيره تعالىٰ ، فحلفه بالقمر خطأ كبير ، وٱرتكاب ما نَهىٰ عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والجواب عن ذلك : أن قوله (بالقمر) بتقدير مضاف ، والمعنىٰ : أقسمت برب القمر ، وحذف المضاف في مثل هٰذا شائع في المخاطبات ومجاري الكلام ، بل وفي القرآن الكريم مواضع كثيرة يقدر فيها المضاف ؛ كقوله تعالىٰ : ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾[1] ـ أي : أهل القرية ـ ، وقوله تعالىٰ : ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾[2] ـ أي : أمره وقضاؤه ـ .

وقد ورد الحلف بغير الله في الأحاديث المرفوعة والموقوفة : فقد روىٰ أبو داود وٱبن حبان وٱبن خزيمة والبيهقي ومسلم واللفظ له ، عن أبي سهيل ، عن أبيه أنه سمع طلحة بن عبيد الله يقول : جاء رجل إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل نجد ثائر الرأس ، نسمع دوي صوته ولا نفقه ما يقول حتىٰ دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإذا هو يسأل عن الإسلام ، فقال رسول

---

(١) يوسف : ٨٢ .

(٢) فجر : ٢٢ .

الله صلى الله عليه وسلم : « خمس صلوات في اليوم والليلة » ، فقال : (هل عليَّ غيرهنّ ؟) ، قال : « لا ؛ إلا أن تطوع ، وصيام شهر رمضان » ، فقال : (هل عليَّ غيره ؟) ، فقال : « لا ؛ إلا أن تطوع » ، وذكر له رسول الله صلى الله عليه وسلم الزكاة ، فقال : (هل عليَّ غيرها ؟) ، قال : « لا ؛ إلا أن تطوع » ، قال : فأدبر الرجل وهو يقول : (والله ؛ لا أزيد علىٰ هٰذا ولا أنقص منه) ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أفلح وأبيه إن صدق » ، أو : « دخل الجنة وأبيه إن صدق »[1] .

وقال الحافظ العسقلاني في « الفتح » في باب لا تحلفوا بآبائكم : (قوله صلى الله عليه وسلم « أفلح وأبيه » : فيه أجوبة كثيرة ، منها : أن في الكلام حذفاً تقديره : أفلح ورب أبيه)[2] اهـ .

وقال الزُّرقاني في « شرح الموطأ » في باب جامع الأيمان قوله صلى الله عليه وسلم : (« أفلح وأبيه إن صدق » : أحسن الأجوبة ما قاله البيهقي وارتضاه النووي وغيره : إن هٰذا اللفظ كان يجري علىٰ ألسنتهم من غير أن يقصدوا به القسم ، والنهي إنما ورد في حق من قصد حقيقة الحلف أو أن في الكلام حذفا أفلح ورب أبيه)[3] اهـ .

وروىٰ مسلم في « صحيحه » عن أبي هريرة قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : (يا رسول الله ؛ أي الصدقة أعظم أجراً ؟) ، فقال : « أما وأبيك ؛ لتنبأنّه أن تصدّق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل البقاء ، ولا

---

(١) أخرجه مسلم (٨ ـ ٩) .

(٢) « فتح الباري » (١٥/ ٢٧٩) .

(٣) « شرح الموطأ » للزرقاني (٣/ ٩١ ـ ٩٢) .

تمهل حتىٰ إذا بلغت الحلقوم ، قلت : لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان »[1] .

وروى الإمام مالك في « الموطأ » أن رجلاً من أهل اليمن أقطع اليد والرِجل ، قدم فنزل علىٰ أبي بكر ، فشكىٰ إليه أن عامل اليمن قد ظلمه ، فكان يصلي من الليل ، فقال أبوبكر : (وأبيك ؛ ما ليلك بليل سارق ؟!) ، ثم إنّهم فقدوا عقداً لأسماء بنت عميس ـ امرأة أبي بكر الصديق ـ ، فجعل الرجل يطوف معهم ويقول : (اللهم ؛ عليك بمن بيّت أهل هٰذا البيت الصالح) ، فوجدوا الحلي عند صائغ زعم أن الأقطع جاءه به ، فاعترف به الأقطع أوشُهد عليه به ، فأمر به أبوبكر الصدّيق فقطع يده اليسرىٰ وقال أبو بكر : (والله ؛ لدعاؤه علىٰ نفسه أشدّ عندي عليه من سرقته)[2] اهـ .

وقال الزرقاني في شرح قوله (وأبيك) : (هٰذا قسم علىٰ معنىٰ : ورب أبيك ، أو كلمة جرت علىٰ لسان العرب ولا يقصدون بها القسم)[3] .

واعلم أن الحلف بالآباء ورد فيه نَهي خاص وقد عقد له البخاري بابا في النهي عن الحلف بالآباء .

فروىٰ عن عمر رضي الله عنه أنه قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم » .

ورویٰ عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أدرك عمر بن الخطاب وهو يسير في ركب يحلف بأبيه ، فقال : « ألا إن

---

(١) أخرجه مسلم (١٠٣٢) .

(٢) أخرجه مالك في « الموطأ » (ص٨٣٥ ـ ٨٣٦) .

(٣) « شرح الموطأ » للزرقاني (٤/ ٢٠) .

الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم ، من كان حالفاً . . فليحلف بالله أو ليصمت »[1] .

وقال الحافظ العسقلاني في « الفتح » : في هٰذا الحديث أن من حلف بغير الله مطلقاً لم تنعقد يمينه ، وٱستثنىٰ بعض الحنابلة الحلف بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقال : تنعقد به اليمين وتجب الكفارة بالحنث ، فٱعتل بكونه أحد ركني الشهادة التي لا تتم إلا به)[2] اهـ .

فإذا جاز التأويل في الحلف بالآباء مع ورود النهي الخاص فيه ، فأولىٰ منه في التأويل غيرُه مما لم يرد فيه نَهي خاص به ؛ كالقمر في البيت المذكور .

هٰذا ؛ وقد كان الصحابي الجليل عثمان بن أبي العاص يحلف بقوله : (لعمري) ، فقد قال ٱبن أبي شيبة رحمه الله في « المصنف » : حدثنا ٱبن علية ، عن عيينة بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، قال : (كانت يمين عثمان بن أبي العاص لعمري)[3] ، وخالفه آخرون ، فكرهوا هٰذا اللفظ .

حكم الحلف بغير الله تعالىٰ عند الشافعية

ٱعلم أن البوصيري رحمه الله كان شافعي المذهب ، وحكم الحلف بغير الله تعالىٰ عند الشافعية الكراهة ، وحملوا النهي الوارد في ذلك على الكراهة كما صرح به كثيرون من أئمتهم ، منهم : محرر المذهب الإمام النووي ، فقد قال في « شرح مسلم » في شرح حديث « إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم ،

(١) أخرجه البخاري (٦٦٤٦) .

(٢) « فتح الباري » (١٥/ ٢٧٩) .

(٣) « مصنف ٱبن أبي شيبة » (٧/ ٥٥١) .

فمن كان حالفاً . . فليحلف بالله أو ليصمت »[1] : (في هٰذا الحديث النهي عن الحلف بغير أسمائه سبحانه وتعالىٰ وصفاته ، وهو عند أصحابنا مكروه ليس بحرام)[2] اهـ .

وقد عقد ٱبن المقري فصلاً لهٰذا المسألة ، ففي كتابه « الروض » وشرحه لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري ، فقال : (فصل : الحلف بالمخلوق لا بسبق لسان مكروهٌ كالنبي والكعبة وجبريل والصحابة لخبر الصّحيحين : « إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم ، فمن كان حالفاً . . فليحلف بالله أو ليصمت » ، ولخبر : « لا تحلفوا بآبائكم ولا بأمهاتكم ولا بالأنداد ولا تحلفوا إلا بالله » ، رواه النّسائيّ وٱبن حبّان وصحّحه[3] .

قال الإمام : وقولُ الشّافعيّ : أخشىٰ أن يكون الحلف بغير الله معصية ، محمول على المبالغة في التّنفير من ذلك ، فلو حلف به لم ينعقد يمينه)[4] اهـ .

وصرح بالكراهة أيضاً ٱبن حجر الهيتمي في « تحفة المحتاج بشرح المنهاج » ، والخطيب الشربيني في « مغني المحتاج بشرح المنهاج » ، وعبارته : (لا تنعقد اليمين بالمخلوقات ؛ كوحق النّبيّ ، وجبريل ، والملائكة ، والكعبة ، وفي « الصّحيحين » : « إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم ، فمن كان حالفاً . . فليحلف بالله أو ليصمت »)[5] .

---

(١) أخرجه مسلم (١٦٤٦) .

(٢) « شرح مسلم » للنووي (١١/ ١٥٢) .

(٣) أخرجه النسائي (٤/ ٨) .

(٤) « أسنى المطالب » (٤/ ٢٤٢) .

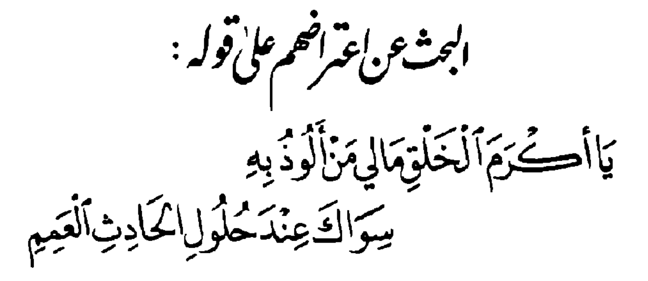
(٥) « تحفة المحتاج » (١٠/ ٣) ، « مغني المحتاج » (٦/ ١٨١) .

والحلف بذلك مكروه، وما روى الحاكم عن ابن عمر رضي الله تعالىٰ عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلّم قال: «من حلف بغير الله.. فقد كفر»[1]، وروي: «فقد أشرك»، حمل علىٰ من اعتقد فيما حلف به من التّعظيم ما يعتقده في الله تعالىٰ.

فالحاصل: أنه يؤوّل قسمه هٰذا كما أُوِّلَ قولُه صلى الله عليه وسلم: وأبيه وقولُ الصديق رضي الله عنه: وأبيك، فاتضح أنه لا ملام حينئذ على البوصيري، وحتىٰ إذا لم يؤوّل لم يكن عليه غير الكراهة، وإذا أطلقت الكراهة فهي تقع علىٰ كراهة التنزيه التي لا يعاقب عليها، فالاعتراض عليه بما في هٰذا البيت تعسف وتكلف بما لا طائل تحته، ولا يخدش رونق هٰذه القصيدة ولا شرف مؤلفها، فلله الحمد وله الشكر.

---

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/ ٢٣٣).



ٱعلم أنّهم ٱعترضوا على البوصيري رحمه الله تعالىٰ في هٰذا البيت ونسبوا إليه كل سوء ظلماً وٱعتداءً ، والذي نقموا عليه :

* إما أن يكون من النداء والخطاب في (يا أكرم الخلق) و(سواك) ؛ فإنّهم يمنعون خطاب ونداء رسول الله صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء والصالحين بعد وفاتهم .

* وإما أن يكون من التوسل به صلى الله عليه وسلم وطلب الشفاعة منه عليه الصلاة والسلام ؛ فإنّهم ينكرون التوسل بالرسول الأكرم والسيد الأفخم ، ذي الجاه الأعظم ، عند ذي الجلال والإكرام ، وبسائر الأنبياء والصالحين .

* وإما أن يكون من مدحه صلى الله عليه وسلم بالشعر ؛ فإنّهم يكرهون القصائد والمدائح النبوية الشعرية ، وإنّهم يجهلون أو يتجاهلون أنه كالنثر ، إن كان في خير كهجاء الكفار والردِّ على المبتدعة والموعظة الحسنة ونحوها فهو خير ، وإن كان في شر فهو شر .

فلنتكلم أولاً عن معنىٰ هٰذا البيت ، ثم عن نظائر هٰذا البيت التي أنشدت في حضرة من لا يسكت علىٰ منكَرٍ صلى الله عليه وسلم ، ثم نظائره التي قالها بعض أكابر العلماء من بعده صلى الله عليه وسلم ، ثم سروره بمدائحه التي قيلت في

حضرته عليه الصلاة والسلام ، ثم عن خطاب ونداء رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موته وسائر الأموات ، ثم عن التوسل به صلى الله عليه وسلم ، ثم عن الاستعاذة برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم عن الأبيات التي أنشدت في حضرته صلى الله عليه وسلم ، ثم عن الأبيات التي تمثل بها عليه الصلاة والسلام .

معنىٰ هٰذا البيت

قال العلامة الهيتمي : (معنىٰ ما لي من ألوذ به ؛ أي : ليس لي أحد من الخلائق ألتجئ إليه (سواك) أي : غيرك ، (عند حلول الحادث) أي : نزول الأمر الحاصل بعد أن لم يكن ، (العمم) ـ بفتح العين وكسر الميم ـ أي : الشامل لجميع الخلق ، وهو هول يوم القيامة حين يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه ، وتذهل كل مرضعة عما أرضعت ، وترى الناس سكارىٰ وما هم بسكارىٰ ولكن عذاب الله شديد ، يوم يقول كل آمرئ : نفسي نفسي ، وتقول أنت يا أكرم الخلق : أمتي أمتي)[1] اهـ .

هٰذا هو المعنى الذي تدلّ عليه ألفاظ هٰذا البيت دلالة واضحة بلا تأويل وتكلف ، وهو المعنى الذي يفهمه منه كلُّ من عرف اللغة العربية ، وبه فسره كلُّ من رأيته ممن وضع شرحاً على « البردة » أو حاشيةً أو تقريراً ، فمن أَوَّلَه علىٰ غير ما دَلَّت عليه ألفاظه مما لا يحتمله ولو بعيداً فهو مما توسوس به نفسه ، وسَوَّلَ له شيطانه ، فعياذاً بالله من إيذاء المؤمنين والمؤمنات بغير ما آكتسبوا ، ومن تحريف معاني الألفاظ وتغييرها ، وتزييف الحق وتزيين الباطل .

---

(١) « العمدة » (ص٦٥٩ ـ ٦٦١) .

وقال الشيخ علي زين العابدين الجفري : (الشرح يزيل لبساً طرأ علىٰ بعض من قرأ أو استمع « البردة » إما لعدم فهم لمعاني أبيات منها لقصور في اللغة أو العلم ، أو لعدم تفهم بسبب خلفية في ذهن القارئ والمستمع ونفسه أدىٰ إلىٰ حمل الكلام علىٰ غير محله كسوء الفهم الذي وقع من البعض لقول الناظم :

يَا أَكْرَمَ الخَلْقِ مَا لِي مَنْ أَلُوذُ بِهِ سِوَاكَ عِنْدَ حُلُولِ الحَادِثِ العَمِمِ

واعتقاده أن هٰذا لا يليق والأدب مع الله كما في الكتاب ، أو يمس التوحيد والعياذ بالله ، ولو تأمل المعترض معنى الحادث العمم لعلم أنه يوم القيامة ، والبيت يشير إلى الشفاعة العظمى التي ورد حديثها في البخاري وغيره من الصحاح ، والذي يلوذ فيه الناس بالأنبياء ، فيعتذرون واحداً تلو الآخر ، حتىٰ إذا وصلوا إلىٰ نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قال : « أنا لها » ، فلا ملاذ في الحادث العمم للشفاعة العظمىٰ سواه صلى الله عليه وسلم ، وهٰذا مثال لبعض الأبيات التي أشكلت وهي قليلة يجد القارئ في الشرح حلاً لمعضلاتها)[1] .

نظائره التي أنشدت في حضرته صلى الله عليه وسلم

ولهٰذا البيت نظائر كثيرة أنشدها بعض الصحابة في حضرته صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته ، وله أيضاً نظائر أنشأها أو أنشدها كثير من التابعين ومن بعدهم من أكابر العلماء المفسرين والحفاظ المحدثين والفقهاء المتقنين ، نذكر نبذة من ذلك والله الموفق .

ومن نظائر هٰذا البيت ما أنشده سواد بن قارب الصحابي لما أتىٰ إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأسلم ، وهو :

---

(١) مقدمة الحبيب علي الجفري على « العمدة » (ص١٥ ـ ١٦) .

فأشـــهد أن الله لا رب غيـره وأنــك مأمــون علــىٰ كل غائــب
وأنــك أدنــى المرســلين وســيلة إلـى الله يـا ٱبـن الأكرميـن الأطايـب
فمرنـا بمـا يأتيـك يـا خيـر مرسـل وإن كان فيمـا فيـه شـيب الذوائـب[1]
وكـن لي شـفيعاً يـوم لا ذو شـفاعة بمغـن فتيـلاً عـن سـواد بن قـارب[2]

وفي « الإصابة » :

وكـن لي شـفيعاً يـوم لا ذو شـفاعة سـواك بمغـن عـن سـواد بـن قـارب

وذكر الحافظ أبو الفضل ٱبن حجرالعسقلاني في الإصابة في ترجمة سواد بن قارب لهٰذه الأبيات طرقاً كثيرة، بعضها أخرجه البخاري في « تاريخه » والبغوي والطبراني[3] .

ونقل قصة سواد بن قارب الشيخ أحمد زيني دحلان في « الدرر السنية في الرد على الوهابية » عن « معجم الطبراني الكبير »[4] ، وذكرها ٱبن عبد البر في « الاستيعاب » في ترجمة سواد بن قارب الدوسي[5] ، وذكرها ٱبن كثير أيضاً في « البداية والنهاية » في ترجمته[6] .

---

(١) وفي « الاستيعاب » لابن عبد البر (٢/ ٦٧٥) :

وإن كان فيمـا جئـت شـيب الذوائـب

(٢) « البداية والنهاية » (٣/ ٢٦) .

(٣) « الإصابة » (٣/ ١٨٢) .

(٤) « الدرر السنية » (ص٢٩) .

(٥) « الاستيعاب » (٢/ ٦٧٤ ـ ٦٧٥) .

(٦) « البداية والنهاية » (٣/ ٢٦ ـ ٣٠) .

وفي « نحت حديد الباطل » : (روى ٱبن عساكر عن جابر رضي الله عنه أن ٱمرأة من قريش عارضت سعد بن عبادة فأنشدت النبي صلى الله عليه وسلم :

يا نبي الهدىٰ إليك لجائي لقريش ولات حين لجاء
حين ضاقت عليهم سعة الأر ض وعاداهم إله السماء
إن سعداً يريد قاصمة الظهـ ـر بأهل الحجون والبطحاء

فلما سمع هٰذا الشعر . . دخلته رأفة لهم ، فأمر بالراية فأخذت من سعد ودفعت إلى ٱبنه قيس)[1] اهـ .

وفي « الاستيعاب » لابن عبد البر قال ضرار بن الخطاب الفهري يوم فتح مكة :

يا نبي الهدىٰ إليك لجا حـ ـيّ قريش ولات حين لجاء[2]

فقول البوصيري : (ما لي من ألوذ به سواك عند حلول الحادث العمم) ، مثل قول هٰذا الصحابي سواد بن قارب :

فكن لي شفيعاً يوم لاذو شفاعة سواك بمغن عن سواد بن قارب

في رواية العسقلاني والذهبي ، ونظير ما قاله ضرار بن الخطاب يوم فتح مكة[3] .

وفي « الدرر السنية » : (روى البيهقي عن أنس رضي الله عنه أن أعرابياً جاء

---

(١) « نحت حديد الباطل وبرده » (ص٧٢ ـ ٧٣) .

(٢) ينظر : « الاستيعاب » (٢/ ٧٤٨) .

(٣) « الإصابة » (٣/ ١٨٢) ، « سير أعلام النبلاء » (١/ ١٦٦) .

إلى النبي صلى الله عليه وسلم يستسقي به ، وأنشد أبياتاً أولها :

أتيناك والعذراء يَدمَىٰ لبانُها ... وقد شغلت أم الصبي عن الطفل[1]

إلىٰ أن قال :

وليس لنا إلا إليك فرارنا ... وأنىٰ فرار الخلق إلّا إلى الرسل

فلم ينكر عليه صلى الله عليه وسلم هٰذا البيت ، بل قال أنس : لما أنشد الأعرابي الأبيات قام النبي صلى الله عليه وسلم يجر رداءه حتىٰ رقى المنبر ، فخطب ودعا لهم ، فلم يزل يدعو حتىٰ أمطرت السماء)[2] .

وقال ابن كثير في « البداية والنهاية » : (روى البيهقي بإسناده من غير وجه إلىٰ معمر سعيد بن خيثم الهلالي عن مسلم الملائي عن أنس بن مالك قال : جاء أعرابي فقال يا رسول الله والله لقد آتيناك وما لنا بعير يئط ولا صبي يصيح وأنشد :

أتيناك والعذراء يَدْمَىٰ لَبَانُها ... وقد شغلت أم الصبي عن الطفل

وألقىٰ بكفيه الفتىٰ لاستكانة ... من الجوع ضعفاً ما يُمِرُّ ولا يُحْلِي

ولا شيء مما يأكل الناس عندنا ... سوى الحَنْظَلِ العاميِّ والعِلْهِزِ الفَسْلِ[3]

---

(١) أي : يدمىٰ صدرها لامتهانها نفسها في الخدمة حيث لا تجد ما تعطيه من يخدمها من الجدب وشدة الزمان . و(اللبان) بالفتح : الصدر أو وسطه أو ما بين الثديين ، ويكون للانسان وغيره . ينظر : « تاج العروس » (١٨/ ٤٩٨) ، « لسان العرب » (٨/ ٢٨) .

(٢) « الدرر السنية » (ص٢٧) .

(٣) وقوله (الحنظل العامي) : أي : اليابس ، قال الجوهري في « الصحاح » (ص٨٢٨) : (ونبت عامي أي يابس أتىٰ عليه عام) . و(العِلْهِزُ) بالكسر : طعامٌ كانوا يتَّخذونه من=

وليـس لنـا إلا إليـك فرارنـا وأيـن فـرار الناس إلا إلى الرسـل)[1]

ففي تقريره صلى الله عليه وسلم ما أنشده هؤلاء في حضرته دليل واضح في جواز ذلك ، فكيف يجوز لأحد من أمته أن ينكر ويستبشع قول البوصيري : (يا أكرم الخلق . . . إلخ) ، وهو نظير الأبيات السابقة التي أنشدت بين يدي سيد الوجود صلى الله عليه وسلم ، وقد ثبت أنه صلى الله عليه وسلم كان يغضب لله تعالىٰ ولا يهاب أحداً ، وكان أشد الناس غَيرة إذا ٱنتهكت الحرمات وٱرتكبت الجريمات ، فلو كان في هٰذه الأبيات شيء لا يرضاه الله ورسوله . . لم يسكت عليه الرسول صلى الله عليه وسلم ، فهلا ٱقتدوا به صلى الله عليه وسلم في ٱستماعه وسكوته علىٰ نظائر هٰذا البيت ، فإنه الإمام والقدوة العظمىٰ لكل مؤمن ، قال الله تعالىٰ : ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[2] .

نظائر هٰذا البيت التي قالها بعض الصحابة وأكابر العلماء من بعده صلى الله عليه وسلم

منهم : حسان بن ثابت رضي الله عنه .

قال ٱبن كثير في « البداية والنهاية » : (قد ذكر ٱبن إسحاق وغيره قصائد لحسان بن ثابت رضي الله تعالىٰ عنه في وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

=الدم ووبرِ البعير في سني المجاعة ، وفي «النهاية » لابن الأثير (٣/ ٢٩٣) : (العلهز : هو شيء يَتَّخِذونه في سِنِي المجَاعَة يَخْلِطون الدَّمَ بأوْبَارِ الإبِل ثم يَشْوُونه بالنَّار ويأكلونه) . و(الفَسْل) : هو الرَّديء الرَّذل من كل شيء .

(١) « البداية والنهاية » (٦/ ٩٢) .

(٢) الأحزاب : ٢١ .

ومن أجلّ ذلك وأفصحه وأعظمه ما رواه عبد الملك بن هشام عن أبي زيد الأنصاري أن حسان بن ثابت قال يبكي رسو ل الله صلى الله عليه وسلم :

وما فقد الماضون مثل محمد	وما مثله حتى القيامة يفقد
فَبَكِّي رسولَ الله يا عينُ عَبرةً	ولا أعرِفَنْكِ الدهرَ دمعكِ يجمُدُ
وما لكِ لا تَبكين ذا النعمة التي	على الناس منها سابغٌ يَتَغَمَّدُ
فجودي عليه بالدموع وأعولي	لفقد الذي لامثله الدهر يوجد
يدل على الرحمٰن من يقتدي به	ويُنْقِذُ من هول الخزايا ويُرشد
وإن ناب أمر لم يقوموا بحمله	فمن عنده تيسير ما يتشدد)[1]

وقد ٱستحسن الحافظ ٱبن كثير هٰذه الأبيات التي هي نظير بيت البوصيري المذكور ، ووصفها بأنّها جليلة عظيمة فصيحة ، فهلا وسع المنكرين ما وسع الحافظ ٱبن كثير وغيره من أئمة هٰذه الأمة المحمدية .

وقال في « نحت حديد الباطل وبرده » : (وصف حسان رضي الله عنه وهو صحابي جليل النبيَّ صلى الله عليه وسلم بأنه ينقذ من هول الخزايا ، وأن ذلك بسبب دلالته وهدايته من يقتدي به ويتبعه ، ثم قال : (وإن ناب من يقتدي به أي من آمن به أمر لم يستطيعوا بحمله ، فمن عنده صلى الله عليه وسلم تيسير ما يتشدد من ذلك الأمر)[2] اهـ .

ومنهم : الإمام أبو حنيفة .

ففي الرسالة المسماة « هل نحتفل ؟ ولماذا لا نحتفل ؟ نعم نحتفل » نقل

---

(١) « البداية والنهاية » (٥/ ٢٩٧) .

(٢) « نحت حديد الباطل وبرده » (ص٣٥) .

الإمام الجليل الكمال بن الهمام الحنفي ـ صاحب « فتح القدير » ـ لما زار أبو حنيفة المدينة وقف أمام القبر الشريف وقال :

يـا أكـرم الثقليـن يـا كَنْـز الـورىٰ ... جـد لـي بجـودك وٱرضنـي برضـاك
أنا طامع في الجود منك ولم يكن ... لأبـي حنيفـة فـي الأنـام سـواك[1]

ومنهم : الحافظ ٱبن حجر العسقلاني .

ففي « شواهد الحق » أن الحافظ ٱبن حجر العسقلاني قال :

نبـي الله يـا خيـر البرايـا ... بجاهـك أتقـي فصـل القضـاء
وأرجـو يـا كريـم العفـو عمـا ... جنتـه يـداىٰ يـا رب الحبـاء
فقـل يـا أحمـد بـن علـي ٱذهـب ... إلـىٰ دار النعيـم بـلا شـقاء
عليـك سـلام رب النـاس يتلـو ... صـلاة فـي الصبـاح وفـي المسـاء[2]

فهل يستطيع الذين يرمون الإمام البوصيري بالشرك والضلال أن يفعلوا مثل في حق الحافظ بن حجر وغيره من الأئمة الذين ذكر الإمام النبهاني ٱستغاثاتهم وتوسلاتهم بالنبي صلى الله عليه وسلم في كتابه المذكور ؟!

ومنهم : المناوي القاهري .

قال الحافظ السخاوي في « الضوء اللامع » : قال الشيخ يحيى بن محمد بن محمد بن محمد المناوي القاهري الشافعي :

إلـى الله أشـكو محنة أشـغلت بالي ... فمن هَوْلِهَا ربع ٱصطباري غَدَا بالي
ومـا لِـيَ مأمول سـوىٰ سـيد الورىٰ ... فإنـي بـذاك الجـاه علقـت آمالـي

---

(١) « هل نحتفل ؟ ولماذا لا نحتفل ؟ نعم نحتفل » (ص٦٢ ـ ٦٣) .

(٢) « شواهد الحق » (ص٣٥٢) .

إلىٰ أن قال :

لقد ضاق ذرعي من أمور كثيرة وأنت ملاذي في تغير أحوالي
وإن كنتُ يامولاي عبداً مقصراً فحلمك يا مولاي أعلىٰ وأولىٰ لي[1]

وكان المناوي قاضي القضاة ، وتصدىٰ للإقراء والإفتاء ، وله تصانيف ، منها : « شرح مختصر المزني » ، وكانت ولادته سنة (٧٩٨هـ) ووفاته سنة (٨٧١هـ) .

ومنهم : الفقيه العلامة اليمني ٱبن كبّن .

قال الحافظ السخاوي في « الضوء اللامع » : (إن محمد بن سعيد ٱبن علي بن محمد كبّن ـ بفتح الكاف ثم موحدة مشددة وآخره نون ـ القرشي الطبري الأصل اليماني العدني الشافعي القاضي ، ربيب القاضي محب الدين الطبري ، ويعرف بـ(ٱبن كبن) .

ولد سنة (٧٧٦هـ) بعدن من اليمن ، ونشأ بها ، وقرأ فنوناً شتى حتىٰ صار إماماً عالماً فاضلاً مشاركاً في علوم كثيرة ، ومهر في الفقه ، وتصدىٰ للتدريس والإفتاء ، وصنف « الدرر النظيم في شرح بسم الله الرحمن الرحيم » ، و« الفخاوي » وهو نكت على « الحاوي الصغير » مفيد ، إلىٰ غيرهما من نثر ونظم .

وكان مجتهداً في خدمة العلم ، بحيث لاينام من الليل إلا قليلاً ، وكان معتقداً في بلاد اليمن بأسره في التدريس والفتوىٰ والحديث شديد التحرز في النقل جيد القريحة .

---

(١) « الضوء اللامع » (١٠/ ٢٥٦ـ ٢٥٧) .

مات رحمه الله تعالىٰ سنة (٨٤٢هـ) بعدن في اليمن ، ومن نظمه :

ما لي سوىٰ جاه النبي محمد ... جاه به أحمي وأبلغ مقصدي
فلكم به زال العنا عني وقد ... أعدمت في ظن العذول المعتدي
ولكم به نلت المنا من كل ما ... أبغيه من نيل العلىٰ والسؤدد)[1]

ومنهم : العلامة محمد بن محمد بن عبد الله المدني المالكي .

قال الحافظ السخاوي في « الضوء اللامع » : (كان محمد بن محمد ابن عبد الله بن إبراهيم المدني المالكي يقول الشعر ، ومما قال فيه :

بجاه النبي المصطفىٰ أتوسل ... إلى الله فيما أبتغي وأؤمل
وأقصد باب الهاشمي محمد ... وفي كل حاجتي عليه أعول
حللت حمى من لا يضام نزيله ... فعنه مدىٰ ما دمت لا أتحول
إذا مسنىٰ ضيم أتوه بأسمه ... فيدفع ذاك الضيم عني وينقل
أقول حبيبي يا محمد سيدي ... ملاذي عياذي من به أتوسل
عسىٰ نفحة يا سيد الخلق أهتدي ... بها من ضلالي إنني متعطل

ولد هٰذا الشيخ بالمدينة في سنة (٨٥٩هـ) ، وحفظ بها القرآن وعدة رسائل ، ومات سنة (٨٨٥هـ) ، وعمره ست وعشرون سنة فقط)[2] .

والعلماء القائلون بمثل بيت البوصيري المذكور كثيرون جدّاً ، نكتفي منهم بمن ذكرناهم ، ولا يخفىٰ أن من كفّره بقوله بهٰذا البيت يكفر أيضاً كل من حذا حذوه وقال بمثل هٰذا البيت وإن بلغوا آلافاً .

---

(١) « الضوء اللامع » (٧/ ٢٥٠ ـ ٢٥٣) .

(٢) « الضوء اللامع » (٩/ ١١٥) .

وقد علمت أن من القائلين بمثل هٰذا البيت : حسانَ بن ثابت ، وسواد بن قارب ـ الصحابيين ـ ، والإمام أبا حنيفة ، وشيخ الإسلام العسقلاني ، وآخرين . . .
فعياذاً بالله من رأي الخوارج الذين يكفِّرون من سواهم من المسلمين .



سروره بما قيل في حضرته ﷺ من الأشعار المشتملة على الثناء عليه ومدحه ﷺ

روى البخاري عن عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار ، عن أبيه قال : سمعت ٱبن عمر يتمثل بشعر أبي طالب :

وأبيضَ يستسقى الغمام بوجهه ... ثمال اليتامىٰ عصمة للأرامل[1]

وفي رواية عن ٱبن عمر أيضاً قال : ربما ذكرت قول الشاعر وأنا أنظر إلىٰ وجه النبي صلى الله عليه وسلم يستسقي ، فما ينزل حتىٰ يجيش[2] كل ميزاب :

وأبيضَ يستسقى الغمام بوجهه ... ثمال اليتامىٰ عصمة للأرامل

وهو قول أبي طالب .

قال شيخ الإسلام الحافظ في « فتح الباري » : (هٰذا البيت من أبيات في قصيدة لأبي طالب ذكرها ٱبن إسحاق في « السيرة » بطولها ، وهي أكثر من

---

(١) أخرجه البخاري (١٠٠٨) .

قوله (وأبيض) : هو بفتح الضاد ، وهو مجرور برب مقدرة أو منصوب بإضمار أعني أو أخص . وقوله (ثمال اليتامىٰ) : بكسر المثلثة وتخفيف الميم ، هو العماد والملجأ والمُطعِم والمغيث والمعين والكافي ، قد أطلق علىٰ كل من ذلك . وقوله (عصمة للأرامل) : أي : يمنعهم مما يضرهم ، والأرامل جمع أرملة ، وهي الفقيرة التي لا زوج لها . ٱنظر : « فتح الباري » (٣/ ٣٥٠) .

(٢) قال في « فتح الباري » (٣/ ٣٥٢) : (يقال : جاش الوادي إذا زخر بالماء ، وجاشت القدر إذا غلت ، وجاش الشيء إذا تحرك ، وهو كناية عن كثرة المطر) اهـ .

ثمانين بيتاً ، قالها لما تمالأت قريش على النبي صلى الله عليه وسلم ونفروا عنه من يريد الإسلام)[1] اهـ .

قال الحافظ الهيثمي في « مجمع الزوائد » : (روىٰ أحمد والبزار ـ ورجاله ثقات ـ أن عائشة رضي الله عنها تمثلت بهٰذا البيت : وأبيضَ يستسقىٰ . . . إلخ ، وأبو بكر رضي الله عنه ينصت ، فقال : **ذاك رسول الله صلى الله عليه وسلم**)[2] .

وقال الحافظ الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » : أخبرنا أبو حازم عمر بن أحمد بن إبراهيم العبدوي بنيسابور ، أخبرني علي بن أحمد بن عبد العزيز الجرجاني ، حدثني داود بن سليمان بن خزيمة البخاري ، حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري ، حدثنا أبو عبيدة معمر ابن المثنى التيمي ، حدثنا هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : كنت قاعدة أغزل والنبي صلى الله عليه وسلم يخصف نعله ، فجعل جبينه يعرق ، وجعل عرقه يتولد نوراً فبهت ، فنظر إليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « ما لك يا عائشة بهت ؟ » ، قلت : (جعل جبينك يعرق ، وجعل عرقك يتولد نوراً ، ولو رآك أبو كبير الهذلي لعلم أنك أحق بشعره) ، قال : « وما يقول أبو كبير؟ » ، قالت : (قلت : يقول :

ومبرأ من كل غُبَّر حيضة ... وفساد مرضعة وداء مغيل
فإذا نظرت إلىٰ أسرة وجهه ... برقت كبرق العارض المتهلل)

قالت : فقام النبي صلى الله عليه وسلم وقبل بين عيني وقال : « جزاك الله يا

---

(١) « فتح الباري » (٣/ ٣٥٠) .

(٢) « مجمع الزوائد » (١٧/ ٢٢٨ ـ ٢٢٩) .

عائشة عني خيراً ، ما سررت مني كسروري منك »[1] .

ورواه الخطيب أيضاً بسند آخر ، وقال : قال أبو ذر : قال أبو علي صالح بن محمد البغدادي ما معناه : (وسند هٰذا الحديث عندي حسن)[2] اهـ باختصار .

ومن ذلك قصيدة كعب ين زهير بن أبي سلمى الصحابي رضي الله عنه ، التي أولها :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول ... متيم إثرها لم يُفْدَ مكبول

فقد رُوِي أنه لما قال :

إن الرسول لسيف يستضاء به ... مهند من سيوف الهند مسلول

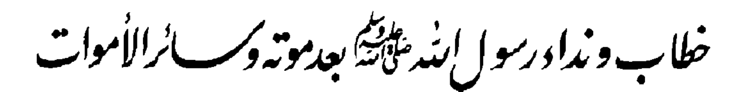
قال له صلى الله عليه وسلم : « من سيوف الله » ، فأعاد البيت وقال : (من سيوف الله مسلول) ، فأهدىٰ له صلى الله عليه وسلم بردته الشريفة ، فلهٰذا يسمىٰ بعضهم هٰذه القصيدة بـ« البردة » ، وسيأتي أنه صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه حين أنشده كعب بيتين من هٰذه القصيدة : « اسمعوا » .



---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٣/ ٢٥٢ ـ ٢٥٣) .

(٢) « تاريخ بغداد » (١٣/ ٢٥٣) .



خطاب ونداء رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موته وسائر الأموات

اَعلم أن بعض المتعسفين المتهتكين منعوا النداء إلى الأموات ومخاطبتهم معهم ، وزعموا أن ذلك شرك وعبادة لغير الله ، وادّعوا أن قول الإمام البوصيري : (يا أكرم الخلق . . . إلخ) شرك ، وكتبوا ذلك في كثير من تآليفهم ، ولم يستحيوا من أن يرموا هٰذا الإمام بالشركَ ؛ فإنا لله وإنا إليه راجعون ، وهٰذا من سوء مزاجهم وقبيح أقوالهم .

ولا يخفىٰ علىٰ أحد له أدنىٰ إلمام ومعرفةٍ بدينه أن من شرط صحة صلاته أن يخاطب وينادي في تشهده رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنَّ فيه : (السلام عليك أيها النبي) .

وقال تعالىٰ حكاية عن قول صالح صلىٰ الله علىٰ نبينا وعليه وسلم : ﴿يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾[1] ، وقال تعالىٰ حكاية عن شعيب عليه وعلىٰ نبينا الصلاة والسلام : ﴿يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡۖ فَكَيۡفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ﴾[2] ، وكان هٰذا الخطاب والنداء بعد هلاكهم بالرجفة ، فإن قبل هاتين الآيتين : ﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ﴾[3] .

وقد روى البخاري وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نادىٰ وخاطب

---

(١) الأعراف : ٧٩ .

(٢) الأعراف : ٩٣ .

(٣) الأعراف : ٧٨ .

أصحاب القليب أبا جهل ومن معه من كفار قريش[1] .

وروىٰ أيضاً في كتاب المغازي في باب مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته عن أنس قال : لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت فاطمة : (يا أبتاه ؛ أجاب ربا دعاه ، يا أبتاه ؛ من جنة الفردوس مأواه ، يا أبتاه ؛ إلىٰ جبريل ننعاه)[2] .

وفي « الاستيعاب » لابن عبد البر أن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية بنت عبد المطلب رثته بعد وفاته صلى الله عليه وسلم ، فمما قالت :

ألا يـا رسـول الله كنـت رجاءنـا وكنـت بنـا بـراً ولـم تـك جافيـا[3]

وقد يكون نداء الأموات وخطابُهم سنة يثاب عليها ، فقد روىٰ مسلم في « صحيحه » عن بريدة رضي الله تعالىٰ عنه قال : (كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقول قائلهم : « السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين ، وإنا إن شاء الله بكم للاحقون ، نسأل الله لنا ولكم العافية »)[4] .

وروى ابن السني عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى البقيع فقال : « السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، أنتم لنا فرط وإنا بكم لاحقون ، اللهم ؛ لا تحرمنا أجرهم ولا تضلنا بعدهم »[5] .

---

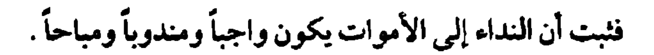
(١) أخرجه البخاري (٣٩٧٦) .

(٢) أخرجه البخاري (٤٤٦٢) .

(٣) « الاستيعاب » (١/ ٤٨ ـ ٤٩) .

(٤) أخرجه مسلم (٩٧٥) .

(٥) أخرجه ابن السني في « عمل اليوم والليلة » (ص٣٧٥) .


فثبت أن النداء إلى الأموات يكون واجباً ومندوباً ومباحاً .

والأدلة الواردة في نداء وخطاب الأموات والجمادات كثيرة مشهورة ، ولسنا في محل بحثها وبسطها ، وما زعموه من أن ذلك شرك وعبادة لغير الله فهو تخيل باطل ورأي فاسد ، ليس له دليل عقلي ولا برهان نقلي ، وقد ذكرت جملة من أدلة خطاب ونداء الأموات في كتابي « المنتخب في شرح أوراد مرحب » .



اعلم أن أدلة التوسل به صلى الله عليه وسلم وبالأنبياء والصالحين كثيرة، وقد أُلِّفتْ فيها تآليف كثيرة، وقد ذكرت جملة منها في كتابي « إقناع المؤمنين بتبرك الصالحين »، وأذكر منها هنا ثلاثة أحاديث فقط:

الأول: عن عثمان بن حنيف رضي الله عنه قال: أن رجلاً ضرير البصر أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (ادع الله أن يعافيني)، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إن شئتَ.. دعوت، وإن شئتَ.. صبرت؛ فهو خير لك »، قال: فادعه، قال: فأمره أن يتوضأ فحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء: اللهم؛ إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى لي، اللهم؛ فشفّعه فيّ. رواه الترمذي في آخر « السنن » في أبواب الدعوات وقال: (هٰذا حديث حسن صحيح غريب)[1].

وفي « محق التقول في مسألة التوسل »: (إن هٰذا الحديث أخرجه البخاري في « تاريخه الكبير »، وابن ماجه في صلاة الحاجة من « سننه » ـ وفيه نص علىٰ صحة الحديث ـ، ورواه النسائي في « عمل اليوم والليلة »، وأبو نعيم في « معرفة الصحابة »، والبيهقي في « دلائل النبوة »، وغيرهم علىٰ خلاف يسير في غير موضع الاستشهاد، وصحّحه جماعة من الحفاظ يقارب عددهم خمسة عشر حافظاً، فمنهم سوى المتأخرين: الترمذي، وابن حبان، والحاكم،

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٧٨).

والطبراني ، وأبو نعيم ، والبيهقي ، والمنذري)[1] اهـ .

قلت : قال في « الرد المحكم المتين » : (وممن وافق علىٰ تصحيح هٰذا الحديث الإمام النووي رحمه الله في باب أذكار صلاة الحاجة من كتاب « الأذكار » ، والحافظ العسقلاني في « أمالي الأذكار » ، والحافظ السيوطي في « الخصائص الكبرىٰ » ، وابن تيمية في غير موضع من كتبه ، والحافظ الهيثمي في باب صلاة الحاجة من « مجمع الزوائد »)[2] اهـ .

الثاني : حديث أبي سعيد الخدري الذي رواه الشيخان ، ولفظه عند مسلم : عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **يأتي على الناس زمان يبعث منهم البعث ، فيقولون : انظروا . . هل تجدون فيكم أحداً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ؟ فيوجد الرجل فيفتح لهم به ، ثم يبعث البعث الثاني فيقولون : هل فيهم من رأىٰ أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ؟ فيفتح لهم به ، ثم يبعث البعث الثالث ، فيقال : انظروا . . هل ترون فيهم من رأىٰ من رأىٰ أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ؟ ثم يكون البعث الرابع فيقال : انظروا . . هل ترون فيهم أحداً رأىٰ من رأىٰ أحداً رأىٰ أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ؟ فيوجد الرجل فيفتح لهم به** » .

وروىٰ أبو يعلى الموصلي في « مسنده » عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **ليأتين على الناس زمان يخرج الجيش من جيوشهم فيقال : هل فيكم أحد صحب محمداً فتستنصرون به فتنصروا ؟ ثم يقال : هل فيكم من**

---

(١) « محق التقول » (ص١٤) .

(٢) « الرد المحكم المتين » (ص١٥٠) .

صحب محمداً ، فيقال : لا ، فمن صحب أصحابه ؟ فيقال : لا ، فيقال : من رأىٰ من صحب أصحابه ؟ فلو سمعوا به من وراء البحر . . لأتوه »[1] .

ورواه أبو يعلىٰ أيضاً في « مسنده » بلفظ مقارب وهو : عن جابر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يبعث بعث فيقال لهم : هل فيكم أحد صحب محمداً ؟ فيقال : نعم ، فيلتمس فيوجد الرجل فيستفتح فيفتح عليهم ، ثم يبعث بعث فيقال : هل فيكم من رأىٰ أصحاب محمد ؟ فيلتمس فلا يوجد حتىٰ لو كان من وراء البحر . . لأتيتموه ، ثم يبقىٰ قوم يقرأون القرآن لا يدرون ما هو »[2] .

وقال الهيثمي في بعد أن ذكر الرواية الأولىٰ : (رواه أبو يعلىٰ من طريقين ، ورجالهما رجال الصحيح)[3] اهـ .

وفي هٰذا الحديث الصحيح ٱستحباب التوسل بذوات الصالحين .

الثالث : قال ٱبن كثير في تفسير قوله تعالىٰ ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾[4] : (روى ٱبن مردويه بسنده عن ثوبان حديثاً مرفوعاً قال : « لا يزال فيكم سبعة بِهم تنصرون وبِهم تمطرون ، وبِهم ترزقون حتىٰ يأتي أمر الله » . وروى ٱبن مردويه أيضاً بسنده عن عبادة بن الصامت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الأبدال في أمتي ثلاثون ؛ بِهم ترزقون ، وبِهم تمطرون ،

---

(١) أخرجه أبو يعلىٰ في « مسنده » (٣/ ٥٨٣) .

(٢) أخرجه أبو يعلىٰ في « مسنده » (٣/ ٦٧٠) .

(٣) « مجمع الزوائد » (١٩/ ٥٦١) .

(٤) البقرة : ٢٥١ .

وبِهم تنصرون » ، قال قتادة : (إني لأرجو أن يكون الحسن منهم) ، يعني : الحسن البصري)[1] .

والأحاديث الواردة في الأبدال كثيرة ، ذكرتُ بعضها في كتابي « إقناع المؤمنين بتبرك الصالحين » ، وألف السيوطي فيهم وفي غيرهم جزءاً بنحو ثمانية عشر صفحة وسماه : « الخبر الدالّ علىٰ وجود القطب والأوتاد والنجباء والأبدال » ، وهٰذا الجزء مطبوع في ضمن كتابه « الحاوي للفتاوي » ؛ فعليك به ، وألف في الأبدال أيضاً السخاوي كتاباً سماه : « نظم اللآلي » ، وقد تكلم في أحاديث الأبدال بعض الحفاظ وضعفوها ، وتعقبه السيوطي فقال : (إن خبر الأبدال صحيح ، وإن شئت قلت : متواتر)[2] ، وقال العجلوني في « كشف الخفا » : (يتقوىٰ حديث الأبدال بتعدد طرقه الكثيرة)[3] .

المتوسلون

اَعلم أن المتوسلين بالأنبياء والصالحين خلائق كثيرون ، لا تسعهم الدفاتر ، وقد بسطت القول فيهم في كتابي « إقناع المؤمنين بتبرك الصالحين » ، وأذكر هنا بعضاً منهم :

فمن أعيانِهم : أبونا آدم علىٰ نبينا وعليه الصلاة والسلام .

ففي « شفاء السقام » للإمام السبكي و« الجوهر المنظم » للهيتمي : أن الحاكم أبا عبد الله بن البَيِّع روىٰ بسنده عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال :

---

(١) « تفسير اَبن كثير » (١/ ٦٧٠) .

(٢) « فيض القدير » (٣/ ٢٢٠) .

(٣) « كشف الخفا » (١/ ٢٥) .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لما اقترف آدم عليه السلام بالخطيئة قال : يا رب ؛ أسألك بحق محمد لما غفرت لي ، فقال الله : يا آدم ؛ وكيف عرفت محمداً ولم أخلقه ؟ قال : يا رب ؛ لأنك لما خلقتني بيدك ، ونفخت فِيّ من روحك ، رفعت رأسي ، فرأيت علىٰ قوائم العرش مكتوباً : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فعرفت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك ، فقال الله : صدقت يا آدم ، إنه لأحب الخلق إليّ ، إذ سألتني بحقه . . فقد غفرت لك ، ولولا محمد . . ما خلقتك » ، قال الحاكم : (هٰذا حديث صحيح الإسناد) ، وفي نسخة : (لما اعترف آدم عليه السلام) ، ورواه البيهقي أيضاً في « دلائل النبوة » وذكره الطبراني وزاد فيه : وهو آخر الأنبياء من ذريتك)[1] .

ومنهم : سيدنا رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم .

ففي « الرد المحكم المتين » : أن الطبراني روىٰ في معجميه « الكبير » و« الأوسط » بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : لما ماتت فاطمة بنت الأسد أم علي رضي الله عنهما . . دخل عليها رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم فجلس عند رأسها فقال : « رحمك الله يا أمي كنت أمي بعد أمي ، تجوعين وتشبعيني وتعرين وتكسيني وتمنعين نفسك طيباً ، وتطعميني تريدين بذلك وجه الله والدار الآخرة » ، ثم أمر أن تغسل ثلاثاً ثلاثاً ، فلما بلغ الماء الذي فيه الكافور وضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده ، ثم خلع رسول الله صلى الله عليه وسلم قميصه فألبسها إياه وكفنها ببرد فوقه ، ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد وأبا أيوب الأنصاري وعمر بن الخطاب وغلاماً أسود يحفرون ، فحفروا قبرها ، فلما بلغوا اللحد حفره رسول الله صلى

---

(١) « شفاء السقام » (ص١٦١ ـ ١٦٢) ، « الجوهر المنظم » (ص٦١) .

الله عليه وسلم بيده ، وأخرج ترابه بيده ، فلما فرغ دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاضطجع فيه وقال : « الله الذي يحيي ويميت وهو حي لا يموت ؛ اغفر لأمي فاطمة بنت الأسد ، ولقنها حجتها ، ووسع عليها مدخلها ، بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي ؛ فإنك أرحم الراحمين » ، وكبر عليها أربعاً ، وأدخلها اللحد هو والعباس وأبو بكر رضي الله عنهما[1] .

ومنهم : أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

فقد روى البخاري عن أنس رضي الله عنه : أن عمر بن الخطاب استسقى بالعباس بن عبد المطلب فقال : (اللهم ؛ إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا ، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فأسقنا) ، قال : فيسقون[2] .

وفي « فتح الباري » : أخرج الزبير بن بكار عن ابن عمر قال : (استسقى عمر بن الخطاب عام الرمادة بالعباس بن عبد المطلب . . . فذكر الحديث ، وفيه فخطب الناس عمر فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرى للعباس ما يرى الولد للوالد ، فاقتدوا أيها الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم في عمه العباس واتخذوه وسيلة إلى الله ، وذكر ابن سعد وغيره أن عام الرمادة كان سنة (١٨هـ))[3] .

ومنهم : معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه .

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في « تلخيص الحبير » : روى أبو زرعة

---

(١) « الرد المحكم المتين » (ص١٩٣) .

(٢) أخرجه البخاري (٣٧١٠) .

(٣) « فتح الباري » (٣/ ٣٥٢) .

الدمشقي في « تاريخه » بسند صحيح أن معاوية ٱستسقىٰ بيزيد ٱبن الأسود، ورواه أيضاً أبو القاسم اللالكائي في « كرامات الأولياء » منه[1].

وروى ٱبن الجوزي في « صفة الصفوة » : عن سليم بن عامر الخبائري أن الشام قحطت فخرج معاوية بن أبي سفيان وأهل دمشق يستسقون، فلما قعد معاوية على المنبر قال : (أين يزيد بن الأسود الجرشي ؟)، فناداه الناس فأقبل يتخطىٰ، فأمره معاوية فصعد المنبر فقعد عند رجليه فقال معاوية : (اللهم ؛ إنا نستشفع إليك بيزيد ٱبن الأسود، يا يزيد ؛ ٱرفع يديك إلى الله)، فرفع يديه، ورفع الناس، فما كان أوشك أن ثارت سحابة في الغرب كأنها ترس، وهبت لها ريح فسقتنا حتىٰ كاد الناس أن لا يبلغوا منازلهم[2] اهـ.

وذكر توسل معاوية بيزيد بن الأسود الحافظ الذهبي في « سير أعلام النبلاء » بٱختلاف يسير في اللفظ[3].

ومنهم : خالد بن الوليد سيف الله المسلول رضي الله عنه.

قال ٱبن كثير في « البداية والنهاية » : (وقد روي أن خالداً سقطت قلنسوته يوم اليرموك وهو في الحرب، فجعل يستحث في طلبها فعوتب في ذلك، فقال : إن فيها شيئاً من شعر ناصية رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنّها ما كانت معي في موقف إلا نصرت بها)[4] اهـ.

---

(١) « تلخيص الحبير » (٢/ ٢٠٦).

(٢) « صفة الصفوة » (٤/ ٢٠٢).

(٣) « سير أعلام النبلاء » (٤/ ١٣٧).

(٤) « البداية والنهاية » (٧/ ١١٠).

وقال النووي في « تَهذيب الأسماء واللغات » : (كان في قلنسوة خالد شعر من شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يستنصر به ويتبرك به ؛ فلا يزال منصوراً)[1] اهـ .

ومنهم : بلال بن الحارث المزني رضي الله عنه .

روى الإمام السبكي في « شفاء السقام » بسنده عن مالك الدار قال : (أصاب الناس قحط في زمان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فجاء رجل إلىٰ قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ؛ أستسق الله لأمتك فإنّهم قد هلكوا ، فأتاه رسول الله في المنام فقال : أئت عمر فأقرأه السلام وأخبره أنّهم مسقون ، وقل له : عليك الكيس الكيس ، فأتى الرجل عمر فأخبره ، فبكىٰ عمر رضي الله عنه ثم قال : يا رب ؛ ما آلو إلا ما عجزت عنه)[2] اهـ ، وصحّحه الحافظان ابن كثير والعسقلاني[3] .

ومنهم : عبد الله بن الزبير .

ففي « وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان » لابن خلكان : (حكىٰ سفيان الثوري عن طارق بن عبد العزيز عن الشعبي قال : لقد رأيت عجباً ، كنا بفناء الكعبة أنا وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير ومصعب بن الزبير وعبد الملك بن مروان ، فقال القوم بعد ما فرغوا من صلاتهم : ليقم رجل منكم فليأخذ الركن اليماني وليسأل الله حاجته ، فإنه يعطي من ساعته ، قم يا عبد الله بن الزبير ، فإنك

---

(١) « تهذيب الأسماء واللغات » (١/ ١٧٣) .

(٢) « شفاء الأسقام » (ص١٧٤) .

(٣) أنظر : « البداية والنهاية » (٧/ ٨٨ـ ٨٩) ، « فتح الباري » (٣/ ٣٤٩ـ ٣٥٠) .

أول مولود في الهجرة ، فقام وأخذ بالركن اليماني ، ثم قال : اللهم ؛ إنك عظيم ترجىٰ لكل عظيم ، أسألك بحرمة عرشك ، وحرمة وجهك ، وحرمة نبيك عليه الصلاة والسلام ، أن لا تميتني حتىٰ توليني الحجاز ويسلم عليّ بالخلافة ، وجاء حتىٰ جلس)[1] ، آنتهىٰ ما لخصته من « إقناع المؤمنين » .

فقد علمتَ مما ذكرناه ما تطمئن به القلوب ، وتقتنع به النفوس ، وترتفع به إن شاء الله الشكوك ، من مشروعية التوسل وآستحسانه ، وآتضح لكل منصف أن إنكار التوسل هو المنكَر شرعاً ، وعلمتَ أيضاً أنه لا ملام على الإمام البوصيري في قوله : (يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به . . . إلخ) ، وأنه بريء مما رموه به ، وأن له أسوة حسنة في الأنبياء والصحابة والصالحين في توسلاتهم وطلب الشفاعة ممن كان له عند الله أعلىٰ شرف وأعظم جاه .

فليحذر المؤمن من إنكار وآستبشاع ما فعله سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر الأنبياء وأفضلهم عليه وعليهم الصلاة والسلام ، وفعله أبونا آدم أول الأنبياء ، وكبار الصحابة رضي الله عنهم .

وأما المتوسلون من التابعين والسلف الصالح والخلف ؛ فكثيرون جداً ، منهم : محمد بن المنكدر ، والبدر العيني ـ شارح « البخاري » ـ ، والقسطلاني ـ شارح « البخاري » أيضاً ـ ، والتفتازاني ، وآبن حزم الظاهري ، والسبكي وآبنه تاج الدين ، والسيوطي ، وخلائق آخرون ذكرتُ جملة من أعيانِهم في « إقناع المؤمنين » ؛ وممن لم أذكرهم فيه :

* الإمام النووي : فقد قال في آخر مقدمة « التلخيص شرح الجامع

---

(١) « وفيات الأعيان » (٣/ ٢٩ ـ ٣٠) .

الصحيح » للإمام البخاري : (وهٰذا حين أشرع في شرح الكتاب مستعيناً بالله تعالىٰ ، متوكلاً عليه ، مفوضاً أمري إليه ، مستشفعاً برسول الله صلى الله عليه وسلم ، المضاف هٰذا الكتاب إلىٰ سننه صلى الله عليه وسلم في تيسر إتمامه ، مع الصيانة وعموم الفائدة)[1] .

* والحافظ ٱبن الجوزي : فقد قال في « صيد الخاطر » : (لما كثر مرضي وعجزت عن طبِّ نفسي . . لجأت إلىٰ قبور الصالحين ، وتوسلت في صلاحي ، فٱجتذبني لطف مولاي)[2] .

المستعيذون برسول الله صلى الله عليه وسلم

منهم : عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها .

---

(١) مقدمة « التلخيص شرح الجامع الصحيح » (ص٢٨٥) .

(٢) وهٰذا في ضمن كلام طويل ذكره في فصل الانقطاع إلى الله ، وقال فيه : (كنت في بداية الصبوة قد ألهمت سلوك طريق الزهاد بإدامة الصوم والصلاة ، وحُبِبتْ إليّ الخلوةُ ، فكنت أجد قلباً طيباً ، وكانت عين بصيرتي قوية الحدة ، تتأسف علىٰ لحظة تمضي في غير طاعة ، وتبادر الوقت في ٱغتنام الطاعات ، ولي نوع أنس وحلاوة مناجاة ، فٱنتهى الأمر إلىٰ أن صار بعض ولاة الأمور يستحسن كلامي ، فأمالني إليه ، فمال الطبع ، ففقدت تلك الحلاوة .

ثم ٱستمالني آخر ، فكنت أتقي مخالطته ومطاعمه لخوف الشبهات ، وكانت حالتي قريبة .

ثم جاء التأويل فٱنبسطت فيما يباح ، فٱنعدم ما كنت أجد من ٱستنارة وسكينة ، وصارت المخالطة توجب ظلمة في القلب إلىٰ أن عدم النور كله ، فكان حنيني إلىٰ ما ضاع مني يوجب ٱنزعاج أهل المجلس ، وكثر ضجيجي من مرضي ، وعجزت عن طب نفسي ، فلجأت إلىٰ قبور الصالحين ، وتوسلت في صلاحي ، فٱجتذبني لطف مولاي إلى الخلوة علىٰ كراهة مني .

ورد قلبي عليّ بعد نفور عني ، وأراني عيب ما كنت أوثره ، فأفقت من مرض غفلتي) . ٱنظر : « صيد الخاطر » (ص٧٨) بحذف يسير .

أخرج الإمام أحمد في « مسنده » عن عائشة قالت : بعثت صفية إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم بطعام قد صنعته له وهو عندي ، فلما رأيت الجارية أخذتني رعدة حتى ٱستقلني أَفْكَلٌ[1] ، فضربت القصعة ، فرميت بها .

قالت : فنظر إليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعرفت الغضب في وجهه ، فقلت : (أعوذ برسول الله أن يلعنني اليوم) .

قالت : قال : « أولىٰ »[2] ، قالت : قلت : (وما كفارته يا رسول الله ؟) ، قال : « طعام كطعامها ، وإناء كإنائها »[3] اهـ .

وذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » بٱختلاف يسير في بعض الألفاظ ، وقال : (رواه أبو داود وغيره بٱختصار ، ورواه أحمد ورجاله ثقات)[4] .

ومنهم : غلام أبي مسعود البدري الأنصاري .

روىٰ مسلم في « صحيحه » عن أبي مسعود : أنه كان يضرب غلامه فجعل يقول : (أعوذ بالله) ، قال : فجعل يضربه ، فقال : (أعوذ برسول الله) ، فتركه ،

---

(١) في « تاج العروس » (٣/ ٥٨٦) : (الأفكل : كأحمد ، الرعدة تعلو الإنسان تكون من البرد والخوف ولا فعل له ، ومنه حديث ٱبن سلام : « فأخذني أفكل » ، وفي حديث ٱبن عباس : « أوحى الله تعالىٰ إلى البحر أن أطع موسىٰ بضربه لك فبات وله أفكل ») اهـ
وفي « النهاية في غريب الحديث » (٣/ ٤٦٦) : (الأفكل ـ بالفتح ـ : الرعدة من برد أو خوف ، ولا يبنىٰ منه فعل ، وهمزته زائدة ، ووزنه أفعل ، وفي حديث عائشة : فأخذني أفكل فارتعدت من شدة الغيرة) اهـ .

(٢) قوله (أولىٰ) : معناه : التهديد والوعيد .

(٣) أخرجه أحمد في « مسنده » (٤٣/ ٣٨٦) .

(٤) « مجمع الزوائد » (١٠/ ٣٩٩) .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والله ؛ لله أقدر عليك منك عليه » ، قال : فأعتقه[1] .

ومنهم : **الحارث بن حسان الصحابي** ، ويقال : الحارث بن يزيد البكري رضي الله عنه .

وفي « البداية والنهاية » ما حاصله : أن الإمام أحمد روىٰ بسنده عن أبي وائل أن الحارث بن حسان خرج إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمر بالربذة فإذا عجوز من بني تميم ، فقالت له : (يا عبد الله ؛ إن لي إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجة ، فهل أنت مبلغي إليه ؟) ، فحملها فأتى المدينة ، وإذا راية سوداء تخفق ، وبلال متقلد السيف بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « ما شأن الناس ؟ » ، قالوا : (يريد أن يبعث عمرو بن العاص وجهاً) ، قال : فجلست فاستأذنت عليه ، فأذن لي فدخلت وسلمت ، فقال : « هل كان بينكم وبين بني تميم شيء ؟ » ، فقلت : (نعم ؛ وكانت لنا الدبرة عليهم ، ومررتُ بعجوز من بني تميم فسألتني أن أحملها إليك وها هي بالباب) ، فأذن لها فدخلت ، ثم خاصمته بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدهناء ، تَدَّعِي أنها لبني تميم قبيلتها ، ويدعي هو أنها لعشيرته .

قال الحارث : فقلت : (إن مثلي ما قال الأُوَلُ معزاء حملت حتفها حملتُ هٰذه الأمة ولا أشعر أنها كانت لي خصماً ، أعوذ بالله وبرسوله أن أكون كوافد عاد) ، قال : « هيه وما وافد عاد ؟ » ، قلت : (إن عاداً قحطوا فبعثوا وافداً لهم يقال له : قيل ، فمر بمعاوية بن بكر فأقام عنده شهراً يسقيه الخمر ويغنيه جاريتان

---

(١) أخرجه مسلم (١٦٥٩) وغيره .

يقال لهما : الجرادتان ، فلما مضى الشهر خرج إلىٰ جبال تهامة ، فقال : اللهم ؛ إنك تعلم أني لم أجئ إلىٰ مريض فأداويه ، ولا إلىٰ أسير فأفاديه ، اللهم ؛ اسق عاداً ما كنت تسقيه ، فمرت به سحابات سود ، فنودي منها اختر ، فأومأ إلىٰ سحابة منها سوداء فنودي منها خذها رماداً رمدداً ، لا تبقي من عاد أحداً) .

قال أبو وائل : (وكانت المرأة والرجل إذا بعثوا وافداً لهم قالوا : لا تكن كوافد عاد) .

وهكذا رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه ، وأورد هٰذا الحديث غير واحد من المفسرين كابن جرير وغيره ، انتهىٰ ما في « البداية والنهاية » بمعناه وحذف يسير[1] .

وذكره ابن كثير أيضاً في « تفسيره » في سورة الأحقاف[2] .

وقال الحافظ العسقلاني في « فتح الباري » : (أخرجه أحمد بإسناد حسن عن الحارث بن الحسان البكري)[3] .

ومنهم : سودة بنت مِسْرَح[4] .

---

(١) « البداية والنهاية » (١/ ١٥٧ـ ١٥٨) .

(٢) « تفسير ابن كثير » (٧/ ٢٨٦ـ ٢٨٧) .

(٣) « فتح الباري » (١٠/ ٥٩٢) .

(٤) قال ابن حجر في « الإصابة في تمييز الصحابة » (٨/ ١٩٥) : (سودة بنت مسرح ـ بكسر الميم وسكون السين المهملة وفتح الراء ، وقيل : بالشين المعجمة والتشديد الكندية ـ ، وحديثها في وقت وضع فاطمة الزهراء الحسن بن علي ، قلت : وصله بن منده من طريق عروة بن فيروز عنها) اهـ .

وقال ابن عبد البر في « الاستيعاب » (٤/ ١٨٦٨) : (روي عنها حديث واحد بإسناد=

ففي « مختصر تاريخ دمشق » لابن منظور : قالت سودة بنت مسرح : كنت فيمن حضر فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ضربها المخاض ، قالت : فأتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « كيف هي ، كيف هي ٱبنتي ، فديتها ؟ » ، قالت : قلت : (إنها لتجهد يا رسول الله) ، قال : « فإذا وضعت فلا تسبقيني به بشيء » ، قالت : فوضعت فسررته[1] ولففته في خرقة صفراء .

فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « ما فعلت ٱبنتي فديتها ، وما حالها ؟ وكيف بني ؟ » ، فقلت : (يا رسول الله ؛ وضعته وسررته وجعلته في خرقة صفراء) ، فقال : « لقد عصيتني » ، قالت : قلت : (أعوذ بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم من معصية ، سررته يا رسول الله ولم أجد من ذلك بداً) .

قال : « ٱئتني به » ، قالت : فأتيته به فألقىٰ عنه الخرقة الصفراء ، ولفّه في خرقة بيضاء وتَفَل في فيه ، وألبأه[2] بريقه .

قالت : فجاء علي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما سميته يا علي ؟ » ، قال : (سميته جعفراً يا رسول الله) ، قال : « لا ، ولكنه حسن ، وبعده حسين ، وأنت أبو الحسن والحسين » ، وفي رواية : « وأنت أبو الحسن

=مجهول ، أنها كانت قابلة لفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وضعت الحسن ، فلفته في خرقة صفراء ، فنزعها عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولفه في خرقة بيضاء وتفل في فيه وسماه الحسن) اهـ .

(١) أي : قطعت سره ، وفي « النهاية » (٢/ ٣٥٩) لابن الأثير : (أنه عليه السلام ولد مسروراً ، أي : مقطوع السرة ، وهي ما يبقى بعد القطع مما تقطعه القابلة ، والسرر ما تقطعه ، وهو السر بالضم أيضاً) اهـ .

(٢) قال في « المصباح المنير » (ص٥٤٨) : (اللبأ ـ مهموز وزان عنب ـ : أول اللَّبَن عند الولادة) .

الخير »[1] اهـ .

ومنهم : رجل من أهل اليمن .

قال الخطيب البغدادي في « المتفق والمفترق » : أخبرنا أبو بكر البرقاني ، حدثنا أبو بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي إملاء في « معجم الصحابة » ، أخبرني أبو عبد الله محمود بن محمد ، حدثنا وهب ٱبن بقية ، أخبرنا خالد عن عمرو بن يحيىٰ ، عن زياد بن أبي زياد ، قال : قدم علىٰ رسول الله صلى الله عليه وعلىٰ آله وسلم ركب من اليمن ، فأتوا النبي صلى الله عليه وعلىٰ آله وسلم فسألوهم عن حوائجهم ، فقال رجل منهم : (حاجتي أني أعوذ بالله ورسوله من النار) ، فقال : « أعاذك الله ورسوله من النار » .

قال الإسماعيلي رحمه الله : (لا أدري له صحبة أو لا ، يعني : زياد بن أبي زياد) .

وقال الخطيب البغدادي : (حدث عن زياد بن أبي زياد عمرو بن يحيى بن عمارة المدني عنه ، عن النبي صلى الله عليه وعلىٰ آله وسلم ، وأخرجه بعض الشيوخ المحدثين في « معجم الصحابة » ، وليس يثبت له صحبة)[2] اهـ .

قلت : ففي ٱستعاذة هؤلاء الصحابة رضي الله عنهم وغيرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم مع تقرير النبي صلى الله عليه وسلم لهم علىٰ ذلك نصّ

---

(١) وقد ذكر هٰذا الحديث ٱبن الأثير في « أسد الغابة » (ص٢٧٣) ، وٱبن حجر العسقلاني في « الإصابة في تمييز الصحابة » (٨/ ١٩٥) ، والمزي في « تهذيب الكمال » (٦/ ٢٢٢ ـ ٢٢٣) ، وأبو نعيم في « معرفة الصحابة » (٢/ ٦٥٦) ، وغيرهم بألفاظ مختلفة ؛ وليس فيها كلمة (ورسوله) التي بعد قوله : (أعوذ بالله) .

(٢) « المتفق والمفترق » (٢/ ٩٧٥) .

صريح في جواز الاستعاذة به صلى الله عليه وسلم ، وقد ذكرنا أن حديث عائشة رضي الله عنها أخرجه الإمام أحمد في « مسنده » ، وقال فيه الحافظ الهيثمي : (رجاله ثقات) ، كما ذكرنا أن حديث غلام أبي مسعود أخرجه الإمام مسلم في « صحيحه » ، وكفىٰ به وحده دليلاً وحجة ، وذكرنا أيضاً أن حديث الحارث بن حسان حسّنه أبو الفضل الحافظ العسقلاني ، ففي هٰذه الأحاديث الصريحة التي لا تقبل التأويل حجةٌ قطعية لأهل الحق المعتصمين بالسنة النبوية المطهرة ، وإفحامٌ للمتنطعين المتعسفين الطاعنين للإمام البوصيري رحمه الله .

نكتة

ٱعلم أن اللياذ الذي في قول الإمام البوصيري والاستعاذة التي وردت في الأحاديث النبوية المذكورة هما في المعنى اللغوي سواء ، فقد قال ٱبن منظور في « اللسان » : (عاذ به يعوذ عوذاً وعياذاً ومعاذاً : لاذ فيه ولجأ إليه)[1] ، وقال فيه أيضاً : (لاذ به يلوذ لوذاً ولياذاً : لجأ إليه وعاذ به)[2] .

فإذا جاز أحد المتماثلين وهو الاستعاذة به صلى الله عليه وسلم . . فما المانع من جواز نظيره الذي هو اللياذ واللجوء إليه صلى الله عليه وسلم ؟ ومعلوم أن التفريق بين المتماثلات عناد أو جهل محض ، فٱفهم ذلك ، والله الهادي إلى الصراط المستقيم .

وقد ورد أيضاً في حديث موقوف الاستعاذة بغير رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فروى الحافظ ٱبن السني في « عمل اليوم والليلة » في باب ما يقول إذا

---

(١) « لسان العرب » (٦/ ٥١٠) .

(٢) « لسان العرب » (٨/ ١٥٥) .

خاف السباع بسنده عن علي بن أبي طالب أنه قال : (إذا كنت بواد تخاف فيه السباع فقل : أعوذ بدانيال وبالجب من شر الأسد)[1] اهـ .

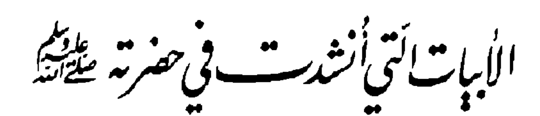
وفي « البداية والنهاية » لابن كثير ما لفظه : (روى الخرائطي من طريق إبراهيم ابن إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة ، عن داود بن الحسين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس عن علي قال : إذا كنت بواد تخاف السبع فقل : أعوذ بدانيال والجب من شر الأسد)[2] اهـ .



---

(١) « عمل اليوم والليلة » (ص٢١٣ ـ ٢١٤) .

(٢) « البداية والنهاية » (٣/ ٣٧) .



الأبيات التي أنشدت في حضرته صلى الله عليه وسلم

اعلم أن الأشعار التي أنشدت عنده صلى الله عليه وسلم كثيرة، قال ابن كثير: (قد أنشد بعض الصحابة رضي الله عنهم للنبي صلى الله عليه وسلم مائة بيت، يقول صلى الله عليه وسلم عقب كل بيت: « هِيْهِ »[1]، يعني: يستعظمه فيزيده من ذلك)[2].

وروىٰ أبو داود من حديث أبي بن كعب وبريدة بن الخصيب وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « إن من البيان سحراً، وإن من الشعر حِكَماً »[3].

وفي « السيرة الحلبية »: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لحسان رضي الله عنه: « هل قلت في أبي بكر شيئاً؟ »، قال: (نعم)، قال: « قل وأنا أسمع »، فقال:

وثاني اثنين في الغار المنيف وقد ... طاف العدو به إذ صعدوا الجبلا
وكان حِبَّ رسولِ الله قد علموا ... من البرية لم يعدل به رجلا

فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتىٰ بدت نواجذه، وفي لفظ: فتبسم، ثم قال: « صدقت يا حسان، هو كما قلت »[4] اهـ.

---

(١) أي: زدني.

(٢) « تفسير ابن كثير » (٦/ ٥٩٢).

(٣) أخرجه أبو داود (٤٩٧٢).

(٤) « السيرة الحلبية » (٢/ ٢١٤).

والذي في « الاستيعاب » لابن عبد البر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لحسان : « هل قلت في أبي بكر شيئاً ؟ » ، قال : (نعم) ، وأنشده هٰذه الأبيات :

إذا تذكرت شجوا من أخي ثقة ... فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا
خير البرية أتقاها وأعدلها ... بعد النبي وأوفاها بما حملا
والثانيَ التاليَ المحمود مشهده ... وأول الناس ممن صدق الرسلا

وفيها بيت رابع وهو : (وثاني اثنين . . . المذكور) ، فسر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك ، فقال : « أحسنت يا حسان » ، وقد روي فيها بيت خامس وهو : (وكان حب رسول الله . . . المذكور)[1] اهـ .

وفي « الاستيعاب » في ترجمة خنساء بنت عمرو بن الشريد الشاعرة : أنها قدمت علىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قومها من بني سليم ، فأسلمت معهم ، فذكروا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستنشدها فيعجبه شعرها ، فكانت تنشده وهو يقول : « هيه »[2] اهـ . وفي « الاستيعاب » أيضاً : أن الفارعة بنت أبي الصلت ـ أخت أمية بن أبي الصلت ـ قدمت علىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد فتح الطائف ، فقال لها يوماً : « هل تحفظين من شعر أخيك شيئاً ؟ » ، فأنشدت له نحو ثلاثة عشر بيتاً[3] .

وفي « السيرة الحلبية » : أن جويريات من بني النجار خرجن بالدفوف يقلن :

---

(١) « الاستيعاب » (٣/ ٩٦٤ ـ ٩٦٥) .
(٢) « الاستيعاب » (٤/ ١٨٢٧) .
(٣) « الاستيعاب » (٤/ ١٨٨٩) .

نحـن جَـوَارٍ مـن بنـي نجـار   يـا حبـذا محمـد مـن جـار

فخرج إليهن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : « أتحببنني » ، وفي رواية : « أتحبوني ؟ » ، قلن : (نعم ؛ يا رسول الله) ، فقال : « الله يعلم أن قلبي يحبكن » ، وفي رواية : « والله ؛ أحبكم » ، وفي رواية : « وأنا والله أحبكم ، وأنا والله أحبكم ، وأنا والله أحبكم » ، قال ذلك ثلاثاً .

وجاء عن ابن عباس مرفوعاً أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم جلسوا سماطين[1] وجاءت جارية يقال لها : سيرين معها مِزْهَرٌ[2] تختلف به بين القوم وهي تغنيهم وتقول :

هـل علـيّ ويحكـم   إن لهـوت مـن حـرج

فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم وقال : « لا حرج إن شاء الله »[3] اهـ .

وروىٰ مسلم في « صحيحه » عن رافع بن خديج قال : أعطىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان بن حرب وصفوان بن أمية وعيينة بن حصن والأقرع بن حابس كلَّ إنسان منهم مائة من الإبل ، وأعطىٰ عباس بن مرداس دون ذلك فقال عباس بن مرداس :

أتجعـل نهبـي ونَهـب العُبَيْـ   ـدِ[4] بيـن عيينـة والأقـرع

---

(١) قوله (سماطين) : أي : صفين .

(٢) في « القاموس المحيط » (ص٧٢٦) : (المزهر : كمنبر العود يضرب به ، وهو أحد آلات الطرب) .

(٣) « السيرة الحلبية » (٢/ ٢٤٦) .

(٤) قوله (العبيد) : اسم فرس عباس بن مرداس ، و(النَّهْبُ) : الغنيمة .

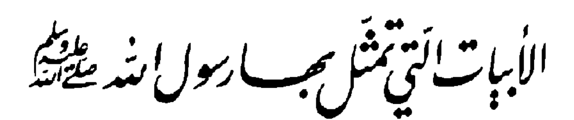
فمـا كان بـدر ولا حابـس يفوقـان مِـرْدَاس فـي المجمـع
ومـا كنـتُ دون اُمـرء منهمـا ومـن يخفـض اليـوم[1] لا يُرفـع

قال : فأتمَّ له رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة[2] .



(١) قوله (يخفض اليوم) : بصيغة المجهول ، وفي بعض النسخ تُخفض بصيغة الخطاب .

(٢) أخرجه مسلم (١٠٦٠) .



الأبيات التي تمثل بها رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ابن كثير في تفسير قوله تعالىٰ ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾[1] : عن عائشة رضي الله عنها سئلت : (هل كان يتمثل رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء من الشعر ؟) ، فقالت رضي الله عنها : (لا ؛ إلا بيت طرفة :

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار من لم تزود)

فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من لم تزود بالأخبار » ، فقال أبو بكر : (ليس هٰذا هكذا) ، فقال صلى الله عليه وسلم : « **إني لست بشاعر ولا ينبغي لي** »[2] .

وروى الإمام أحمد وغيره عن عائشة رضي الله عنها قالت : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استراث الخبر تمثل فيه ببيت طرفة : ويأتيك بالأخبار من لم تزود) ، ورواه الترمذي والنسائي أيضاً ، وقال الترمذي : (هٰذا حديث حسن صحيح)[3] .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : (ما جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت شعر قط إلا بيتاً واحداً :

تفاءل بما تهوىٰ يكن فَلَقَلَّمَا يقال لشيء كان إلا تحققا)[4]

---

(١) يس : ٦٩ .

(٢) « تفسير ابن كثير » (٦/ ٥٩٠) .

(٣) أخرجه أحمد في « مسنده » (٤٠/ ٢٤) ، والترمذي (٢٨٤٨) ، والنسائي (٩/ ٣٦٦) .

(٤) أخرجه البيهقي في « السنن الكبرىٰ » (١٣/ ٤٨٠) .

وقال ٱبن كثير : (سألت شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزيّ عن هٰذا الحديث فقال : هو منكر)[1] اهـ .

وثبت أنه صلى الله عليه وسلم قال يوم حنين وهو راكب البغلة يقدم بها في نحور العدو :

« أنا النبي لا كذب أنا ٱبن عبد المطلب »[2]

وفي « تفسير ٱبن كثير » في تفسير سورة النجم عن ٱبن عباس : ﴿ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ﴾[3] ، قال : (هو الرجل يلم بالفاحشة ثم يتوب) ، وقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إن تغفر اللهم تغفر جمّا وأي عبد لك ما ألما »

هكذا رواه الترمذي وقال : (هٰذا حديث صحيح حسن غريب)[4] اهـ .

والبيت من شعر أمية بن أبي الصلت الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم : « آمن شعره وكفر قلبه »[5] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل . »[6]

---

(١) « تفسير ٱبن كثير » (٦/ ٥٩٠) .

(٢) أخرجه البخاري (٤٣١٦) ، ومسلم (١٧٧٦) .

(٣) النجم : ٣٢ .

(٤) « تفسير ٱبن كثير » (٧/ ٤٦١) .

(٥) « الإصابة في تمييز الصحابة » (١/ ٣٨٦) .

(٦) أخرجه البخاري (٣٨٤١) ، ومسلم (٢٢٥٦) .

قال السيوطي في « الجامع الصغير » : (رواه البخاري ومسلم وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه)[1] اهـ .

وتتمة البيت :

وكل نعيم لا محالة زائل

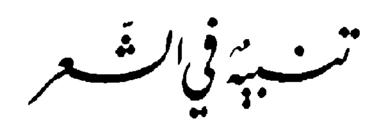
وفي رواية : (أصدق بيت) .

فقد ثبت واتضح من جملة ما ذكرناه أنه ليس في بيت : (يا أكرمَ الخلْقِ . . . إلخ) ولا موضع اعتراض ، وليس فيه ما يحرمه الشرع بل ولا ما هو مكروه ، فضلاً عما فيه شرك وكفر والله الموفق .



---

(١) « الجامع الصغير » (ص٧١) .



تنبيه في الشعر

اعلم أنه وردت في ذم الشعر أحاديث ، فاستدل بها مانعو المدائح النبوية الشعرية ، واستدلوا أيضاً بآية : ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾[1] ، وليس الأمر كما توهموا . . فقد ذكرنا أنه أنشدت في حضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم القصائد والأبيات الشعرية ، سواء كانت بمدحه صلى الله عليه وسلم أو غيره ، وأنه سكت علىٰ ذلك ، وأنه سُرّ ببعضها وأهدىٰ لناظمها بردته الشريفة ، بل تمثل هو صلى الله عليه وسلم ببعض الأبيات من الشعر ، وروى الطبراني في « المعجم الأوسط » عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الشعر بمنزلة الكلام ، فحسنه كحسن الكلام ، وقبيحه كقبيح الكلام »[2] ، وذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » وقال : (إسناده حسن)[3] .

وروىٰ أبو يعلىٰ في « مسنده » عن عائشة قالت : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الشعر ، فقال : « هو كلام ، فحسنه حسن وقبيحه قبيح »[4] ، وذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » وقال : (رواه أبو يعلىٰ ، وفيه عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان ، وثقه دحيم وجماعة ، وضعفه ابن معين وغيره ، وبقية رجاله رجال الصحيح)[5] اهـ .

---

(١) الشعراء : ٢٢٤ .

(٢) أخرجه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٧/ ٣٥٠) .

(٣) « مجمع الزوائد » (١٦/ ٣١٢) .

(٤) أخرجه أبو يعلىٰ في « مسنده » (٦/ ٦٤٨) .

(٥) « مجمع الزوائد » (١٦/ ٤١١ـ ٤١٢) .

وفي « السنن الكبرىٰ » للبيهقي : قال الشافعي رحمه الله : (الشعر : كلام حسنه كحسن الكلام ، وقبيحه كقبيح الكلام)[1] اهـ .

فتبيَّنَ واتضح أن الأدلة الواردة في ذم الشعر ليست علىٰ إطلاقها وعمومها ، بل هي مقيدة بما ذمه الشرع ، وتترتب عليه مفسدة ، فهو حينئذ كالنثر ، فما كان منه حسناً في الشرع . . كان حسناً مباحاً أو مستحباً ، قال ابن كثير : (إن الشعر فيه ما هو مشروع ، وهو هجاء المشركين الذي كان يتعاطاه شعراء الإسلام كحسان ابن ثابت وكعب ابن مالك وعبد الله بن رواحة وأمثالهم رضي الله عنهم ، ومنه ما فيه حكم ومواعظ وآداب كما يوجد من شعر جماعة من الجاهلية ، ومنهم أمية بن أبي الصلت الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « آمن شعره وكفر قلبه »)[2] اهـ .

جواز إنشاد الشعر في المساجد

روى الإمام أحمد في « مسنده » عن جابر بن سمرة قال : (شهدت النبي صلى الله عليه وسلم أكثر من مائة مرة في المسجد وأصحابه يتذاكرون الشعر وأشياء من أمر الجاهلية ، فربما تبسم معهم)[3] اهـ .

وروى النسائي في « سننه » عن زهير أوعن سماك بن حرب قال : قلت لجابر بن سمرة : (كنت تجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟) ، قال : (نعم ؛ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى الفجر . . جلس في مصلاه حتىٰ

---

(١) « السنن الكبرىٰ » (٩/ ٥٠٧) .

(٢) « الإصابة في تمييز الصحابة » (١/ ٣٨٦) .

(٣) أخرجه أحمد في « مسنده » (٣٤/ ٤٣٦) .

تطلع الشمس ، فيتحدث أصحابه يذكرون حديث الجاهلية ، وينشدون الشعر ، ويضحكون ويتبسم صلى الله عليه وسلم)[1] اهـ .

وروىٰ مسلم في « صحيحه » في باب فضائل حسان : (**أن حسان أنشد الشعر في المسجد بإذن النبي صلى الله عليه وسلم**)[2] .

قال الإمام النووي في « شرحه علىٰ صحيح مسلم » : (**في هٰذا الحديث جواز إنشاد الشعر في المسجد إذا كان مباحاً ، وٱستحبابه إذا كان في ممادح الإسلام وأهله**)[3] اهـ .

وروىٰ مسلم في « صحيحه » عن أبي هريرة : أن عمر مر بحسان وهو ينشد الشعر في المسجد فلحَظ إليه فقال : (قد كنت أُنشِد وفيه من هو خير منك) ، ثم ٱلتفت إلىٰ أبي هريرة فقال : أَنْشُدك الله . . أسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : أجب عني ، اللهم ؛ أيده بروح القدس) ، قال : (اللهم ؛ نعم)[4] .

وروى البخاري في باب ذكر الملائكة من « صحيحه » عن سعيد بن المسيب قال : مرَّ عمر في المسجد وحسان يُنْشِد فقال : (كنت أُنْشِد فيه وفيه من هو خير منك) ، ثم ٱلتفت إلىٰ أبي هريرة فقال : (أَنْشُدك بالله . . أسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : أجب عني ، اللهم ؛ أيده بروح القدس) ، قال : (نعم)[5] اهـ .

---

(١) أخرجه النسائي (١٣٥٧) .

(٢) أخرجه مسلم (٢٤٨٥) .

(٣) « شرح النووي علىٰ مسلم » (١٦/ ٦٧ـ ٦٨) .

(٤) أخرجه مسلم (٢٤٨٥) .

(٥) أخرجه البخاري (٣٢١٢) .

وعقد الإمام البخاري في « صحيحه » باباً في إنشاد الشعر في المساجد ، فقال : حدثنا أبو اليمان الحكم بن نافع ، قال : أخبرنا شعيب عن الزهري ، قال : أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ، أنه سمع حسان بن ثابت الأنصاري يستشهد أبا هريرة : (أنشدك الله . . هل سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : يا حسان أجب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اللهم ؛ أيده بروح القدس ؟) ، قال أبو هريرة : (نعم)[1] اهـ ، وروىٰ مسلم مثله في « صحيحه »[2] .

قال الإمام النووي في « شرحه علىٰ صحيح مسلم » : (في هٰذا الحديث ٱستحباب الدعاء لمن قال شعراً من هٰذا النوع)[3] اهـ

ولايخفىٰ أن « قصيدة البردة » في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم ومدح أصحابه رضي الله عنهم ، فيكون الدعاء لمصنفها مستحباً ، فمن العجب العجيب والأمر الغريب معاداته وبغضه وتكفيره علىٰ ذلك ، ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[4] .

وروىٰ مسلم في « صحيحه » أن حسان قال يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم :

---

(١) أخرجه البخاري (٤٥٣) .

(٢) أخرجه مسلم (٢٤٨٥) .

(٣) « شرح النووي علىٰ مسلم » (١٦/ ٦٨) .

(٤) الحشر : ١٠ .

هجوت محمداً فأجبت عنه وعند الله في ذاك الجزاء
هجوتَ محمدا برّاً تقياً رسول الله شيمته الوفاء
فإن أبي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم وقاء

فقالت عائشة : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لحسان : « إن روح القدس لايزال يؤيّدك ما نافحت عن الله وعن رسوله صلى الله عليه وسلم »[1] اهـ .

وقد نافح البوصيري رحمه الله تعالىٰ عن دين الله في قصائده ، وأطال في ردّ شبهات أهل الكتاب في « همزيته » و« لاميته » التي في الردّ على اليهود والنصارىٰ ، فلعل الله تعالىٰ أيّده بروح القدس كما أيد حسان بن ثابت به وألهمه في قلبه ما يدحض به أباطيل أعداء دينه ويردّ به كيدهم في نحورهم ، والله يختص برحمته من يشاء ، وله في خلقه شؤون وأمور لا يعملها غيره .

وقد أخبر الحبيب المصطفىٰ أن في أمته محدّثين ـ أي : ملهمين ـ ، فيحتمل أن يكون المصنف منهم ، ومما يدل علىٰ ذلك أن قصائده النبوية أفصح وأعذب في المباني والمعاني وأنواع البلاغة من قصائده الأخرىٰ .

وذكر بعض العلماء أنه يستحب الاستماع « قصيدة بانت سعاد » تأسياً برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنه كان يستمع إليها لما أنشدها بين يديه كعب بن زهير ، وقال الشيخ العلامة إبراهيم البيجوري في « حاشية الإسعاد علىٰ بانت سعاد » : في شرح قوله :

---

(١) أخرجه مسلم (٢٤٩٠) .

فـي فتيـة مـن قريـش قـال قائلهـم ... بيطـن مكـة لمـا أسـلموا زولـوا

(حين أنشد كعب هٰذا البيت نظر النبي صلى الله عليه وسلم إلىٰ أصحابه الكرام كالمعجب لهم من حسن مقوله ، وجودة شعره ، وكماله في حاله ، وقال لهم : « آسمعوا » ، أخرجه الحاكم والبيهقي)[1] .

وقال المحقق العلامة التاج السبكي في « طبقات الشافعية الكبرىٰ » ، والباجوري في « شرحه علىٰ قصيدة بانت سعاد » : (قد روي أنه لما أنشد كعب هٰذا البيت يعني :

لا يقـع الطعـن إلا فـي نحورهـم ... ومـا لهم عـن حيـاض المـوت تَهليل

نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلىٰ من كان بحضرته من قريش كأنه يومئ إليهم أن آسمعوا)[2] .

ثم قال الباجوري : (ويؤخذ من هٰذا ومن نظيره فيما تقدم : آستحباب سماع هٰذه القصيدة ؛ لما آشتملت عليه من نعوت الحضرة النبوية ، وأوصاف أصحابه المرضية ، وغيرها من الفضائل البهية ، والشمائل السنية ، ومعرفة القواعد العربية ، والفوائد الأدبية)[3] اهـ .

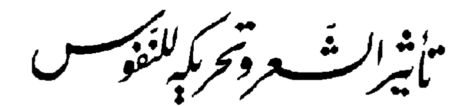
فآنظر ـ رحمك الله ـ إلىٰ قوله صلى الله عليه وسلم : « آسمعوا » ، فإذا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاستماع إلىٰ « قصيدة بانت سعاد » . . فما المانع منا أن نقيس « قصيدة البردة » عليها ونعطيها حكمها ؟ تأمل منصفاً .

---

(١) « حاشية الإسعاد علىٰ بانت سعاد » (ص١٧٤) .

(٢) « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (١/ ٢٣٠) .

(٣) « حاشية الإسعاد علىٰ بانت سعاد » (ص١٨٦) .



تأثير الشعر وتحريكه للنفوس

اَعلم أن للشعر تأثيراً في القلوب، وتَهييجاً للنفوس، وإبرازَ المطويات ومخَبَّئات الصدور، وإشعال نيران الحب والبغض، فلذلك ترى المدائح الشعرية النبوية المنبئة عن الفضائل والكمالات المحمدية وشمائله السنية تثير في القلوب النيرة كوامنَ الحب والشوق والحنين إلىٰ حضرة الحبيب ولقائه، فتكاد تطير من لذة ما تجده من سماع أوصافه، ومحاسن نعوته، وزواهر آياته، ومعجزاته، ومعالي أخلاقه، وجميل أحواله.

قال اَبن حجر الهيتمي في «شرح الهمزية» في شرح بيت:

وَاَملإِ السمع من محاسن يمليـ ـها عليك الإنشاد والإنشاء

(قد قالوا: من أقوى الأسباب الباعثة علىٰ محبته صلى الله عليه وسلم سماع الأصوات المطربة بالإنشادات بالصفات النبوية المعربة إذا صادفت محلاً قابلاً لها، فإنها تحدث للسامع سكراً وأريحيةً[1] وطرباً، وذلك يحدث عندها لسببين:

أحدهما: أنها في نفسها توجب لذة قوية ينغمر بها القلب.

الثاني: أنها تحرك النفس إلىٰ جهة محبوبها، فيحصل بتلك الحركة والشوق تخيل المحبوب وإحضاره في الذهن، وقُرْبُ صورته من القلب واَستيلاؤها على الفكر، وفي هٰذا من اللذة ما يغمر العقل؛ لاجتماع لذة الألحان وكثرة

---

(١) (الأريحية): النشاط والهشاشة.

الأشجان ، فيحصل للروح ما هو أعجب من سكر الشراب ، وأقوىٰ في اللذة من عناق الشواب .

وقد ذكر الإمام أحمد وغيره أن الله تعالىٰ يقول لداود : (مجِّدني بذلك الصوت الذي كنت تمجدني به في الدنيا) ، فيقول : (كيف وقد أذهبته ؟) ، فيقول : (أنا أرُدُّه عليك) ، فيقوم عند ساق العرش ويمجده ، فإذا سمع أهل الجنة صوته . . آستفرغ نعيم أهل الجنة)[1] اهـ ، أي : شغلهم صوته عما هم فيه من النعيم ، وذكر مثل هٰذا الحافظ القسطلاني في « المواهب اللدنية » وآبن كثير في « البداية والنهاية » نقلاً عن آبن أبي حاتم[2] .

فلهٰذا أكثر السلف والخلف من المدائح النبوية الشعرية في حياته صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته ، وتنافسوا فيها ، وفي « كشف الظنون » : (أن لابن سيد الناس فتح الدين محمد بن محمد الأندلسي ـ المتوفىٰ سنة (٧٣٤هـ) ـ كتاباً سماه : « منح المدح » ، جمع فيه المدائح التي مدح بها الأصحاب والتابعون الرسول صلى الله عليه وسلم ، والمدائح التي له المسماة بـ : « بشرى اللبيب »)[3] .

وقال آبن حجر الهيتمي في مقدمة « المنح المكية في شرح الهمزية » : (وكل مادحيه صلى الله عليه وسلم مقصرون عما هناك ، قاصرون عن أداء ما يتعين من ذلك ، كيف وآي الكتاب مفصحة عن علاه بما يبهر العقول ، ومصرحة من صفاته بما لا يستطاع إليه الوصول ؟! وقد قيل :

---

(١) « المنح المكية في شرح الهمزية » (ص٢٧٠) .

(٢) « المواهب اللدنية » (٣/ ٣١٣) ، « البداية والنهاية » (٢/ ١٧) .

(٣) « كشف الظنون » (٢/ ١٨٥٩) .

مـاذا عسـى الشـعراء اليـوم تمدحه   مـن بعـد مـا مدحـت حـم تَنْزِيـل

فعلم أنه لو بالغ الأولون والآخرون في إحصاء مناقبه صلى الله عليه وسلم . . لعجزوا عن استقصاء ما حباه به مولاه الكريم من مواهبه ، ولكان الملم بساحل بحرها مقصراً عن حصر بعض فخرها ، ولقد صح لمحبيه أن ينشدوا فيه :

وعلـىٰ تفنـن واصفيـه بحسـنه   يفنـى الزمـان وفيـه مـا لـم يوصـف

وإنه لحقيق بقول القائل :

فمـا بلغـت كـف امـرئ متنـاولاً   مـن المجـد إلا والـذي نـال أطـول
ولا بلـغ المهدون فـي القول مدحة   ولـو حذقـوا إلا الـذي فيـه أفضـل

ولابن خطيب الاندلسي :

مدحتك آيـات الكتـاب فما عسـىٰ   يثنـي علـىٰ عليـاك نظـم مديحـي
وإذا كتـاب الله أثنـىٰ مفصحـاً   كان القصـور قَصَـار[1] كل فصيـح

وقد رئي العارف المحقق السراج ابن الفارض رحمه الله في النوم فقيل له : لم لا مدحت النبي صلى الله عليه وسلم ؟ فقال :

أرىٰ كل مـدح فـي النبـي مقصِّـراً   وإن بالـغ المثنـي عليـه وأكثـرَا
إذا الله أثنـىٰ بالـذي هـو أهلـه   عليـه فمـا مقـدار مـا تمـدح الـورىٰ

فالمعاني وإن جلت دون مرتبته ، والأوصاف وإن كملت دون أوصافه ، وكل غلو في حقه تقصير ، فيضيق على البليغ النطاق ، فلا يبلغ إلا قليلاً من كثير) ، انتهىٰ ما نقلته من « المنح المكية »[2] .

---

(١) (القصار) : الغاية .

(٢) « المنح المكية في شرح الهمزية » (ص٦٨ ـ ٦٩) .

وأجاد السيد جعفر حيث قال في « نونيته » :

فما أدركوا والله غير خياله ... وربك أدرىٰ بالحقيقة لا ثان

وأجاد أيضاً الشيخ عبد الرحمن بن أحمد الزيلعي حيث قال في قصيدته « العينية » المشهورة :

وكلَّتْ عقولُ الخلقِ عن فهم شأنِهِ ... وأفحَمَ معنىٰ لفظِه كلَّ مدَّعِ



البحث عن اعتراضهم على قوله :



واعلم أنّ كثيراً من المبتدعة اعترض على المصنف بهٰذا البيت وطعنوا فيه، وذلك لتفسيرهم به بما لا يدل عليه لفظه لا مطابقة ولا التزاماً ولا تضمناً، وصدق من قال :

فكم من عائب قولاً صحيحاً وآفته من الفهم السقيم[1]

فسبّوه ويَدَّعُوه، فمما قال فيه بعضهم : هٰذا البيت مدح ؛ لكنه كفر، وقال أيضاً : لاشك أن هٰذا ضلال لا يرضاه الرسول عليه الصلاة والسلام . . . إلخ[2] .

وما قالوه هو الضلال المبين، والبهتان العظيم، وقد ذكرنا أن كثيراً من أئمة الإسلام المحدثين والمفسرين والفقهاء شرحوا هٰذه القصيدة ولم يطعن أحد منهم عليه بهٰذا البيت ولا بغيره، فهل هؤلاء الأئمة أعلم وأتقىٰ لله أم هؤلا الأغمار الذين يضمرون الأحقاد لكثير من أولياء الله تعالىٰ وأحبابه ؟!

قلت : وفي هٰذا البيت إشكال معروف غير ما تفوّه به هؤلاء المتنطعون، وقد تكلم عنه شراح هٰذه القصيدة قبل ظهور هٰذه الطائفة، وأجابوا عنه بما يقتنع به

---

(١) وقال المصنف رحمه الله في « البردة » :

قَدْ تُنْكِرُ العَيْنُ ضَوْءَ الشَّمْسِ مِنْ رَمَدٍ وَيُنْكِرُ الفَمُ طَعْمَ المَاءِ مِنْ سَقَمِ

(٢) هٰذا ما قاله الألباني في دروسه .

المنصف المتحرر عن التعصب والتعسف .

وٱعلم أن المراد من اللوح والقلم هنا فيه ٱحتمالان :

الأول : أن المراد منهما اللوح المحفوظ ، والقلمُ الذي كتب فيه ، وهـٰذا هو المعنى المتبادر إلى الأذهان .

والثاني : أن المراد باللوح هو الذي يَكتُب الناسُ عليه ، وبالقلم الذي يكتبُون به .

فعلى الأول يكون في البيت إشكال أجاب عنه الشراح ، وممن أجاب عنه العلامة الباجوري ، فقد قال في « حاشيته على البردة » : (و(مِنْ) في قوله (ومن علومك) : للتبعيض ، والمراد بعلومه صلى الله عليه وسلم المعلومات التي أطلعه الله عليها ، فإنه تعالىٰ أطلعه علىٰ علوم الأولين والآخرين ، والمراد بعلم اللوح والقلم المعلومات التي كتبها القلم في اللوح بأمر الله تعالىٰ ، فإنه ورد أول ما خلق الله القلم ، فقال له : ٱكتب ، قال : وما أكتب ؟ ، قال : ٱكتب مقادير كل شيء حتىٰ تقوم الساعة[1] .

وٱستشكل جعل علم اللوح والقلم بعض علومه صلى الله عليه وسلم بأن من جملة علم اللوح والقلم الأمور الخمسة المذكورة في آخر سورة لقمان ، مع أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يعلمها لأن الله قد ٱستأثر بعلمها فلا يتم التبعيض المذكور ؟ وأجيب بعدم تسليم أن هٰذه الأمور الخمسة مما كتب القلمُ في اللوح ، وإلا . . لاطلع عليها مَن شأنه أن يطلع على اللوح كبعض الملائكة المقربين ، وعلىٰ تسليم أنها مما كتب القلم في اللوح ، فالمراد أن بعض علومه

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٦٨) .

صلى الله عليه وسلم علم اللوح والقلم الذي يطلع عليه المخلوق ، فخرجت هٰذه الأمور الخمسة علىٰ أنه صلى الله عليه وسلم لم يخرج من الدنيا إلا بعد أن أعلمه الله تعالىٰ بهٰذه الأمور .

فإن قيل : إذا كان علم اللوح والقلم بعض علومه صلى الله عليه وسلم فما البعض الآخر ؟ أجيب بأن البعض الآخر هو ما أخبره الله عنه من أحوال الآخرة ، لأن القلم إنما كتب في اللوح ما هو كائن إلىٰ يوم القيامة فقط كما تقدم في الحديث)[1] .

وتكلم عن هٰذا الإشكال قبل الباجوري العلامة ٱبن علان في « شرحه على البردة » بما يقرب مما ذكرناه عن الباجوري ، فٱنحلّ بما أجاباه به عقدة الإشكال ، ولله الحمد[2] .

وأما على الاحتمال الثاني القائل : **إن المراد باللوح ما يكتب الناسُ فيه وبالقلم ما يكتبون به** ؛ فلا إشكال في هٰذا البيت أصلاً ، فإن المعنىٰ يكون حينئذ : إن علمَ الناس الذي يكتبونه بأقلامهم علىٰ ألواحهم بعض علومك ، وهٰذا صحيح ؛ **فإنه لا شك أن الله سبحانه وتعالى ٱختص حبيبه بعلوم كثيرة لم يعلَمْها غيرُه من الخلق ولم تكتبها أقلامُ الناس علىٰ ألواحهم .**

وقد نقل هٰذا الاحتمال عن الشراح الدكتور عمر عبد الله كامل ، فقال في

---

(١) « حاشية الباجوري على البردة » (ص١٤٨) .

(٢) **فإذا علمت أنه قد تكلم عن حلّ هٰذا الإشكال هٰذان الإمامان وغيرُهما . . لم يبق بعد ذلك لأمثال هؤلاء المعترضين كلام** ، ولا ينبغي لمن لا يبلغ علمُه معشار عشر علومهم أن يعترض بعد ذلك علىٰ هٰذا العالم البوصيري الذي لم يبلغوا عشر علمه ، والله الهادي إلىٰ سواء السبيل .

« البلسم المريح من شفاء القلب الجريح » : (هناك من جار على البوصيري وكفّره ، ومردُّ ذلك إلىٰ سوء فهمهم لبعض ما جاء فيها : فمن ذلك الإشكال في قول البوصيري :

فَـإِنَّ مِـنْ جُـوْدِكَ الدُّنْيَـا وَضَرَّتَــهَا وَمِـنْ عُلُوْمِـكَ عِلْـمَ اللَّـوْحِ وَالقَلَـمِ

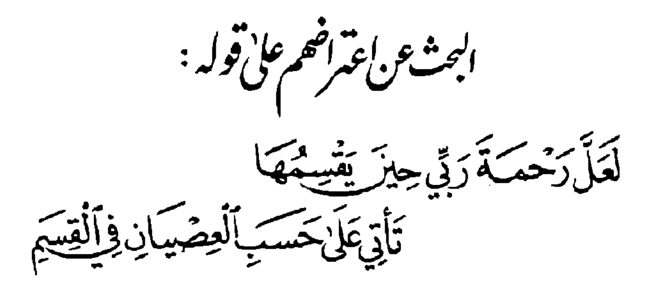
قال الشراح : المراد باللوح : ما يكتب الناس عليه ، وبالقلم : ما يكتبون به ، فكأنه قال : ومن علومك علم الناس الذي يكتبونه بأقلامهم في ألواحهم)[1] .

وحملُ البيت علىٰ أحد هٰذين المعنيين سائغ ولا مرجح لأحدهما على الآخر من حيث الدلالة اللفظيّة ، ولا يأباه أيضاً سياق الكلام هنا ، فلا داعي إلى الالتزام بالاحتمال الأول وإن كان هو المتبادر إلى الأذهان وجرىٰ عليه كثير من الشراح ، بل لا يُستبعد ترجيحُ الاحتمال الثاني لسلامته من إيراد الإشكال المذكور ، والله أعلم وهو الموفق .



---

(١) « البلسم المريح » (ص١٤) .



ومما ٱعترضوا على الإمام البوصيري رحمه الله قوله في أواخر هٰذه القصيدة : (لَعَلَّ رَحْمَةَ رَبِّي . . . إليخ) ، فقالوا : معنىٰ هٰذا البيت أن المعاصي إذا كانت كثيرة . . تكون رحمة الله على العاصي كثيرة ، وإذا كانت قليلة . . تكون رحمة الله عليه قليلة ؛ وهٰذا غلط ظاهر وخطأ واضح البطلان ، فإن كثرة المعاصي لا تكون سبباً لكثرة الرحمة ، وقلتها لا تكون سبباً لقلة الرحمة كما لا يخفىٰ .

فنقول : ليس الأمر كما فهموه ، ومعنى البيت الحقيقي الذي تدل عليه ألفاظه أن الله سبحانه إذا واجهت ألطافه عبده العاصي وغفر له ذنوبه . . تكون المغفرة له علىٰ حسب ذنوبه في القلة والكثرة ، فمن كانت ذنوبه عظيمة . . تكون قسمته من المغفرة أكثر وأعظم من قسمة من كانت ذنوبه قليلة ، فإنه لا يخفىٰ أن من غفر الله له مائة ذنب برحمته مثلاً ليس كمن غفر له برحمته ذنباً واحداً ، وليس المعنىٰ أن المعاصي الكثيرة تُجزىٰ برحمة كثيرة ، وأن المعاصي القليلة تُجزىٰ برحمة قليلة من الله تعالىٰ .

وقال العلامة محمد بن علي بن علاّن الصديقي في كتابه « الذخره والعدة في شرح البردة » في شرح البيت المذكور : (أي : الرحمة المعدة لستر ذنوب العصاة حين يقسمها إذا وزعت عليهم تأتي أقسامها في العظم والصّغر علىٰ

حسب قدر العصيان ، فمن حمل من المعاصي كثيراً . . كان ما يناله من أقسام الرحمة الساتر للمعاصي كثيراً)[1] اهـ بحذف يسير .

ثم رأيت العلامة الباجوري قال في « شرحه » علىٰ هٰذا البيت ما نصه : (أي : أرجو أن تكون رحمة ربي تأتي في القسم حين يقسمها بين العصاة علىٰ قدر عصيانِهم ، فمن حمل من العصيان حملاً كبيراً . . كان ما يناله من الرحمة شيئاً كبيراً ، ومن حمل من العصيان حملاً صغيراً . . كان ما يناله من الرحمة شيئاً صغيراً ، والمراد : الرحمة التي تنال العصاة لا الرحمة العامة التي تنال المطيع أيضاً ، فلا يقال : إذا قسمت الرحمة بحسب العصيان . . لم يبق للمطيع منها حظ ، فإن قيل : كلام الناظم يقتضي أن من كانت ذنوبه أكثر كان ما يناله من الرحمة أعظم وكيف يصح ذلك مع أن من كانت ذنوبه أقل كان أقرب للرحمة ، وأقربُ منه من كان طائعاً ؟ أجيب بأن الكلام في الرحمة التي تنال العاصي وقسمها علىٰ هٰذا الوجه ممكن لجواز العفو عما عدا الشرك)[2] اهـ .

وفي البيت لطيفة أخرىٰ ، وهي أن من عباد الله تعالىٰ من بدل الله سيئاتهم حسنات بفضله وإحسانه ، فقد قال الله جل شأنه : ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾[3] ، فمن كانت سيئاته كثيرة . . يبدل الله له بها حسنات كثيرة ، ومن كانت ذنوبه قليلة . . يبدل الله له حسنات قليلة علىٰ قدرها .

فيتمنىٰ حينئذ أن لو كانت سيئاته كثيرة لما روى الحاكم أبو عبد الله في

---

(١) « الذخر والعدة » (ص٣٠٦) .

(٢) « حاشية الباجوري على البردة » (ص١٥١) .

(٣) الفرقان : ٧٠ .

« المستدرك » عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليتمنينّ أقوام لو أكثروا من السيئات » ، قالوا : (بم يا رسول الله ؟) ، قال : « الذين بدل الله سيئاتهم حسنات » ؛ وقال : (إسناد هٰذا الحديث صحيح ولم يخرجاه ، يعني : البخاري ومسلم)[1] .

فيحتمل أن البوصيري رحمه الله كان ملحظه ورجاؤه لهٰذا المذكور من تبديل السيئات بالحسنات ، وقد يؤيد هٰذا الاحتمال ما قاله البوصيري في تضرعاته وٱبتهالاته في قصيدته « الهمزية » :

أو ترىٰ سيئاته حسنات فيقال ٱستحالت الصهباء[2]

فإنه صرح هنا بطموحه ورغبته في أن يبدل الله سيئاته حسنات .

ولهٰذه الطائفة ٱعتراضات سخيفة في أبيات أخرىٰ من هٰذه القصيدة ، لكن لا جدوىٰ في ذكرها والإجابة عنها ؛ لظهور بطلانها ، فأعرضت عن ردِّها والكلام علىٰ ما فيها من السقطات والهفوات ، والله الموفق .

---

(١) أخرجه الحاكم في « المستدرك » (٥/٣٥٨ـ٣٥٩) .

(٢) وقبل هٰذا قال اللبيب :

يا رحيماً بالمؤمنين إذا ما ذَهِلَت عن أبنائها الرضعاء
يا شفيعاً للمذنبين إذا أشـ ـفق من خوف ذنبه البرآء

إلىٰ أن قال :

راجيا أن تعود أعماله السو ء بغفران الله وهي هباء
أو ترىٰ سيئاته حسنات فيقال ٱستحالت الصهباء

و(الصهباء) : الخمر .

ٱعلم أنه لا ملام عليه في هٰذا البيت ولا في غيره من أبيات هٰذه القصيدة المباركة ، والذي يظهر أن الحامل لهٰذه الطائفة المتنطعة علىٰ هٰذه الترهات والاعتراضات أمور :

منها : الحقد وبغض الصوفية قدس الله أسرارهم ، وقد كان البوصيري من أئمتهم ، فقد ٱشتهر أنهم يضمرون العداوة لكثير من كبار أولياء الله تعالىٰ ، فيسبونهم وينسبون إليهم ٱفتراء ما لا أصل له ، ويرمونهم بما هم بريئون عنه ، وقد ورد الوعيد الشديد في إيذائهم وعداوتهم .

فروى البخاري عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله قال : من عادىٰ لي ولياً . . فقد آذنته بالحرب »[1] .

ومنها : بغض الأشاعرة الذين كان البوصيري منهم ، فقد كان شافعياً ، والشافعية كلهم أشاعرة إلا أفرادا معدودة بالأصابع ، وكذلك المالكية كلهم أشاعرة بلا ٱستثناء ، وأما الحنفية ؛ فهم ماتريدية إلا أفرادا قليلين منهم ، والحنابلة فيهم المجسمة وفيهم الأشاعرة .

قال العلامة المحقق التاج السبكي في « طبقات الشافعية الكبرىٰ » : (أنا أعلم أن المالكية كلهم أشاعرة لا أستثني أحداً ، والشافعية غالبهم أشاعرة ما أستثني إلا من لَحِقَ منهم بتجسيم أو ٱعتزال ممن لا يعبأ الله به ، والحنابلة أكثر فضلاء متقدميهم أشاعرة لم يخرج منهم عن عقيدة الأشعري إلا من لحق بأهل التجسيم ، وهم في هٰذه الفرقة من الحنابلة أكثر من غيرهم ، والحنفية أكثرهم

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٠٢) .

أشاعرة ، أعني : يعتقدون عقد الأشعرية لا يخرج منهم إلا من لحق منهم بالمعتزلة .

ومن كلام ٱبن عساكر الحافظ الشهير الثقة الثبت : هل من الفقهاء الحنفية والمالكية والشافعية إلا موافق للأشعري ، ومنتسب إليه وراض بحميد سعيه في دين الله مُثْنٍ بكثرة العلم عليه غير شرذمة قليلة ، تضمر التشبيه وتعادي كل موحد يعتقد التنزيه .

وذكر شيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام أن عقيدة أبي الحسن الأشعري ٱجتمع عليها الشافعية والمالكية والحنفية وفضلاء الحنابلة ، ووافقه علىٰ ذلك من أهل عصره شيخ المالكية في زمانه أبو عمرو بن الحاجب وشيخ الحنفية جمال الدين الحصيري)[1] اهـ .

وهٰذه الطائفة المتنطعة هم أتباع ٱبن القيم الجوزية ، صاحب « النونية » المشهورة التي يهجو بها الأشاعرة ، فقلدوه ومَن علىٰ شاكلته في بغض الأشاعرة وعداوتهم ، وتعصبوا لآرائهم الباطلة وأفكارهم السخيفة ، فتراهم يسبون الأشاعرة ولا يرقبون فيهم إلّا ولا ذِمَّة ، ويستلذون بتنقيصهم وثلب أعراضهم ، وقد قال الإمام النووي رحمه الله تعالىٰ في « مقدمة المجموع » : (قال الإمام الحافظ أبو القاسم ٱبن عساكر رحمه الله : ٱعلم يا أخي ؛ وفقني الله وإياك لمرضاته ، وجعلنا ممن يخشاه ويتقيه حق تقاته ، أن لحوم العلماء مسمومة ، وعادة الله في هتك أستار منتقصيهم معلومة ، وأن من أطلق لسانه في العلماء بالثلب . . بلاه الله قبل موته بموت القلب ، ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ

(١) ٱنتهىٰ ما نقلته من « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٣/ ٣٦٥ ـ ٣٧٨) ملخصاً .

أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1])[2] اهـ .

وتراهم يخفون محاسنهم ويبغون لهم العيوب والمساوي ، ويتتبعون عوراتِهم ويؤذونَهم بكل ما ٱستطاعوه ، وينتهزون كل فرصة لتنقيصهم وجرحهم ، فكأنّهم نسوا أو تناسوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الهَمّازون واللّمّازون والمشّاءون بالنّميمة الباغون للبُرَآء العيبَ يحشرهم اللهُ في وجوه الكلاب »[3] .

وفي رواية أخرىٰ عن أسماء بنت يزيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يا أيها الناس ؛ ألا أنبئكم بخياركم ؟ » ، قالوا : (بلىٰ) ، قال : « الذين إذا رؤوا ذكر الله ، ألا أنبئكم بشراركم ؟ » ، قالوا : (بلىٰ) ، قال : « فإن شراركم المشّاءون بالنميمة ، المفسدون بين الأحبة ، الباغون البرآء العنت »[4] .

وروى الطبراني حديث : « يا معشر ؛ من أسلم بلسانه ولم يدخل الإيمان في قلبه . . لا تذموا المسلمين ولا تطلبوا عوراتهم ، فإنه من يطلب عورة أخيه المسلم . . هتك الله ستره وأبدىٰ عورته ولو كان في ستر بيته »[5] .

وروىٰ أبو يعلىٰ والبيهقي : « يا معشر ؛ من آمن بلسانه ولم يخلص الإيمان

---

(١) النور : ٦٣ .

(٢) « مقدمة المجموع » (١/ ٤٨) .

(٣) أخرجه أبو الشيخ ٱبن حبان في « كتاب التوبيخ » . ٱنظر : « الترغيب والترهيب » (٣/ ٣٢٥) .

(٤) رواه الطبراني في « المعجم الكبير » (٢٤/ ١٦٧) ، و(العنت) : المشقَّة والفساد والهلاك والإثم والغَلَط والخطأ والزِّنا ؛ والحديث يحتَمِل كلَّها .

(٥) أخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » (٢/ ٢١) .

إلىٰ قلبه . . لا تؤذوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم ، فإنه من يتبع عورة أخيه . . يتبع الله عورته حتىٰ يفضحه الله في بطن بيته »[1] .

وروى الترمذي الحكيم مرسلاً : « يا معشر ؛ الذين أسلموا بألسنتهم ولم يدخل الإيمان في قلوبهم . . لا تؤذوا المسلمين ولا تضروهم ولا تتبعوا عثراتهم ، فإنه من تتبع عثرة أخيه المسلم . . تتبع الله عثرته ، ومن تتبع الله عثرته . . يفضحه وهو في قعر بيته » ، قيل : (يا رسول الله ؛ وهل على المؤمن ستر ؟) ، قال : « ستور الله على المؤمنين أكثر من أن تحصىٰ ، إن المؤمن ليعمل بالذنوب فيهتك عنه ستراً ستراً حتىٰ لا يبقىٰ عليه شيء ، فيقول الله تعالىٰ للملائكة : ٱستروا علىٰ عبدي من الناس فإنهم يعيرون ولا يغيرون ، فتحف عليه الملائكة بأجنحتها يسترونه ، فإن تتابع في الذنوب قالت الملائكة : يا ربنا ؛ قد غلبنا وأقذرنا ، فيقول للملائكة : تخلوا عنه ، فلو عمل ذنباً في بيت مظلم في ليلة مظلمة في جحر . . أبدى الله عنه وعن عورته »[2] .

وقال صلى الله عليه وسلم : « يبصر أحدكم القذىٰ في عين أخيه وينسى الجذع في عينه »[3] .

ولا يخفىٰ علىٰ من له أدنىٰ معرفة بتواريخ أئمة الدّين وعقائدهم أن الأشاعرة والماتريدية هما أهل السنة والجماعة المتمسكون بالكتاب والسنة بدون تأويل باطل ، وأنهما الفرقة الناجية دون باقي الفرق الأخرىٰ ، فمن عاداهم . . فقد

---

(١) أخرجه أبو يعلىٰ في « مسنده » (٣/ ١٩٧) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (١٣/ ٥٠٣) .

(٢) أخرجه المتقي الهندي في « كنز العمال » (٣/ ٤٥٧) .

(٣) قال السيوطي في « الجامع الصغير » (ص٥٨٩) : رواه أبو نعيم في « الحلية » (٤/ ٩٩) عن أبي هريرة .

عادىٰ معظم الأمة المحمدية وعلماءها ، فحسبنا الله ونعم الوكيل .

ومنها : الجهل وسوء الفهم ، فقد حمل كثيراً على اعتراض البوصيري الجهل وسوء الفهم بمعاني ألفاظ أبيات من هٰذه القصيدة المباركة ، فقلدوا تقليد الأعمىٰ لهؤلاء المنهمكين في اتباع أهوائهم والتعصب لآراء قادتهم وأفكار أسلافهم ، فهم مؤيدون لهم ولا يدرون مقاصدهم السيئة وأهدافهم الخفيّة التي هي القضاء والسيطرة علىٰ كل من لا يوافقهم علىٰ ضلالاتهم ومتابعة أهواءهم .

فهؤلاء جهال مخدوعون مستضعفون ، فلعل الله يرحمهم بضعفهم ويرشدهم إلى الحق ، فإن الجاهل قد يُعذر في بعض الأحوال ويُغتفر له ما لا يغتفر للعالم المتعمد الجريء علىٰ عصيان ربه ومخالفة أمره ، والله الموفق .



تنبيه
في أن أعداء البوصيري أصدقاؤه حقيقةً

ٱعلم أن مما أنعم الله به على البوصيري أن كانت له أعداء يسبُّونَه ويذمُّونه بل ويرمون به الشرك ، وهٰذا سنة الله في كثير من عباد الله الصالحين ، وقَلّما يسلم سادةُ الناس من ألسنة أراذل الناس ، فقد روى الحافظ البيهقي في « الزهد الكبير » ، والحافظ ٱبن عساكر في « تاريخ دمشق » و« تبيين كذب المفتري » عن مجاهد قال : سأل يحيى بن زكريا ربه تعالىٰ قال : (رب ؛ ٱجعلني أسلَمُ علىٰ ألسنة الناس) ، فأوحى الله عز وجل إليه : (يا يحيىٰ ؛ لم أجعل هٰذا لي ، فكيف أجعله لك ؟)[1] اهـ .

وروى ٱبن عساكر أيضاً في « تبيين كذب المفتري » عن عبد الرحمٰن بن عمر الأصبهاني قال : كنا في مجلس عبد الرحمن بن مهدي إذ دخل عليه شاب ، فما زال يدنيه حتىٰ أجلسه إلىٰ جنبه ، قال : فقام شيخ من المجلس ، فقال : (يا أبا سعيد ؛ إن هٰذا الشاب ليتكلم فيك حتىٰ إنه ليكذبك) ، فقال عبد الرحمن : (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، ٱدفع بالتي هي أحسن ، فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ، وما يلقاها إلا الذين صبروا ، وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم) .

---

(١) روى البيهقي في « الزهد الكبير » (ص١٠٤) ، وٱبن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦٤/ ٢٠٣) ، وفي « تبيين كذب المفتري » (ص٧٢٢) .

ثم قال عبد الرحمٰن : حدثني أبو عبيدة الناجي قال : كنا في مجلس الحسن البصري إذ قام إليه رجل فقال : (يا أبا سعيد ؛ إن ههنا قوماً يحضرون مجلسك ليتتبَّعوا سقط كلامك) ، فقال الحسن : (يا هٰذا ؛ إني أطمعتُ نفسي في جوار الله فطمعتْ وأطمعتُ نفسي في الحور العين ، فطمعتْ وأطمعت نفسي في السلامة من الناس فلم تطمع ، إني لما رأيت الناس لا يرضون عن خالقهم . . علمتُ أنهم لا يرضون عن مخلوق مثلهم)[1] اهـ .

قلت : وهؤلاء وإن كانوا للبوصيري أعداء في الظاهر لكنهم في معنى الأصدقاء له في الباطن ، فإنهم متبرعون في الحقيقة بثواب أعمالهم الصالحة كالصلاة والصدقة والزكاة وغيرها إن كانت لهم حسنات ، وإن لم تكن لهم أو فنيت . . فتُلقىٰ عليهم أوزارُه ، فقد روىٰ مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أتدرون من المفلس ؟ » ، قالوا : (المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع) ، فقال : « إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي وقد شتم هٰذا ، وقذف هٰذا ، وأكل مال هٰذا ، وسفك دم هٰذا ، وضرب هٰذا ، فيعطىٰ هٰذا من حسناته ، وهٰذا من حسناته ، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضىٰ ما عليه أخذ من خطاياهم . . فطرحت عليه ثم طرح في النار »[2] اهـ .

فهم بٱعتبار الحقيقة عُمال له بعد طيّ صحيفته من غير أجر وأجرة ، فمثلهم كمثل المغبون الذي ورد فيه حديث : « المغبون لا محمود ولا مأجور »[3] .

---

(١) روى ٱبن عساكر في « تبيين كذب المفتري » (ص٧٢١) .

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٨١) .

(٣) قال في « الجامع الصغير » (ص٥٥٢) : (رواه الخطيب عن علي ، والطبراني عن=

وهم أيضاً خَدَمٌ يخدمونه كما يخدم الرقيق سيدَه ، بل هم أحسن منه خدمة ؛ فإن العبد لا يعطي ثواب أعماله لسيده ، وهم في الحقيقة أعظم نفعاً من الذين يحبونه ويمدحونه ؛ إذ لا ثواب له في محبتهم ومدحهم له ، بل لو قيل : إن لهم مِنَّةً على الإمام البوصيري لم يستبعد ذلك ؛ لإهدائهم له باعتبار الحقيقة ثوابَ أعمالهم وإن كان ذلك من غير قصد منهم ، ولا يخفىٰ أن هٰذا كرم وإحسان عظيم يُمتنُّ على الإنسان بمثله ، فافهم ذلك فإنه دقيق ، والله الموفق .

وهٰذا ليس خاصاً بالبوصيري وأعدائه ، بل هو عام في كل ظالم ومظلوم كما في حديث مسلم السابق ، وكما رواه الإمام الحافظ ابن عساكر في « تبيين كذب المفتري » بسنده عن جابر بن عبد الله قال : قيل لعائشة رضي الله عنها : (إن ناساً يتناولون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتىٰ أنهم ليتناولون أبا بكر وعمر) ، فقالت : (أتعجبون من هٰذا إنما قطَعَ عنهم العملَ ، وأحَبَّ أن لا يقطع عنهم الأجر)[1] .

وفي رواية أخرىٰ عن جابر بن عبد الله أيضاً قال : قيل لعائشة رضي الله عنها : (إن ناساً يتناولون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتىٰ أنهم ليتناولون أبا بكر وعمر) ، قالت : (ما تعجبون من هٰذا انقطع عنهم العملُ ، فلم يحب الله أن يقطع عنهم الأجر) .

=الحسن بن علي ، وأبو يعلىٰ عن الحسين بن علي) .

وقال المناوي في « فيض القدير » (٦/ ٣٥٧) : (وأورده في « الفردوس » بلفظ : أتاني جبريل فقال : يا محمد ؛ ماكس عن درهمك ، فإن المغبون لا محمود ولا مأجور) اهـ .

وفي الحديث كلام ؛ فارجع إلى : « المقاصد الحسنة » (ص٢٩١ ـ ٢٩٢) ، و« كشف الخفاء » (ص٣٤٢) ، و« فيض القدير » (٦/ ٣٥٧) وغيرها .

(١) رواه ابن عساكر في « تبيين كذب المفتري » (ص٧٢٢) .

وروي عن عبد الرحمن بن مهدي قال : (لولا أني أكره أن يُعصى اللهُ عز وجل . . لتمنَّيتُ أن لا يبقىٰ في هٰذا المصر أحد إلا وقع فِيَّ وٱغتابني ، وأيّ شيء أهنأ من حسنة يجدها الرجل في صحيفته يوم القيامة ولم يعملها ولم يعلم بها ، وليس من يُذكَر بالسوء مغبوناً بل الذام له واللاعن له يصير ملعوناً ، وكيف يكون المذكور بسيءِ الذكر مرجوماً وقد صار مثاباً وذاكره بما قال فيه مأثوماً ؟)[1] .

وروي عن محمد بن عبد الله ـ يعني : ٱبن عبد الحكم ـ قال : سمعت الشافعي يقول : (ما أرى الناس ٱبتلوا بشتم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إلا ليزيدهم الله بذلك ثواباً عند ٱنقطاع عملهم)[2] اهـ .

ورویٰ أبو نعيم في « حلية الأولياء » بسنده عن الربيع بن سليمان ، قال : قال لي محمد بن إدريس الشافعي : (ما ساق الله هؤلاء الذين يتقوَّلون في علي وفي أبي بكر وعمر وغيرهم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إلا ليُجرِيَ الله لهم الحسنات وهم أموات)[3] .

وقال النووي في « الأذكار » : (روينا عن ٱبن المبارك رحمه الله قال : لو كنت مغتاباً أحداً . . لاغتبت والدي لانهما أحق بحسناتي)[4] اهـ .

وفي « شرح البخاري » لابن بطال أنه قيل للحسن البصري : (إن فلاناً

---

(١) رواه ٱبن عساكر في « تبيين كذب المفتري » (ص٢٢٧) .

(٢) رواه ٱبن عساكر في « تبيين كذب المفتري » (ص٣٢٧) .

(٣) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٩/ ١١٤) .

(٤) « الأذكار » للنووي (ص٥٤٨) .

أغتابك)، فبعث إليه طبقاً من الطرفّ، وقال: (بلغني أنك أهديت إليْ حسناتك، فأردت أن أكافئك بها)[1] اهـ.

(١) «شرح البخاري» لابن بطال (٩/ ٢٤٦).

نصيحة
في التحذير من تكفير أهل لا إله إلا الله

لقد ذكرنا أن طائفة من المبتدعة كفَّرت الإمام البوصيري رحمه الله ، **وقد تساهل في التكفير في هٰذا العصر كثير من الشبان الجاهلين والمتعالمين المتهتكين ، فتراهم يكفِّرون الناس بما ليس بكفر ولا حرام ، بل وبما هو مباح أو مندوب** ؛ كالتوسل والاستغاثة والتبرك بآثار الأنبياء والصالحين وغير ذلك من كل ما يخالف آراء زعمائهم وأفكار أئمتهم ، ولا يقبلون من غيرهم كلمة مخالفة لما يُلقيه إليهم قادتهم[1] ، وهم متفاوتون في التشدد والتنطع ، فمنهم غلاة يتفوّهون بما يدل علىٰ غباوتهم وتعصبهم الجنوني وتخبطهم العجيب ، فيكفّرون أئمة الدين وقادة الإسلام من المفسرين والمحدثين والفقهاء والزهاد من الأشاعرة والصوفية .

وقد شاع بين الناس أن بعض هؤلاء عُمَلاءُ لأعداء دين الإسلام ، وأنهم يستخدمونهم لتشتيت شمل المسلمين وتقسيمهم إلىٰ فرق متشاجرة وطوائف

---

(١) قال الشيخ بسَّام محمد بارُود في تعليقه علىٰ كتاب « الآداب المرضية لسالك طريق الصوفية » (ص٣٣٣) وهو يصف هؤلاء ما حاصله : (كأن رب العزة سبحانه فوّضهم بتوزيع شهادات الشرك والضلال علىٰ كل من قال : لا إله إلا الله ، ما لم يكن من أتباع طريقتهم ، والويل ثم الويل لمن خالفهم في نهجهم ولو بقراءة قرآن علىٰ ميت عزيز عليه ، فعليه منهم الويل والثبور ، نسأل الله السلامة من كل آفة في الدين والدنيا والآخرة .
فإياك يا أخي وإياهم ؛ واحذر من مخالطتهم جهدك ، فإن في مخالطتهم الخسار) ، انتهىٰ بحذف .

متناطحة وأحزاب متناحرة، وقد نجحت بعض مساعي هؤلاء الأعداء ومكايدهم ـ والأمر لله ـ في أقطار كثيرة من العالم الإسلامي، فإنا لله وإنا إليه راجعون !!

فأحببت أن أذكر هنا نبذة قليلة مما ورد في تكفير المسلمين من الوعيد الشديد والخطر العظيم، نصيحةً لهؤلاء المتسرِّعين فيه وتحذيراً لهم مما يترتب عليه من العقاب الأخروي وأنواع الفساد الدنيوي .

ومما ورد في خطر التكفير وذمه ما رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا قال الرجل لأخيه : يا كافر . . فقد باء بها أحدهما »[1] .

وعن أبي ذرٍ رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من دعا رجلاً بالكفر ، أو قال : عدو الله ، وليس كذلك إلا حار عليه »[2] .

وروى البخاري عن أبي ذر رضي الله عنه : أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يرمي رجل رجلاً بالفسوق ، ولا يرميه بالكفر . . إلا ٱرتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك »[3] .

وروىٰ مسلم في « صحيحه » عن ٱبن عمر : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إذا كفَّر الرجلُ أخاه . . فقد باء بها أحدهما »[4] .

---

(١) أخرجه البخاري (٦١٠٣) .

(٢) أخرجه مسلم (٦١) .

(٣) أخرجه البخاري (٦٠٤٥) .

(٤) أخرجه مسلم (٦٠) .

وقال النووي في « شرحه علىٰ مسلم » : (وفي رواية أخرىٰ : أيما رجل قال لأخيه يا كافر . . فقد باء بها أحدهما ، إن كان كما قال . . وإلا رجعت عليه)[1] .

وروى ٱبن حبان في « صحيحه » عن حذيفة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن ما أتخوف عليكم رجل[2] قرأ القرآن حتىٰ إذا رئيت بهجته عليه ، وكان ردئاً[3] للإسلام ، غيره إلىٰ ما شاء الله ، فٱنسلخ منه ونبذه وراء ظهره ، وسعىٰ علىٰ جاره بالسيف ، ورماه بالشرك » ، قال : قلت : (يا نبي الله ؛ أيهما أولىٰ بالشرك ، المرمي أم الرامي ؟) ، قال : « بل الرامي »[4] ، وذكره الحافظ أبونعيم الأصبهاني في « معرفة الصحابة » والطحاوي في « مشكل الآثار » بٱختلاف في بعض الألفاظ[5] .

وفي « الجامع الصغير » و« كنز العمال » : « كفوا عن أهل لا إله إلا الله ، لا تكفروهم بذنب ؛ فمن أكفر أهل لا إله إلا الله . . فهو إلى الكفر أقرب »[6] ، رواه الطبراني عن ٱبن عمر[7] .

وقال الإمام الغزالي في « الاقتصاد في الاعتقاد » : (والذي ينبغي أن يميل المحصل إليه : الاحتراز من التكفير ما وجد إليه سبيلاً ؛ فإن ٱستباحة الدماء

---

(١) « شرح مسلم » للنووي (٢/ ٦٤ ـ ٦٥) .

(٢) وفي رواية رواها أبو نعيم : (إن مما أتخوف عليكم رجلاً) .

(٣) (الردء) : القوة والعماد والناصر والمعين .

(٤) « الإحسان في تقريب صحيح ٱبن حبان » (١/ ٢٨٢) .

(٥) « معرفة الصحابة » للأصبهاني (٢/ ٦٩٠) ، و« شرح مشكل الآثار » (٢/ ٣٢٤) .

(٦) « الجامع الصغير » (ص ٣٩٠) ، و« كنز العمال » (٣/ ٢٥٣) .

(٧) « المعجم الكبير » للطبراني (١٢/ ٢٧٢) .

والأموال من المصلين إلى القبلة المصرحين بقول : لا إله إلا الله . . خطير ، والخطأ في ترك ألف كافر في الحياة أهون من الخطأ في سفك محجمة من دم مسلم)[1] اهـ .

وقال الحافظ العسقلاني في « فتح الباري » : (قال القرطبي في « المفهم » : وباب التكفير باب خطير ولا نعدل بالسلامة شيئاً ، فيكون الهامشان الخاصان بالنقل عن فتح الباري والمفهم كما هو المشار إليه أدناه[2])[3] .

وقال الشوكاني في « البدر الطالع » : (قال بعض من نظر بعين الحقيقة : لو كنت مغتاباً أحداً . . لاغتبت أبي وأمي ، لأنهما أحق بحسناتي التي تؤخذ مني قسراً .

وما أحسن هٰذا الكلام ، ولا ريب أن أشد أنواع الغيبة وأضرها وأشرها وأكثرها بلاءً وعقاباً ما بلغ منها إلىٰ حد التكفير واللعن ، فإنه قد صح أن تكفير المؤمن كفرٌ ، ولعنه راجع علىٰ فاعله ، وسبابه فسق ، وهٰذه عقوبة من جهة الله سبحانه .

وأما من وقع له التكفير واللعن والسب ؛ فمظلمة باقية علىٰ ظهر المكفر واللاعن والسباب ، ولم يكن ذلك حد عقوبته ، بل غريمه ينتظره بعرصات المحشر ليأخذ من حسناته أو يضع عليه من سيئاته بمقدار تلك المظلمة .

ومع ذلك ؛ فلا بد من شيء غير ذلك وهو العقوبة علىٰ مخالفة النهي ، لأن

---

(١) « الاقتصاد في الاعتقاد » (ص٣٠٥) .

(٢) « المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم » (٣/ ١١١) .

(٣) « فتح الباري » (١٦/ ١٩٣) .

الله قد نهىٰ في كتابه وعلىٰ لسان رسوله عن الغيبة بجميع أقسامها ، ومخالف النهي فاعل محرم ، وفاعل المحرم معاقب عليه)[1] اهـ بحذف يسير .

وٱعلم أن الله تعالىٰ أمرنا بالاستغفار لمن كان قبلنا من المؤمنين ، فقال تعالىٰ : ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾[2] ، فليحذر من كان يؤمن بالله عن ذمهم وسبهم ، وروى الإمام الحافظ ٱبن عساكر عن مسروق عن عائشة رضي الله عنها قالت : (أمروا بالاستغفار لهم فسبُّوهم ، أما أني سمعت نبيكم صلى الله عليه وسلم يقول : « لا تفنىٰ هٰذه الأمة حتىٰ يلعن آخرها أولها »)[3] .

فنداء إلى المتسرعين في التكفير في عصرنا أن يكفوا ألسنتهم وأيديهم عن أهل القبلة ولا يكفِّروهم ولا يستبيحوا دماءهم وأموالهم ، ولا يزرعوا بينهم الحقد والشحناء والتنازع والبغضاء ، فإنهم إن فعلوا ذلك . . تنافرت قلوب المسلمين وتذهب وحدتهم وتضعف شوكتهم ، فيطمع فيهم عدوهم .

قال الله سبحانه وتعالىٰ : ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[4] .

وقد نهىٰ الله عن إيذاء المؤمنين ، فقال جل شأنه : ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ بِغَيۡرِ مَا ٱكۡتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحۡتَمَلُواْ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا﴾[5] .

---

(١) « البدر الطالع » (١/ ٣٧٩ـ ٣٨٠) .

(٢) الحشر : ١٠ .

(٣) أخرجه ٱبن عساكر في « تبيين كذب المفتري » (ص٧١٩) .

(٤) الأنفال : ٤٦ .

(٥) الأحزاب : ٥٨ .

وقال الذهبي في «سير أعلام النبلاء»: (رأيت للاشعري كلمة أعجبتني وهي ثابتة رواها البيهقي، سمعت أبا حازم العبدوي يقول: سمعت زاهر بن أحمد السرخسي يقول: لما قرب حضور أجل أبي الحسن الاشعري في داري ببغداد دعاني فأتيته، فقال: اشهد علىٰ أني لا أكفر أحداً من أهل القبلة، لأن الكل يشيرون إلىٰ معبود واحد، وإنما هٰذا كله اختلاف العبارات.

قلت: وبنحو هٰذا أدين، وكذا كان شيخنا ابن تيمية في أواخر أيامه يقول: أنا لا أكفِّر أحداً من الأمة، ويقول: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن، فمن لازم الصلوات بوضوء.. فهو مسلم»[1])[2] اهـ.

واعلم أن هٰذه الطائفة المكفّرة للمسلمين هم أتباع ابن تيمية وأصحابه وإليه ينتمون، وقد فتنوا به، فيعظمونه ويبجلونه ويقدمونه علىٰ أئمة المذاهب وأصحابهم، ويتبعونه في آرائه المنحرفة وأفكاره المتطرفة وإن كانت مخالفة لما اتفقت عليه المذاهب الأربعة، وقد علمت أن الله ـ جلت قدرته ـ وفّقه في آخر عمره الرجوعَ إلى الحق ومتابعةَ مذهب أهل السنة والجماعة في هٰذه المسألة، وموافقةَ إمامهم أبي الحسن الأشعري فيها، فعلىٰ أتباعه أن يقتدوا به ويتّبعوه في ذلك كما يتّبعونه في غرائبه وتفرّداته فلا يكفرّوا أحداً من الأمة ويعضّوا علىٰ ذلك بالنواجذ، فإنه إذا لم يكفّر أحد أحداً من المسلمين.. ائتلفت القلوب واتّحدت الصفوف وعاد إليهم مجدُهم وعزّهم، وذلك علىٰ

---

(١) أخرج هٰذا الحديث كثيرون عن ثوبان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «استقيموا ولن تحصوا، واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة، ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن».

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١٥/ ٨٨).

الله يسير ، وما ذلك على الله بعزيز .

وأنصح أيضاً لشبان أهل السنة والجماعة ، فأقول لهم : يا معشر شباب الأشاعرة والماتريدية ؛ أنتم المتمسكون حقاً بالكتاب والسنة وما ٱستنبط منهما ، وأنتم السالكون المنهاج السوي والصراط المستقيم ، ولستم كمن ينطق بكل ما سوّلت له نفسه وينعق بما زيَّن له شيطانه ، ولا كَمَنْ يُقلِّد تقليد الأعمى الذي يتبع قائده وإن كان يقوده إلىٰ حتف أنفه ومصرعه .

فالذي ينبغي لكم أن لا تتسرّعوا في تكفير هؤلاء المبتدعة إذا كفّروكم ورموكم بالشرك الذي علىٰ أطراف ألسنتهم ، وإذا تبرؤوا منكم . . فلا تبرؤوا منهم ، بل تبرؤوا من أعمالهم السيئة ، فإن الله تعالىٰ قال مخاطباً لنبيه صلى الله عليه وسلم وآمراً له : ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[1] ، ولم يقل جلّ شأنه : فقل إني بريء منكم ، وقال تعالىٰ : ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[2] ، وقال تعالىٰ : ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ﴾[3] ، وقال تعالىٰ في قصة إبراهيم : ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾[4] ، وقال تعالىٰ حكاية عن هود : ﴿قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ * مِن دُونِهِۦ﴾[5] ؛ فهٰذا هو الخُلُقُ المرضي والصراط السوي والمنهج النبوي .

---

(١) الشعراء : ٢١٦ .

(٢) يونس : ٤١ .

(٣) هود : ٣٥ .

(٤) الأنعام : ٧٨ .

(٥) هود : ٥٤ ـ ٥٥ .

وإياكم والعجلة ؛ فإنّها من الشيطان ، وعليكم بالهدوء والتثبت والتّأني ، فإن ذلك من دأب الكمّل من الرجال ، وقد ورد في الحديث : « التأني من الله ، والعجلة من الشيطان »[1] ، وفي رواية أخرىٰ : « إذا تأنيت . . أصبت أو كدت ، وإذا ٱستعجلت . . أخطأت أو كدت تخطئ »[2] .

ولا يحملنكم حب الانتقام والتشفي علىٰ أن تقولوا فيهم مثل ما يقولون فيكم ، فقد ورد في الحديث : « من ٱتقى الله . . كَلَّ لسانُه ولم يشف غيظه »[3] ؛ فإنكم إذا فعلتم ذلك تكونون سواء ، وقد أجاد الإمام البوصيري رحمه الله حيث قال في « همزيته » :

لـو جَحَدْنَـا جُحُودَكُـم لاسـتوينا أَوَ للحـقِّ بالضَّـلالِ ٱسـتواءُ

وٱصبروا علىٰ أذاهم وأغيظوا الشيطان الذي أمرهم بظلمكم ، وٱستعيذوا بالله من تزيينه لكم الانتقامَ كما زيّن لهم الظلم والطغيان ، روى ٱبن عساكر بسنده عن أبي رزين قال : جاء رجل إلى الفضيل بن غزوان فقال : (إن فلاناً يقع فيك) ، قال : (لأغيظنّ من أمره ، يغفر الله لي ولَهُ) ، قيل : (من أمره ؟) ، قال : (الشيطان)[4] .

وٱعلموا أن ضرهم علىٰ أنفسهم بتكفير المسلمين أشد من ضرهم عليكم ، فٱرحموا لهم وعظوهم وٱنصحوا لهم وٱبذلوا قصارىٰ جهدكم في إرشادهم وإنقاذ أنفسهم من شر أنفسهم ، فإن قبلوا . . فٱحمدوا الله الذي هداهم

(١) « الجامع الصغير » (ص٢٠٣) .

(٢) أخرجه البيهقي في « السنن الكبرىٰ » (٢٠/ ٣٠٠) .

(٣) « الجامع الصغير » (ص٥٠٦) .

(٤) « تبيين كذب المفتري » (ص٧١٧) .

بنصيحتكم ، وإن أصرّوا . . فما عليكم من حسابِهم من شيء ، ولن يعدوا قدرهم ، وما يضرون إلا أنفسهم .

وإياكم أن تَحيدوا عن طريقة أسلافكم ونَهج أئمتكم ؛ فقد كان جمهور أهل العلم لا يكفرون الخوارج كما يأتي قريباً إن شاء الله .

نبذة من أحوال الخوارج

ذكر الشيخ عبد القاهر البغدادي في « الفَرق بين الفِرق » أن الخوارج عشرون فرقة ، ثم ذكر أسماء هٰذه الفرق كلها ، وقال : (إن الذي يجمع الخوارج على ٱفتراق مذاهبها تكفيرهم علياً وعثمان وأصحاب الجمل والحكمين ومن صوّبَهما أو صوب أحدهما أو رضي بالتحكيم)[1] .

وقد وردت فيهم أحاديث كثيرة تبلغ حدّ التواتر كما قاله ٱبن كثير في « البداية والنهاية »[2] .

الأحاديث الواردة في أوصافهم وثواب من قتلهم أو قتلوه

روىٰ مسلم في « صحيحه » عن زيد بن وهب الجهني : أنه كان في الجيش الذين كانوا مع علي رضي الله عنه الذين ساروا إلى الخوارج ، فقال علي رضي الله عنه : (أيها الناس ؛ إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يخرج قوم من أمتي يقرءون القرآن ليس قراءتكم إلىٰ قراءتهم بشيء ، ولا صلاتكم إلىٰ صلاتهم بشيء ، ولا صيامكم إلىٰ صيامهم بشيء ، يقرءون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم ، لا تجاوز صلاتهم تراقيهم ، يمرقون من الإسلام

(١) « الفرق بين الفرق » (ص٧٢) .

(٢) ٱنظر : « البداية والنهاية » (٧/ ٢٨٢) .

كما يمرق السهم من الرّمية »[1] ، لو يعلم الجيش الذين يصيبونَهم ما قضي لهم علىٰ لسان نبيهم صلى الله عليه وسلم . لاتكلوا عن العمل ، وآية ذلك أن فيهم رجلاً له عضد وليس له ذراع علىٰ رأس عضده مثل حلمة الثدي عليه شعرات بيض)[2] اهـ .

وروىٰ مسلم عن أبي سعيد الخدري يقول : بعث علي بن أبي طالب إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليمن بذهبة في أديم مقروظ لم تحصل من ترابِها[3] ، قال : فقسمها بين أربعة نفر بين عيينة بن حصن والأقرع بن حابس وزيد الخيل والرابع إما علقمة بن علاثة وإما عامر بن الطفيل ، فقال رجل من أصحابه : (كنا نحن أحق بهٰذا من هؤلاء) ، قال : فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : « ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء ؟! يأتيني خبر السماء صباحاً ومساءً » ، قال : فقام رجل غائر العينين مشرف الوجنتين ناشز الجبهة كث اللحية محلوق الرأس مشمر الإزار فقال : (يا رسول الله ؛ اّتق الله) ، فقال : « ويلك ؛ أولستُ أحق أهل الأرض أن يتقي الله » ، قال : ثم ولّى الرجل ، فقال خالد بن الوليد : (يا رسول الله ؛ ألا أضرب عنقه ؟) ، فقال : « لا ، لعله أن يكون يصلي »[4] ، قال خالد : (وكم من مصل يقول بلسانه ما ليس في قلبه ؟) ، فقال

---

(١) قال النووي في « شرح مسلم » (٧/ ٢٢٤) : (قال القاضي : معناه يخرجون منه خروج السهم إذا نفذ الصيد من جهة أخرىٰ ، ولم يتعلق به شيء منه ، والرمية : هي الصيد المرمي ، وهي فعيلة بمعنى مفعولة) اهـ .

(٢) أخرجه مسلم (١٠٦٦) .

(٣) قال النووي في « شرح مسلم » (٧/ ٢٢٨) : (قوله في أديم مقروظ : أي : مدبوغ بالقَرَظِ ، وقوله لم تحصل من ترابِها : أي : لم تميز) اهـ .

(٤) فانظر إلىٰ قوله صلى الله عليه وسلم « لعله أن يكون يصلي » : مع ما يجري في هٰذه=

رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إني لم أومر أن أنقب عن قلوب الناس ، ولا أشق بطونَهم » ، قال : ثم نظر إليه وهو مقف[1] فقال : « إنه يخرج من ضئضئ[2] هٰذا قوم يتلون كتاب الله رطباً لا يجاوز حناجرهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية » ، قال : (أظنه قال : « لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل ثمود »)[3] .

وروىٰ مسلم في « صحيحه » أيضاً عن أبي سعيد : أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر قوماً يكونون في أمته يخرجون في فرقة[4] من الناس سيماهم التحالق ، قال : « هم شر الخلق أو من أشر الخلق ، يقتلهم أدنى الطائفتين إلى الحق »[5] اهـ .

=الأيام في كثير من بلاد المسلمين من التكفير والتفجير والتدمير وسفك الدماء بغير حق وقتل الأبرياء في المساجد وغيرها ، بلا تمييز بين الرجال والنساء والأقوياء والضعفاء ، والعوام والعلماء ؛ فحسبنا الله ونعم الوكيل .

(١) قال النووي في « شرح مسلم » (٧/ ٢٢٩) : (قوله وهو مقف : أي : مُوَلّ قد أعطانا قفاه) .

(٢) قال النووي في « شرح مسلم » (٧/ ٢٢٧) : (قوله من ضئضئ هٰذا : بضادين معجمتين مكسورتين وآخره مهموز وهو أصل الشيء) ، لكن المراد منه هنا نسل هٰذا الرجل وعقبه كما قاله العسقلاني في « فتح الباري » (٩/ ٤٩١) وٱبن الأثير في « النهاية » (٣/ ٦٩) .
وقال ٱبن كثير في « البداية والنهاية » (٧/ ٢٩٢) : (إنما أراد من ضئضئ هٰذا : أي : من شكله وعلىٰ صفته وجنسه ؛ لان الخوارج لم يكونوا من سلالة هٰذا ، بل ولا أعلم أحداً منهم من نسله والله أعلم ، وهٰذا الرجل هو ذو الخويصرة التميمي وسماه بعضهم حرقوصاً) .

(٣) أخرجه مسلم (١٠٦٤) .

(٤) قال النووي في « شرح مسلم » (٧/ ٢٣٣) : (وقوله فرقة : بضم الفاء ، أي : في وقت ٱفتراق الناس ، أي : ٱفتراق يقع بين المسلمين) .

(٥) أخرجه مسلم (١٠٦٥) .

وروى البخاري ومسلم واللفظ له عن أبي سعيد الخدري قال : بعث علي رضي الله عنه وهو باليمن بذهبة في تربتها إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أربعة نفر : الأقرع بن حابس الحنظلي وعيينة بن بدر الفزاري وعلقمة بن عُلاثة العامري ثم أحد بني كلاب وزيد الخير الطائي ثم أحد بني نبهان ، قال : فغضبت قريش فقالوا : (أَتُعْطِي صناديد نجد وتَدَعُنَا ؟) ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إني إنما فعلت ذلك لأتألفهم » ، فجاء رجل كث اللحية مشرف الوجنتين غائر العينين ناتئ الجبين محلوق الرأس فقال : (اتق الله يا محمد) ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فمن يطع الله إن عصيته ، أيأمنني علىٰ أهل الأرض ولا تأمنوني ؟ » ، قال : ثم أدبر الرجل فاستأذن رجل من القوم في قتله يَرَوْنَ أنه خالد بن الوليد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن من ضئضئ هٰذا قوماً يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم ، يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية ، لئن أدركتهم . . لأقتلنهم قتل عاد »[1] اهـ .

وذكر اليافعي في « مرآة الجنان » : (أنّ الخوارج لما خرجوا إلى النهروان لقوا مسلماً ونصرانياً ، فقتلوا المسلم وأطلقوا النصراني ، وأوصوا به خيراً ، وقالوا : احفظوا وصية نبيكم صلى الله عليه وآله وسلم)[2] اهـ .

وقال ابن الأثير في « الكامل في التاريخ » ما نصه : (قيل : لما أقبلت الخارجة من البصرة حتىٰ دنت من النهروان رأىٰ عصابةٌ منهم رجلاً يسوق

(١) أخرجه البخاري (٧٤٣٢) ، ومسلم (١٠٦٤) .

(٢) « مرآة الجنان » (١/ ٩٥) .

بامرأة علىٰ حمار ، فدعوه فانتهروه فأفزعوه وقالوا له : (من أنت ؟) ، قال : (أنا عبد الله بن خباب صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم) ، فقالوا له : (أفزعناك ؟) ، قال : (نعم) .

قالوا : (لا روع عليك ، حدثنا عن أبيك حديثاً سمعه من رسول الله ، صلى الله عليه وسلم تنفعنا به) ، فقال : (حدثني أبي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « تكون فتنة يموت فيها قلب الرجل كما يموت فيها بدنه ، يمسي فيها مؤمناً ويصبح كافراً ، ويصبح كافراً ويمسي مؤمناً ») .

قالوا : (لهٰذا الحديث سألناك ، فما تقول في أبي بكر وعمر ؟) ، فأثنىٰ عليهما خيراً .

قالوا : (ما تقول في عثمان في أول خلافته وفي آخرها ؟) ، قال : (إنه كان محقاً في أولها وفي آخرها) .

قالوا : (فما تقول في علي قبل التحكيم وبعده ؟) ، قال : (إنه أعلم بالله منكم وأشد توقياً علىٰ دينه وأنفذ بصيرة) .

فقالوا : (إنك تتبع الهوىٰ وتوالي الرجال علىٰ أسمائها لا علىٰ أفعالها ، والله ؛ لنقتلنك قتلةً ما قتلناها أحداً) ، فأخذوه وكتفوه ثم أقبلوا به وبامرأته ، وهي حبلىٰ متم ، حتىٰ نزلوا تحت نخل مواقير[1] ، فسقطت منه رطبة ، فأخذها أحدهم فتركها في فيه ، فقال آخر : أخذتها بغير حلها وبغير ثمن ، فألقاها ، ثم مرّ بِهم خنزير لأهل الذمة فضربه أحدهم بسيفه ، فقالوا : (هٰذا فساد في الأرض) ،

---

(١) قوله (نخل مواقير) : قال في « تاج العروس » (٧/ ٥٩٦) و« لسان العرب » (٩/ ٣٦٨) : أوقرت النخلة : أي : كثر حملها ، ونخلة موقرة بكسر القاف وموقرة بفتحها اهـ .

فلقي صاحب الخنزير فأرضاه .

فلما رأىٰ ذلك منهم ٱبن خباب قال : (لئن كنتم صادقين فيما أرىٰ فما عليّ منكم من بأس ، إني مسلم ما أحدثت في الإسلام حدثاً ، ولقد آمنتموني قلتم : لا روع عليك) .

فأضجعوه فذبحوه ، فسال دمه في الماء ، وأقبلوا إلى المرأة فقالت : (أنا ٱمرأة ألا تتقون الله !) ، فبقروا بطنها)[1] اهـ .

وقال الحافظ في « الفتح » : (قال ٱبن هبيرة : وفي الحديث أن قتال الخوارج أولىٰ من قتال المشركين ، والحكمة فيه أن في قتالهم حفظ رأس مال الإسلام ، وفي قتال أهل الشرك طلب الربح ، وحفظ رأس المال أولىٰ)[2] اهـ .

وروى الإمام أحمد في « مسنده » عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن قوماً يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية ، يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم ؛ طوبىٰ لمن قتلهم وقتلوه علامتهم رجل مُخْدَجُ اليد[3] »[4] اهـ .

وروىٰ أحمد أيضاً عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

---

(١) ذكر قصة عبد الله بن خباب : ٱبن كثير في « البداية والنهاية » (٧/ ٢٧٩ ـ ٢٨٠) ، والعسقلاني في « فتح الباري » (١٦/ ١٨٦) ، والذهبي في « تاريخ الإسلام » (٣/ ٥٨٨) وغيرهم .

(٢) « فتح الباري » (٧/ ١٩٣) .

(٣) قوله (مخدج اليد) : قال النووي في « شرح مسلم » (٧/ ٢٣٩) : (المخدج بضم الميم وإسكان الخاء المعجمة وفتح الدال ، أي : ناقص اليد) .

(٤) أخرجه أحمد في « مسنده » (٢/ ٤٣١) .

« سيكون في أمتي آختلاف وفرقة ، قوم يحسنون القيل ويسيئون الفعل ، يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم ، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية ، لا يرجعون حتىٰ يرتد علىٰ فوقه ، هم شر الخلق والخليقة ، طوبىٰ لمن قتلهم وقتلوه ، يدعون إلىٰ كتاب الله وليسوا منه في شيء ، من قاتلهم كان أولىٰ بالله منهم » ، قالوا : (يا رسول الله ؛ ما سيماهم ؟) ، قال : « التحليق »[1] اهـ .

ورویٰ أبو نعيم في « الحلية » بسنده عن آبن أبي أوفىٰ ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في الخوارج : « هم كلاب النار »[2] اهـ .

وروى الطبراني في « المعجم الكبير » بسنده عن أبي غالب قال : لما أتي برؤوس الأزارقة فنصبت علىٰ درج دمشق ، جاء أبو أمامة ، فلما رآهم دمعت عيناه ، ثم قال : (كلاب النار ، كلاب النار ، هؤلاء شر قتلىٰ تحت أديم السماء ، وخير قتلىٰ تحت أديم السماء الذين قتلهم هؤلاء) ، قلت : (فما شأنك دمعت عيناك ؟) ، قال : (رحمة لهم ، إنّهم كانوا من أهل الإسلام) ، قال : قلت : (أبرأيك ؟ قلتَ : كلاب النار ، أم شيئاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟) ، قال : (إني إذا لجريء ، بل شيئاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مرة ، ولا ثنتين ولا ثلاث فعدد مراراً) ، ثم تلا : ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾[3] حتىٰ بلغ ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[4] ، وتلا : ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ

---

(١) أخرجه أحمد في « مسنده » (٢١/ ٥١) .

(٢) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٥/ ٥٦) .

(٣) آل عمران : ١٠٦ .

(٤) آل عمران : ١٠٧ .

﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ﴾ حتىٰ بلغ ﴿إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[1] ، ثم أخذ بيدي ، فقال : (أما إنهم بأرضك كثير ، فأعاذك الله منهم)[2] اهـ .

وقال ٱبن كثير في « تفسيره » : (قال قتادة في قوله : ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ﴾[3] يقول : ومنهم من يطعن عليك في الصدقات ، وذُكر لنا أن رجلاً من أهل البادية حديثَ عهد بأعرابية ، أتىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم ذهبا وفضة ، فقال : (يا محمد ؛ والله ؛ لئن كان الله أمرك أن تعدل ما عدلت) ، فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم : « ويلك ؛ فمن ذا يعدل عليك بعدي ؟ » ، ثم قال نبي الله : « ٱحذروا هٰذا وأشباهه ، فإن في أمتي أشباه هٰذا ، يقرءون القرآن لا يجاوز تَرَاقيَهم ، فإذا خرجوا . . فٱقتلوهم ، ثم إذا خرجوا . . فٱقتلوهم ، ثم إذا خرجوا . . فٱقتلوهم » ، وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « والذي نفسي بيده ؛ ما أعطيكم شيئاً ولا أمنعكموه ، إنما أنا خازن »)[4] اهـ .

وفي « البداية النهاية » لابن كثير : (لما قتل علي أهل النهروان ، جعل الناس يقولون : الحمد لله يا أمير المؤمنين الذي قطع دابرهم ، فقال علي : كلا والله ؛ إنّهم لفي أصلاب الرجال وأرحام النساء)[5] اهـ .

---

(١) آل عمران : ٧ .

(٢) أخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » (٨/ ٣١٩ـ ٣٢٠) .

(٣) التوبة : ٥٨ .

(٤) « تفسير ٱبن كثير » (٤/ ١٦٤) .

(٥) « البداية والنهاية » (٧/ ٢٨١ ـ ٢٨٢) .

حكم الخوارج

اختلف العلماء فيهم :

فذهب طائفة منهم إلىٰ أنّهم كفّار ، منهم : الحافظ أبو بكر بن العربي ، قال الحافظ العسقلاني في « فتح الباري » : (صرح القاضي أبو بكر بن العربي في « شرح الترمذي » بكفرهم فقال : الصحيح أنهم كفار لقوله صلى الله عليه وسلم : « يمرقون من الإسلام » ، ولقوله : « لأقتلنهم قتل عاد » ، وفي لفظ : « ثمود » ، وكل منهما إنما هلك بالكفر ، وبقوله : « هم شر الخلق » ولا يوصف بذلك إلا الكفار ، ولقوله : « إنّهم أبغض الخلق إلى الله تعالىٰ ولحكمهم علىٰ كل من خالف معتقدهم بالكفر والتخليد في النار » ، فكانوا هم أحق بالاسم منهم .

وممن جنح إلىٰ ذلك من أئمة المتأخرين الشيخ تقي الدين السبكي فقال في « فتاويه » : احتج من كفر الخوارج وغلاة الروافض بتكفيرهم أعلام الصحابة لتضمنه تكذيب النبي صلى الله عليه وسلم في شهادته لهم بالجنة ، قال : وهو عندي احتجاج صحيح)[1] اهـ .

وذهب جمهور أهل العلم إلىٰ أنّهم مسلمون ، فقال الحافظ العسقلاني في « فتح الباري شرح صحيح البخاري » : (قال الخطابي : أجمع علماء المسلمين علىٰ أن الخوارج مع ضلالتهم فرقة من فرق المسلمين ، وأجازوا مناكحتهم وأكل ذبائحهم ، وأنهم لا يُكَفَّرون ما داموا متمسكين بأصل الإسلام .

وقال ابن بطال : ذهب جمهور العلماء إلىٰ أن الخوارج غير خارجين عن

---

(١) « فتح الباري » (١٦/ ١٩٠ ـ ١٩١) .

جملة المسلمين)[1] اهـ .

وقد ذكرنا أن أبا أمامة رضي الله عنه قال : (إنّهم من أهل الإسلام) .

وقال النووي في « شرح مسلم » : (المذهب الصحيح المختار الذي قاله الأكثرون والمحققون : أن الخوارج لا يكفرون كسائر أهل البدع)[2] ، وقال في موضع آخر منه : (مذهب الشافعي وجماهير أصحابه العلماء أن الخوارج لا يكفرون ، وكذلك القدرية وجماهير المعتزلة وسائر أهل الأهواء)[3] اهـ .

وقد كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه لا يكفّر الخوارج الذين كفّروه وٱستباحوا دمه ودماء المسلمين[4] ، بل كان يناظرهم وينصح لهم ، وبعث إليهم عبد الله بن عباس فناظرهم ثلاثة أيام وردّ عليهم ما توهموه من الشبهة فأفحمهم ، فرجع منهم أربعة آلاف ٱنقادوا للحق وتابوا فخلّىٰ سبيلهم ، وأما من أبىٰ وتمرّد . . فقاتلهم وقتلهم قتلاً ذريعاً .

قال عبد القاهر البغدادي في « الفَرق بين الفِرق » : (قال علي لأصحابه : قاتلوهم . . فوالذي نفسي بيده ؛ لا يقتل منا عشرة ، ولا ينجو عشرة منهم . فقتل من أصحاب علي يومئذ تسعة ، ولم يفلت من الخوارج غير تسعة أنفس)[5] .

---

(١) « فتح الباري » (١٦/ ١٩٢) .

(٢) « شرح مسلم » للنووي (٢/ ٦٦) .

(٣) « شرح مسلم » للنووي (٧/ ٢٢٥) .

(٤) فقد روى ٱبن كثير في « البداية والنهاية » (٧/ ٢٨٢) : أنه سُئِل علي كرم الله وجهه عن أهل النهروان ـ أي : الخوارج ـ أمشركون هم ؟ ، فقال : (من الشرك فروا) ، قيل : (أفمنافقون ؟) ، قال : (إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً) اهـ .

(٥) « الفَرق بين الفِرق » (ص٧٦ ـ ٧٧) .

وفي « الكامل » لابن الأثير : (أن علياً أخذ ما في عسكرهم من شيء ، فأما السلاح والدواب وما شهر عليه ؛ فقسمه بين المسلمين ، وأما المتاع والإماء والعبيد ؛ فإنه رده علىٰ أهله حين قدم)[1] اهـ .

وكان جيش عليٍّ ثمانية وستين ألف فارس ومائتي فارس ، وجيش الخوارج قيل : كانوا اثنا عشر ألفاً ، وقيل : غير ذلك .

وسار علىٰ نَهجه مِن بعده كثير من الأئمة ، فكانوا لا يكفِّرون أهل الأهواء إلا بدليل واضح وحجة ظاهرة .

نعم ؛ من رأىٰ في المبتدعة كفراً بواحاً . . صرح به أئمة المذاهب في كتب الفقه ، فلا حرج عليه أن يكفّرهم ويوبِّخهم ، بل قد يجب ذلك في بعض الأحوال ، وقد كفَّر الإمام الشافعي رحمه الله حفصاً الفرد ، فقد روى الإمام أبو نعيم في « حلية الأولياء » بسنده عن أبي شعيب المصري قال : حضرت الشافعي وعن يمينه عبد الله ابن عبد الحكم ، وعن يساره يوسف بن عمرو بن يزيد ، وحفص الفرد حاضر ، فقال لابن عبد الحكم : (ما تقول في القرآن ؟) ، قال : (أقول : كلام الله) ، قال : (ليس إلا ؟) .

ثم سأل يوسف بن عمرو ، فقال له مثل ذلك .

فجعل الناس يومئون أن يسأل الشافعي ، فقال حفص الفرد : (يا أبا عبد الله ؛ الناس يحيلون عليك) ، قال : فقال : (دع الكلام في هٰذا) ، قالوا : فقال للشافعي : (ما تقول يا أبا عبد الله في القرآن ؟) ، قال : (أقول : القرآن كلام الله غير مخلوق) .

---

(١) « الكامل في التاريخ » (٢/ ٦٩٧) .

فناظره وتحاريا في الكلام حتىٰ كفّره الشافعي فقام حفص مغضباً ، فلقيته من الغد في سوق الدجاج بمصر ، فقال لي : (رأيت ما فعل بي الشافعي أمس ؟ كفرني !!) ، قال : ثم مضىٰ ثم رجع ، فقال : (أما إنه مع هٰذا ما أعلم إنساناً أعلم منه)[١] .

ورویٰ أبو نعيم أيضاً بسنده عن حرملة بن يحيىٰ قال : كنا عند محمد بن إدريس الشافعي ، فقال حفص الفرد ـ وكان صاحب كلام ـ : (القرآن مخلوق) ، فقال الشافعي : (كفرت)[٢] .

واعلم أن أئمة المذاهب الأربعة رحمهم الله وضعوا باباً في الفقه يبحثون فيه عن الردة وأحكامها وما يترتب عنها ، وفصلوا ذلك تفصيلاً بيناً وأكثروا فيها النقول عن الكتاب والسنة وأقوال الأئمة المستنبطين منهما ، فالفقه وحده هو مبحث الردة وما يتعلق بها[٣] .

وإن أحسن ما رأيت قد ألف في هٰذا الباب كتاب « الإعلام بقواطع الإسلام » للإمام الفقيه المحدث شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمي الشافعي رحمه الله ، فإنه أطال فيه الكلام عما يفضي إلى الردة من قول وفعل واعتقاد ، واستقصىٰ في ذلك ، وأكثر فيه النقول عن العلماء المجتهدين أئمة المذاهب وغيرهم رحمهم

---

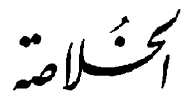
(١) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٩/ ١١٢) .

(٢) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٩/ ١١٣) .

(٣) وقد أخطأ في هٰذا اللّامذهبيون الذين يدّعون أنّهم مجتهدون وأنّهم يأخذون الأحكام من الكتاب والسنة فقط ، فيبحثون هٰذه المسألة من كتب الكلام والتفسير والحديث ، فصاروا حيارىٰ في طلبهم من غير موضعها ، فإن من طلب ضالته من غير موضعها . . فليس بواجدها ، فالله يهدينا وإياهم إلىٰ سواء السبيل .

الله ، فعليك به . . فإنه لا يستغني عنه الطالب والباحث عما يتعلق بهٰذه المسألة من التفاصيل والتحقيقات ، والله الموفق .





الخلاصة

ٱعلم أن هٰذه القصيدة الميمونة هي من أعظم المدائح النبوية وأفصحها، وأكثرها بركة وشهرة وٱنتشاراً في مختلف البلاد، وأجناس العباد؛ فلهٰذا ٱعتنىٰ بخدمتها كثير من الأئمة المختلفة مشاربُهم، المتباعدة أوطانُهم وأزمانُهم، المتغايرة علومهم وملاحظهم، ورأىٰ كل منهم في طياتها ما يَسُرُّ ناظره، ويشفي غليله، ويوافق قوانين علومه، ويناسب فنونه، ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾[1]، فوضعوا عليها شروحا كثيرة، وتخميسات وتسبيعات بديعة.

فالأثري المحدث منهم يُبْدِي ما فيها من شمائله صلى الله عليه وسلم، وآياته وإرهاصاته، وعظيم جاهه عند ربه، وعلوِّ رتبته ورفعة قدره وسني مجده، مستدلاً بالأحاديث الشريفة والآثار الواردة.

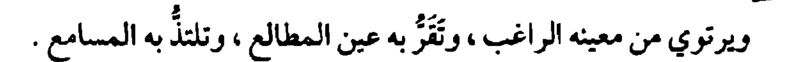
واللغوي يبحث عن معاني الألفاظ ومدلولاتِها اللغوية، **والنحوي** مبحثه الإعراب ورعاية الألفاظ من اللحن والخطإ وغير ذلك من مباحث النحاة.

والبيانيون ملحظهم اللطائف البديعية، وأنواع الاستعارات، والتورية والكناية، والتشبيه، ومحاسنُ تَركيب الكلمات، والحقيقة والمجاز العقلي واللغوي، وغير ذلك من مباحث فنون البلاغة.

وبعضهم كانوا متبحرين في فنون كثيرة، فأوسعوا المجال وخاضوا البحار، وخلطوا الطيب بالطيب، فأودعوا في شروحهم كل ما يحتاج إليه الطالب،

---

(١) البقرة: ٦٠.



ويرتوي من معينه الراغب ، وتَقَرُّ به عين المطالع ، وتلتذُّ به المسامع .

فيا لها من درة غالية ، وجوهرة سامية ، فهي الذهب الأحمر ، والبدر الأنور ، والمسك الأذفر .

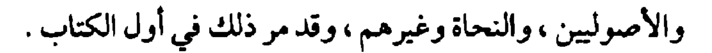
فكم من مهموم تبرك بها ، ومريض ٱستشفىٰ بها ، فنالوا مآربَهم وقُضِيت بإذن الله حوائجهم .

وكم من عالم رواها بإسناده إلىٰ مؤلفها ، كشيخ الإسلام أبي الفضل الحافظ ٱبن حجر العسقلاني ـ مؤلف « فتح الباري شرح صحيح البخاري » ـ كما ذكره في « المعجم المفهرس » ، وسلطان العلماء الإمام المجتهد عز الدين بن عبد السلام ، وغيرهما ممن ذكرناهم في مبحث من روى البردة أو حفظها .

وكم من طالب تعلّمها وحفظها ثم علّمها ، وكم من محب لرسول الله صلى الله عليه وسلم يُنشدها أو يستنشد تلذذاً بما ٱنطوت عليه من سني صفاته ، وباهر آياته ، ومحاسن أخلاقه وشريف خصاله .

فعليك أيها المحب ؛ أن لا تصغي إلىٰ إرجاف المرجفين وٱعتراض الجاهلين ، وتقوُّلات المبطلين ، وأن تسلك مسالك العلماء العاملين ، وتقتفي آثار عباد الله الصالحين .

وإياك أن تكون ممن يعرض عن الهدىٰ ، ويتيه في أودية الردىٰ و يتبع غير سبيل المؤمنين ، ويغترَّ بترهات المفسدين ، وقد علمت أن كثيراً من أكابر الحفاظ والمحدثين والفقهاء المتقنين ٱعتنوا بوضع الشروح عليها ، وبالغوا في جميل وصفها ومدح مؤلفها ، وقد بلغ عدد من وضع عليها الشروح أو خمّسها أو سبّعها نيّفا وسبعين من حفاظ الحديث وأئمة التفسير ومحققي الفقهاء



والأصوليين ، والنحاة وغيرهم ، وقد مر ذلك في أول الكتاب .

فعليك أيها العاقل المنصف ؛ أن تقتدي بهؤلاء العلماء والأجلة الفضلاء ، وإياك أن تغترّ بما يشيعه المفسدون ويذيعه المتعنتون في هٰذه الأزمنة من كتمان فضائلها وتشويه وجه محاسنها ، ونسبة الشرك إلىٰ مؤلفها الإمام البوصيري .

ومن الخطإ الجلي والغلط الفاحش أن تعتقد أن هؤلاء المذكورين وغيرَهم ممن حذا حذوهم من أئمة الإسلام وحملة الشريعة المطهرة أخطأوا كلهم وأصاب هؤلاء المرجفون والجهلة المتهتكون .

وعليك بالسواد الأعظم ومتابعة الرعيل الأول من الأئمة الأعلام ، والسادة الكرام ، ورثة سيد الأنام ، عليه من الله أفضل الصلاة والسلام ، وعلىٰ آله وأصحابه مصابيح الأنام ، وعلى التابعين لهم بإحسان إلىٰ يوم الدين ، وعلينا وعلى الوالدين والمشايخ والأحباب أجمعين .



خاتمة
في ذكر نبذ من أحوال أهل المحبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم

لما كانت هٰذه القصيدة المباركة من أقوى الأسباب المهيجة كَوَامِنَ الحب النبوي في القلوب الصافية من الأمراض الاعتقادية ، ومن أعظم مثيرات الغرام في الصدور النقية الطاهرة ، أحببت أن يكون ختام هٰذا التأليف ذكر نبذ قليلة من محبة الصالحين وٱشتياقهم إلىٰ حبيب رب العالمين وسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ؛ ليكون ذلك آخر ما تنظر إليه أبصار القراء وتسمع به آذان السامعين .

وٱعلم أن حبه صلى الله عليه وسلم من أفضل القربات وأنجح المساعي ، ومن أحبه صلى الله عليه وسلم في الدنيا حباً صادقاً . . يكون معه في القيامة .

فقد روى البخاري في « صحيحه » في باب مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن أنس بن مالك رضي الله عنه : أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الساعة ، فقال : (متى الساعة ؟) ، قال : « وماذا أعددت لها ؟ » ، قال : (لا شيء إلا أني أحب الله ورسوله) ، فقال : « أنت مع من أحببت » ، قال أنس : (فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبي صلى الله عليه وسلم : « أنت مع من أحببت ») ، قال أنس : (فأنا أحب النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر ، وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم وإن لم أعمل بمثل أعمالهم)[1] اهـ .

وروى الترمذي في « سننه » عن سعيد بن المسيب قال : قال أنس بن مالك :

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٨٨) .

قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا بني ؛ إن قدرت أن تصبح وتمسي ليس في قلبك غش لأحد . . فافعل » ، ثم قال لي : « يا بني ؛ وذلك من سنتي ، ومن أحيا سنتي . . فقد أحبني ، ومن أحبني . . كان معي في الجنة »[1] اهـ .

وقد كان لبعض أئمة السلف الصالح ومَن بعدَهم من علماء الخلف أحوال مختلفة وأذواق متنوعة عند ذكر اسمه الشريف وسماع أوصافه الجميلة ، بحسب الخواطر التي تخطر في قلوبهم ، وتختلج في صدورهم .

فمنهم : من تعتريه الهيبة والدهشة والانزعاج والاهتزاز عند سماع اسمه صلى الله عليه وسلم ، علىٰ حد قول القائل : وإني لتعروني لذكراك هزة[2] .

ومنهم : من يغلبهم الطرب والشوق والحنين إلىٰ لقائه صلى الله عليه وسلم ، فيبكون حتىٰ لا تبقىٰ في عيونهم الدموع .

ومنهم : من تملك المحبة شعوره وتختلط بشغاف قلبه فيزول إحساس بدنه ؛ كصواحب يوسف عليه السلام اللاتي قطعن أيديهن ولم يشعرن بألمهن لفرط محبتهن له عليه وعلىٰ نبينا الصلاة والسلام .

ومنهم : من يستغرق في بحار حبه صلى الله عليه وسلم ، فيختل نظام تدبيره ويحصل له نوع خفة وطيش ، وقد يتكلم بكلام مختلط كالذي وجد بغتةً راحلتَه التي أيس منها فغرق في بحر الفرح والسرور ، فقال من شدة الفرح : اللهم ؛ أنت عبدي وأنا ربك ، أخطأ من شدة الفرح[3] .

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٧٨) .

(٢) ذا صدر بيت ، وعجزه : كما انتفض العصفور بلله القطر .

(٣) رواه مسلم (٢٧٤٧) ونصه : عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه=

وفي « سير أعلام النبلاء » و« حلية الأولياء » : (أن عبد الله بن عمر رضي الله عنه كان يتبع أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وآثاره وحاله ويهتم به ، حتىٰ كان قد خيف علىٰ عقله من آهتمامه بذلك . وعن نافع قال : لو نظرت إلى آبن عمر إذا آتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم . . لقلت هٰذا مجنون . وكان إذا رآه أحد ظن به شيئاً مما يتبع آثار النبي صلى الله عليه وسلم)[1] .

ولهم عجائب وأحوال أخرىٰ بحسب بواعث الحب وأسبابه ، وكل ذلك دليل على الحب الصادق والشوق الحقيقي ، فقد قال الذهبي في « سير أعلام النبلاء » بعد كلام في زيارة قبره صلى الله عليه وسلم ما نصه : (والله ؛ ما يحصل الانزعاج لمسلم والصياح وتقبيل الجدران وكثرة البكاء إلا وهو محب لله ولرسوله ، فحبه المعيار والفارق بين أهل الجنة وأهل النار)[2] اهـ .

وفي « المواهب اللدنية » للحافظ القسطلاني : (كان أيوب السختياني : إذا ذكر النبي صلىٰ الله عنده . . بكىٰ حتىٰ نرحمه .

وكان جعفر بن محمد : كثير الدعابة والتبسم ، وإذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم . . آصفرّ لونه .

وكان عبد الرحمن بن قاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق : إذا ذكر النبي

=وسلم : « لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان علىٰ راحلته بأرض فلاة ، فآنفلتت منه وعليها طعامه وشرابه ، فأيس منها ، فأتىٰ شجرة ، فآضطجع في ظلها قد أيس من راحلته ، فبينا هو كذلك إذا هو بِها قائمة عنده فأخذ بخطامها ، ثم قال من شدة الفرح : اللهم ؛ أنت عبدي وأنا ربك ، أخطأ من شدة الفرح » .

(١) « سير أعلام النبلاء » (٣/ ٢١٣) ، « حلية الأولياء » (١/ ٣١٠) .

(٢) « سير أعلام النبلاء » (٤/ ٤٨٤) .

صلى الله عليه وسلم . . ينظر إلىٰ لونه كأنه قد نزف[1] منه الدم ، وقد جف لسانه في فمه هيبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكان عبد الله بن الزبير : إذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم بكىٰ حتىٰ لا يبقىٰ في عينه دموع .

وكان الزهري محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن هشام : من أهنأ الناس ، فإذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم . . فكأنك ما عرفته ولا عرفك .

وكان صفوان بن سليم ـ بضم السين ـ : من المتعبدين المجتهدين ، فإذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم . . بكىٰ ، فلا يزال يبكي حتىٰ يقوم الناس عنه ويتركوه .

وكان قتادة : إذا سمع الحديث يقرأ عنده . . أخذه البكاء والعويل)[2] .

وفي « الشفاء » للقاضي عياض : (قال مصعب بن عبد الله : كان الإمام مالك إذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم . . يتغير لونه وينحني حتىٰ يصعب ذلك علىٰ جلسائه ، فقيل له يوماً في ذلك : فقال : لو رأيتم ما رأيت لما أنكرتم عليّ ما ترون ، ولقد كنت أرىٰ محمد بن المنكدر ـ وكان سيد القراء ـ لا تكاد تسئله عن حديث أبداً إلا يبكي حتىٰ نرحمه .

ولقد كنت آتي عامر بن عبد الله بن الزبير ، فإذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم . . بكىٰ حتىٰ لا يبقىٰ في عينيه دموعه)[3] .

---

(١) قوله (قد نزف) : بضم النون وكسر الزاي ، أي : سال عنه الدم ولم يبق منه شيء .

(٢) « المواهب اللدنية » (٣/ ٣٠٥ـ ٣٠٦) .

(٣) « الشفاء » (ص٥٢١ ـ ٥٢٢) .

وروى البيهقي في « المدخل إلى السنن الكبرىٰ » عن عمر بن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر قال : سمعت أبي يقول : (ما ذكر ٱبنُ عمر رسولَ الله صلى الله عليه وسلم إلا بكىٰ ، ولا مر علىٰ ربعهم إلا غمض عينيه)[1] .

وعن عبدة بنت خالد بن معدان قالت : (ما كان خالد يأوي إلىٰ فراش إلا وهو يذكر من شوقه إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإلىٰ أصحابه من المهاجرين والأنصار ، يسميهم ويقول : هم أصلي وفصلي ، وإليهم يحن قلبي ، طال شوقي إليهم ، فٱجعل رب قبضي إليك حتىٰ يغلبه النوم) .

وروي عن أبي بكر رضي الله عنه أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم : (والذي بعثك بالحق ؛ لإسلام أبي طالب كان أقر بعيني من إسلامه ـ يعني : أباه أبا قحافة ـ ، وذلك إن إسلام أبي طالب كان أقر لعينك) .

وعن عمر بن الخطاب قال للعباس رضي الله عنه : (أن تسلم أحب إلي من أن يسلم الخطاب ، لأن ذلك أحب إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم)[2] .

وعن زيد بن أسلم رضي الله عنه خرج عمر رضي الله عنه ليلة يحرس فرأىٰ مصباحا في بيت عجوز تنفش صوفاً وتقول :

علىٰ محمد صلاة الأبرار صلىٰ عليه الطيبون الأخيار

قد كنت قواماً بكا بالأسحار يا ليت شعري والمنايا أطوار

هل تجمعني وحبيبي الدار[3]

(١) « المدخل إلى السنن الكبرىٰ » (ص١٤٨) .

(٢) « الشفاء » (ص٤٩٦ ـ ٤٩٧) .

(٣) الأبيات من بحر السريع المجزو .

فجلس عمر يبكي .

ويروىٰ أن ٱمرأة قالت لعائشة رضي الله عنها : (ٱكشفي لي قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم) ، فكشفته لها ، فبكت حتىٰ ماتت[1] .

وقد أجاد القائل :

مـن يـمـت فـي حـبـه نـال كـل المطلب

وعن ٱبن إسحاق أن ٱمرأة من الأنصار قتل أبوها وأخوها وزوجها يوم أُحُد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : (ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟) ، قالوا : (خيراً ، هو بحمد الله كما تحبين) ، قالت : (أرنيه حتىٰ أنظر إليه) ، فلما رأته قالت : (كل مصيبة بعدك جلل)[2] .

وفي « سير أعلام النبلاء » للحافظ الذهبي : أن عبد الوهاب المدني قال : بلغني أن رجلاً دخل علىٰ معاوية ، فقال : مررت بالمدينة فإذا أبو هريرة جالس في المسجد حوله حلقة يحدثهم ، فقال : حدثني خليلي أبو القاسم صلى الله عليه وسلم[3] ثم ٱستعبر فبكىٰ ، ثم عاد فقال : حدثني خليلي صلى الله عليه

---

(١) « الشفاء » (ص٤٩٦ـ٤٩٧) .

(٢) « الشفاء » (ص٤٩٧) .

(٣) قال الإمام السبكي في « السيف المسلول علىٰ من سب الرسول صلى الله عليه وسلم » (ص٥٠٨) : (وكنيته صلى الله عليه وسلم المشهورة : أبو القاسم ، وقد كني أيضاً بأبي الأرامل ، وقيل : كنيته أبو القاسم ؛ لأنه يقسم الجنة بين الخلق يوم القيامة) اهـ .
وقال إياد أحمد الغوج في تعليقه علىٰ هٰذا الكتاب : (حكاه السيوطي عن بعضهم في « الرياض الأنيقة في شرح أسماء خير الخليقة » (ص٢٧٣) ، ثم قال : والذي جزم به الجمهور منهم أهل السير أنه إنما كني بٱبنه القاسم) اهـ .

وسلم نبي الله أبو القاسم ، ثم آستعبر فبكي ، ثم قام)[1] .

وسئل علي بن أبي طالب رضي الله عنه : (كيف كان حبكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ؟) ، قال : (كان والله أحب إلينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا ، ومن الماء البارد على الظمأ) .

وبالجملة : كان الصالحون من السلف والخلف معروفين بمحبته صلى الله عليه وسلم ، وكان للصحابة رضي الله عنهم الحظ الأوفر والنصيب الكامل منها ، فقد ملأ حبه صلى الله عليه وسلم قلوبهم ولم يترك فيها فراغاً ، وكانوا كما قال القائل :

تملّك بعض حبك كل قلبي فإن ترد الزيادة هات قلبا

وآعلم أن المحبة والشوق إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن خاصاً بالعقلاء ، بل ما زالت البهائم والجمادات ترىٰ فيها آثار المحبة وأمارات الشوق إليه صلى الله عليه وسلم .

فمن ذلك جبل أحد والجذع الذي كان عليه الصلاة والسلام يخطب عليه ، روى البخاري في باب غزوة تبوك عن أبي حميد قال : أقبلنا مع النبي صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك ، حتىٰ إذا أشرفنا على المدينة قال : « هٰذه طابة ، وهٰذا أُحد ، جبل يحبنا ونحبه » ، ورواه مسلم في آخر الحج في باب فضل المدينة عن أنس بن مالك[2] ، وفي باب معجزات النبي صلى الله عليه وسلم[3] .

---

(١) « تاريخ دمشق » (٦٧/ ٣٦٤) .

(٢) « صحيح مسلم » (١٣٦٥) .

(٣) أخرجه البخاري (٤٤٢٢) ، ومسلم (١٣٩٢) .

قال النووي في « شرح مسلم » : (الصحيح المختار : أن معنىٰ هٰذا الحديث أن أُحداً يحبنا حقيقة ، جعل الله تعالىٰ فيه تمييزاً يحب به كما قال سبحانه وتعالىٰ : ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾[1] ، وكما حن الجذع اليابس ، وكما سبح الحصىٰ إلىٰ آخر ما قاله)[2] .

وروى البخاري عن ٱبن عمر رضي الله عنهما : (كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب إلىٰ جذع ، فلما ٱتخذ المنبر . . تحول إليه ، فحن الجذع فأتاه فمسح يده عليه)[3] .

وفي « المواهب اللدنية » للحافظ القسطلاني : (روىٰ أبو يعلى الموصلي عن أنس بن مالك بلفظ : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يوم الجمعة يسند ظهره إلىٰ جذع منصوب في المسجد يخطب الناس ، فجاءه رومي فقال : (ألا أصنع لك شيئاً تقعد عليه كأنك قائم ؟) ، فصنع منبراً له درجتان ، ويقعد على الثالثة ، فلما قعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر جأر الجذع كجؤار الثور ، وٱرتج المسجد لجؤاره حزناً علىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنزل إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من المنبر ، فٱلتزمه وهو يخور ، فلما ٱلتزمه سكت ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والذي نفس محمد بيده ؛ لو لم ألتزمه . . لما زال هكذا حتىٰ تقوم الساعة حزناً علىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم » ، فأمره به صلى الله عليه وسلم فدفن) ؛ ورواه الترمذي وقال : (صحيح غريب) .

---

(١) البقرة : ٧٤ .

(٢) « شرح مسلم » للنووي (٩/ ١٩٧ ـ ١٩٨) .

(٣) أخرجه البخاري (٣٥٨٣) .

ورواه أبو القاسم البغوي وزاد فيه : (فكان الحسن البصري إذا حدث بهٰذا الحديث بكىٰ ، ثم قال : يا عباد الله ؛ الخشبة تحن إلىٰ رسول الله شوقاً إليه لمكانه من الله ، فأنتم أحق أن تشتاقوا إلىٰ لقائه)[1] ، وفي « تفسير ٱبن كثير » في آخر سورة الحشر مثل هٰذا[2] .

وباب المحبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمحبين له باب واسع ، وقد ذكرت جملة منه في « إقناع المؤمنين بتبرك الصالحين » ، وقد نقلت أكثر ما ذكرته هنا منه ، فنسأل الله سبحانه وتعالىٰ أن يرزقنا وأحبتنا محبته صلى الله عليه وسلم ومتابعته ومعيته في الآخرة ؛ إنه برٌّ رؤف جواد كريم .

وهٰذا آخر ما قصدت كتابته في محاسن البردة وما يتعلق بذلك ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

وأسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يتقبل مني بفضله ولطفه ما كتبته من ذكر بعض فضائل هٰذه القصيدة المباركة ، ويعفو زللي وهفواتي بجوده وإحسانه وكرمه وامتنانه .

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك ، عملت سوء وظلمت نفسي ، فٱغفر لي ؛ فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت .

وصلى الله وسلم وشرف وبارك علىٰ سيدنا وحبيبنا محمد وعلىٰ آله وأصحابه وعباد الله الصالحين ، وعلىٰ سائر المؤمنين والمؤمنات ، الأحياء منهم والأموات ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

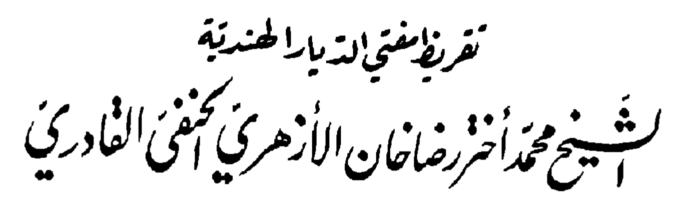
---

(١) « المواهب اللدنية » (٢/ ٥٤٦ ـ ٥٤٧) .

(٢) ٱنظر : « تفسير ٱبن كثير » (٨/ ٧٩) .

وقد فرغت عن مسودته ببلدة عَيْل طَيْرْ يوم الأحد الثالث عشر من شهر جمادى الأخرة سنة (١٤٣٠هـ) ، وقد تَمَّ تبييضه أول محرم سنة (١٤٣٢هـ) ، والحمد لله أولاً وآخراً ، وصلى الله علىٰ سيدنا وحبيبنا محمد وعلىٰ آله وأصحابه الكرام أجمعين .





بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين ، الملك الحقّ المبين .

والصّلاة والسّلام علىٰ سيّد المرسلين ، الصادق الوعد الأمين ، وعلىٰ آله سفن النجا ، وصحبه نجوم الهدى الغرّ الميامين ، ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين .

أمّا بعد :

فقد بعث إليّ الأديب الأريب الحسيب النسيب السيّد الشيخ عثمان ٱبن عمر حِدِغ الشافعي الكتاب المستطاب « التحفة في نشر محاسن البردة » ، وأمرني أن أقرّظه ، وهو كٱسمه تحفة لأولي الألباب .

وقد تكفّل السيّد السند بما أنبأ به عنوان الكتاب من نشر محاسن « البردة » ، وترغيب أهل المودّة في الاعتناء بها ومداومة قراءة « البردة » ، وقام بالذبّ عن الساحة النبوية أحسن قيام ، وردّ مطاعن الطاعنين وألزمهم الحجّة ، وأوضح لأهل المحبّة أهل السنّة والجماعة المحجّة .

فجزاه الله تعالىٰ أحسن الجزاء ، ونفع بعلومه المسلمين ؛ إنّه تعالىٰ علىٰ ما يشاء قدير ، وبالإجابة جدير .

وصلى الله تعالىٰ على السيّد الفرد العلم ما أطرب العيس حادي العيس بالنغم، وآله وصحبه مصابيح الظلم، ومن تبعهم في الطريق الأمم.

قاله بفمه وأمر برقمه

مُحَمَّد أَخْتَر رِضَا القَادِرِيّ الأَزْهَرِيّ

بريلي - الهند

(١٨) صفر المظفر (١٤٣٧هـ)



فهرس المصادر والمراجع

- الآداب المرضية لسالك طريق الصوفية ، للبوزيدي ؛ الإمام العارف بالله محمد بن أحمد البوزيدي المستغنامي (ت ١٢٢٩هـ) ، تحقيق بسام محمد بارود ، دار الفتح ، عمان ، الأردن .

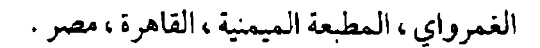
- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصىٰ ، للناصري ؛ الشيخ خالد أبي العباس أحمد بن خالد الناصري (ت ١٣١٥هـ) ، تحقيق وتعليق الأستاذ جعفر الناصري والأستاذ محمد الناصري ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، المغرب .

- الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، لابن عبد البر ؛ الإمام أبي عمرو يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر (ت ٤٦٣هـ) ، تحقيق علي محمد البجاوي ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان .

- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ، لابن بلبان ؛ الأمير أبي الحسن علاء الدين علي بن بَلْبان الحنفي (ت ٧٣٩هـ) ، تحقيق شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان .

- الأذكار المنتخبة من كلام سيدي الأبرار ، للنووي ؛ الإمام الحافظ محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي الشافعي (ت ٦٧٦هـ) ، دار المنهاج ، جدة ، السعودية .

- أسنى المطالب في شرح روض الطالب ، للأنصاري ؛ شيخ الإسلام أبي يحيىٰ زكريا بن محمد الأنصاري الشافعي (ت ٩٢٦هـ) ، تحقيق محمد الزهري



الغمرواي ، المطبعة الميمنية ، القاهرة ، مصر .

ـ الإصابة في تمييز الصحابة ، لابن حجر العسقلاني ؛ الإمام الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي الكناني العسقلاني الشافعي (ت ٨٥٢هـ) ، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

ـ الأعلام ، للزركلي ؛ الأستاذ المؤرخ خير الدين ٱبن محمود الزركلي (ت ١٣٩٦هـ) ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان .

ـ الاقتصاد في الاعتقاد ، للغزالي ؛ حجة الإسلام وبركة الأنام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي الشافعي (ت ٥٠٥هـ) ، تحقيق أنس محمد عدنان الشرفاوي ، دار المنهاج ، جدة ، السعودية .

ـ إنباء الغمر بأبناء العمر ، لابن حجر العسقلاني ؛ الإمام الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي الكناني العسقلاني الشافعي (ت ٨٥٢هـ) ، تحقيق الدكتور حسن حبشي ، المجلس الأعلىٰ للشئون الإسلامية ، القاهرة ، مصر .

ـ الإيضاح في مناسك الحج ، للنووي ؛ الإمام الحافظ محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي الشافعي (ت ٦٧٦هـ) ، مع حاشية العلامة ٱبن حجر الهيتمي ، مراجعة الشيخ عبد الرحيم جمال الدين جهري ، مكتبة الأسدي ، مكة المكرمة ، السعودية .

ـ البداية والنهاية ، لابن كثير ؛ الإمام الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي الشافعي (ت ٧٧٤هـ) ، تحقيق أحمد جاد ، دار الحديث ، القاهرة ، مصر .

- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، **للشوكاني** ؛ القاضي بدر الدين محمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

- البلسم المريح من شفاء القلب الجريح ، **لابن عاشور** ؛ الشيخ العلامة محمد الطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣هـ) ، اختصار وتعليق وتهذيب الدكتور عمر عبد الله كامل ، دار المصطفىٰ .

- بلوغ المأمول في الاحتفاء والاحتفال بمولد الرسول ، **للحميري** ؛ الشيخ عيسى بن عبد الله بن محمد بن مانع الحميري ، دائرة الأوقاف والشئون الإسلامية ، دبي .

- تاج العروس من جواهر القاموس ، **للمرتضى الزبيدي** ؛ الإمام محب الدين أبي الفيض محمد بن محمد الحسيني الزبيدي الحنفي (ت ١٢٠٥هـ) ، تحقيق علي شيري ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان .

- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، **للذهبي** ؛ الإمام الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي الشافعي (ت ٧٤٨هـ) ، تحقيق الدكتور عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان .

- تاريخ بغداد ، **للخطيب البغدادي** ؛ الإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ) ، تحقيق مصطفىٰ عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

- تاريخ مدينة دمشق ، **لابن عساكر** ؛ الإمام الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن الدمشقي (ت ٥٧١هـ) ، تحقيق محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة

العمروي ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان .

- تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري ، **لابن عساكر** ؛ الإمام الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن الدمشقي (ت ٥٧١هـ) ، تحقيق أنس محمد عدنان الشرفاوي ، دار التقوىٰ ، دمشق ، سورية .

- تحفة المحتاج بشرح المنهاج ، **لابن حجر الهيتمي** ؛ شيخ الإسلام الإمام العلامة أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي الشافعي المكي (ت ٩٧٤هـ) ، مطبعة مصطفىٰ محمد ، القاهرة ، مصر .

- الترغيب والترهيب ، **للمنذري** ؛ الإمام الحافظ زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذري (ت ٦٥٦هـ) ، تحقيق إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

- تفسير القرآن العظيم ، **لابن كثير** ؛ الإمام الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي الشافعي (ت ٧٧٤هـ) ، تحقيق سامي بن محمد السلامة ، دار طيبة ، بيروت ، لبنان .

- تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير ، **لابن حجر العسقلاني** ؛ الإمام الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي الكناني العسقلاني الشافعي (ت ٨٥٢هـ) ، تحقيق أبي عاصم حسن بن عباس بن قطب ، مؤسسة قرطبة ، القاهرة ، مصر .

- التلخيص شرح الجامع الصحيح ، **للنووي** ؛ الإمام الحافظ محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي الشافعي (ت ٦٧٦هـ) ، تحقيق نظر محمد الفاريابي ، دار طيبة ، الرياض ، السعودية .

- تهذيب الأسماء واللغات ، للنووي ؛ الإمام الحافظ محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي الشافعي (ت ٦٧٦هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

- تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، للمزي ؛ الإمام الحافظ جمال الدين أبي الحجاج يوسف بن عبد الرحمن المزي (ت ٧٤٢هـ) ، تحقيق الدكتور بشار عواد معروف ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان .

- الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ؛ الإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي الأنصاري (ت ٦٧١هـ) ، تحقيق عماد زكي البارودي وخيري سعيد ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة ، مصر .

- الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير ، للسيوطي ؛ الإمام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر الخضيري السيوطي الشافعي (ت ٩١١هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

- الجوهر المنظم في زيارة القبر الشريف النبوي المكرم المعظم ، لابن حجر الهيتمي ؛ شيخ الإسلام الإمام العلامة أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي الشافعي المكي (ت ٩٧٤هـ) ، المطبعة الخيرية ، القاهرة ، مصر .

- حاشية الإسعاد علىٰ بانت سعاد ، للباجوري ؛ شيخ الإسلام العلامة الفقيه إبراهيم بن محمد الباجوري الشافعي الأزهري (ت ١٢٧٧هـ) ، مكتبة البخاري ، كانو ، نيجيريا .

- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، للسيوطي ؛ الإمام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر الخضيري السيوطي الشافعي (ت ٩١١هـ) ،

تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان .

- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، لأبي نعيم الأصفهاني ؛ الإمام الحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني (ت ٤٣٠هـ) ، طبعة مصورة من نسخة مكتبة الخانجي بالقاهرة ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان .

- الدرر السنية في الرد على الوهابية ، لدحلان ؛ مفتي الشافعية بمكة الإمام شهاب الدين أبي العباس أحمد بن زيني دحلان الحسني المكي الشافعي (ت ١٣٠٤هـ) ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، مصر .

- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، لابن حجر العسقلاني ؛ الإمام الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي الكناني العسقلاني الشافعي (ت ٨٥٢هـ) ، تحقيق عبد الوارث محمد علي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

- الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، للسيوطي ؛ الإمام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر الخضيري السيوطي الشافعي (ت ٩١١هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان .

- الذخر والعدة في شرح البردة ، لابن علان ؛ الإمام الحافظ محمد علي بن محمد علان الصديقي المكي (ت ١٠٥٧هـ) ، تحقيق الدكتور أحمد طوران آرسلان ، أروقة ، عمان ، الأردن .

- الرد المحكم المتين على كتاب القول المبين ، للغماري ؛ العلامة المحدث أبي الفضل عبد الله بن الصديق الغماري الحسيني (ت ١٤١٣هـ) ، مطبعة العهد الجديد ، القاهرة ، مصر .

- الرياض الأنيقة في شرح أسماء خير الخليقة ، للسيوطي ؛ الإمام الحافظ جلال

الدين عبد الرحمن بن أبي بكر الخضيري السيوطي الشافعي (ت ٩١١هـ) ، تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

- الزهد الكبير ، للبيهقي ؛ الإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي الشافعي (ت ٤٥٨هـ) ، تحقيق عامر أحمد حيدر ، دار ابن كثير ، بيروت ، لبنان .

- سنن أبي داود ، لأبي داود ؛ الإمام الحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥هـ) ، تحقيق محمد عوامة ، دار القبلة ، جدة ، السعودية .

- سنن الترمذي ، للترمذي ؛ الإمام الحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت ٢٧٩هـ) ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

- السنن الكبرىٰ ، للنسائي ؛ الإمام الحافظ أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣هـ) ، تحقيق حسن عبد المنعم شلبي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان .

- السنن الكبير ، للبيهقي ؛ الإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي الشافعي (ت ٤٥٨هـ) ، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي .

- سنن النسائي بشرح الحافظ السيوطي وحاشية السندي ، للنسائي ؛ الإمام الحافظ أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣هـ) ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .

- سير أعلام النبلاء ، للذهبي ؛ الإمام الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد

بن عثمان الذهبي الشافعي (ت ٧٤٨هـ) ، تحقيق جماعة من المحققين ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان .

ـ السيرة الحلبية ، للحلبي ؛ العلامة أبي الفرج علي بن برهان الدين الحلبي الشافعي (ت ١٠٤٤هـ) ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .

ـ السيف المسلول علىٰ من سب الرسول صلى الله عليه وسلم ، لتقي الدين السبكي ؛ الإمام تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي الشافعي (ت ٧٥٦هـ) ، تحقيق إياد أحمد الغوج ، دار الفتح ، عمان ، الأردن .

ـ الشامل في فروع الشافعية (من أول باب صيام التطوع والخروج منه قبل إتمامه إلىٰ آخر كتاب الحج) ، لابن الصباغ ؛ الإمام الفقيه أبي النصر عبد السيد بن محمد البغدادي الشافعي (ت ٤٧٧هـ) ، إعداد سلطان بن على آل سلطان ، دراسة لنيل الدكتوراه من كلية الشريعة / الجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة ، السعودية .

ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، لابن العماد الحنبلي ؛ الإمام شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ) ، تحقيق محمود الأرناؤوط ، دار ابن كثير ، بيروت ، لبنان .

ـ شرح البردة ، للباجوري ؛ شيخ الإسلام العلامة الفقيه إبراهيم بن محمد الباجوري الشافعي الأزهري (ت ١٢٧٧هـ) ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، مصر .

ـ شرح الحكم العطائية ، للشرقاوي ؛ الشيخ عبد الله بن حجازي الشرقاوي الأزهري (ت ١٢٢٧هـ) ، مكتبة أم القرىٰ ، القاهرة ، مصر .

- شرح موطأ الإمام مالك ، للزرقاني ؛ الإمام المحدث محمد بن عبد الباقي الزرقاني المالكي (ت ١١٢٢هـ) ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الحديث ، القاهرة ، مصر .

- شرح البخاري ، لابن بطال ؛ الإمام ابي الحسن علي بن خلف البكري القرطبي المالكي (ت ٤٤٩هـ) ، تحقيق أبي تميم ياسر بن إبراهيم ، مكتبة الرشد ، القاهرة ، مصر .

- شرح مشكل الآثار ، للطحاوي ؛ الإمام الحافظ أبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي الحنفي (ت ٣٢١هـ) ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان .

- الشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ صلى الله عليه وسلم ، للقاضي عياض ؛ الإمام القاضي أبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي (ت ٥٤٤هـ) ، تحقيق عبده علي كوشك ، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم ، دبي .

- شفاء السقام في زيارة خير الأنام صلى الله عليه وسلم ، لتقي الدين السبكي ؛ الإمام تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي الشافعي (ت ٧٥٦هـ) ، لجنة التراث العربي ، بيروت ، لبنان .

- الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية ، لطاشكبري زاده ؛ العلامة المؤرخ عصام الدين أبي الخير أحمد بن مصطفى بن خليل طاشكبري زاده (ت ٩٦٨هـ) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان .

- شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق صلى الله عليه وسلم ، للنبهاني ؛ العلامة القاضي أبي المحاسن يوسف بن إسماعيل النبهاني الحيفاوي



الشافعي (ت ١٣٥٠هـ) ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، مصر .

ـ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، للجوهري ؛ الإمام أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٢١هـ) ، تحقيق الدكتور محمد محمد تامر وآخرين ، دار الحديث ، القاهرة ، مصر .

ـ صحيح البخاري ، المسمى : « الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلّم وسننه وأيامه » ، للبخاري ؛ إمام الدنيا أبي عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي البخاري (ت ٢٥٦هـ) ، مركز أبي الحسن الندوي ، لكنو ، الهند .

ـ صحيح مسلم ، المسمى : « الجامع الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم » ، مع شرح الإمام النووي ، لمسلم ؛ حافظ الدنيا أبي الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ) ، مؤسسة قرطبة ، القاهرة ، مصر .

ـ صفحة الصفوة ، لابن الجوزي ؛ الإمام الحافظ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي التيمي البكري (ت ٥٩٧هـ) ، تحقيق محمود فاخوري ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .

ـ صيد الخاطر ، لابن الجوزي ؛ الإمام الحافظ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي التيمي البكري (ت ٥٩٧هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

ـ الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، للسخاوي ؛ الإمام شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت ٩٠٢هـ) ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان .

- طبقات الشافعية الكبرىٰ ، لتاج الدين السبكي ؛ الإمام تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي الشافعي (ت ٧٧١هـ) ، تحقيق محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو ، دار الإحياء الكتب العربية ، بيروت ، لبنان .

- الطبقات الكبرىٰ ، المسمىٰ : « لواقح الأنوار في طبقات الأخيار » ، للشعراني ؛ الإمام العارف بالله أبي المواهب عبد الوهاب بن أحمد الشعراني (ت ٩٧٣هـ) ، تحقيق سليمان صالح ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .

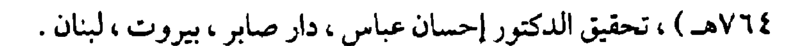
- العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، لتقي الدين الفاسي ؛ الإمام تقي الدين محمد بن أحمد الحسني الفاسي المكي (ت ٨٣٢هـ) ، تحقيق محمد حامد الفقي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان .

- العمدة في شرح البردة ، لابن حجر الهيتمي ؛ شيخ الإسلام الإمام العلامة أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي الشافعي المكي (ت ٩٧٤هـ) ، تحقيق بسام محمد بارود ، دار الفتح ، عمان ، الأردن .

- عمل اليوم والليلة ، لابن السني ؛ الإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن محمد بن إسحاق الدينوري الشافعي (ت ٣٦٤هـ) ، تحقيق الدكتور عبد الرحمن كوثر البرني ، شركة دار الأرقم بن الأرقم ، بيروت ، لبنان .

- فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، لابن حجر العسقلاني ؛ الإمام الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي الكناني العسقلاني الشافعي (ت ٨٥٢هـ) ، دار طيبة ، الرياض ، السعودية .

- فوات الوفيات ، للكتبي ؛ المؤرخ صلاح الدين محمد بن شاكر الكتبي (ت



٧٦٤هـ) ، تحقيق الدكتور إحسان عباس ، دار صابر ، بيروت ، لبنان .

- القاموس المحيط ، للفيروزآبادي ؛ الإمام اللغوي مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي (ت ٨١٧هـ) ، تحقيق أنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد ، دار الحديث ، القاهرة ، مصر .

- الكامل في التاريخ ، لابن الأثير ؛ الإمام المؤرخ عز الدين علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الجزري الشافعي (ت ٦٣٠هـ) ، تحقيق الدكتور عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان .

- كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما ٱشتهر من الأحاديث علىٰ ألسنة الناس ، للعجلوني ؛ العلامة المفسر المحدث إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي الشافعي (ت ١١٦٢هـ) ، دون تحديد مكان الطبع .

- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، لحاجي خليفة ؛ العلامة المؤرخ مصطفى بن عبد الله الحنفي (ت ١٠٦٨هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان .

- كيفية الوصول لرؤية سيدنا الرسول صلى الله عليه وسلم ، لباعمر ؛ الشيخ حسن محمد شداد بن عمر باعمر الحضرمي ، دون تحديد مكان الطبع .

- لسان العرب ، لابن منظور ؛ العلامة الأديب اللغوي جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم الأنصاري (ت ٧١١هـ) ، دار الحديث ، القاهرة ، مصر .

- لطائف المنن ، لابن عطاء الله ؛ الإمام العارف بالله تاج الدين أبي الفضل أحمد بن محمد السكندري المالكي الشاذلي (ت ٧٠٩هـ) ، تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر .

ـ الطبقات الوسطىٰ، المسمىٰ: «لواقح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية»، للشعراني؛ الإمام العارف بالله أبي المواهب عبد الوهاب بن أحمد الشعراني (ت ٩٧٣هـ)، تحقيق محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ـ مختار الصحاح، للشيخ الإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مكتبة لبنان.

ـ المدخل إلى السنن الكبرىٰ، للبيهقي؛ الإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي الشافعي (ت ٤٥٨هـ)، تحقبق محمد ضياء الرحمن الأعظمي، دار الخلفاء، الصباحية، الكويت.

ـ المدهش، لابن الجوزي؛ الإمام الحافظ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي التيمي البكري (ت ٥٩٧هـ)، تحقيق الدكتور مروان قباني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ـ المستدرك على الصحيحين، للحاكم النيسابوري؛ الإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥هـ)، تحقيق أبي عبد الله عبد السلام بن محمد بن عمر علوش، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

ـ المصنف، لابن أبي شيبة؛ الإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة (ت ٢٣٥هـ)، تحقيق محمد عوامة، دار قرطبة، بيروت، لبنان.

ـ المعجم الأوسط، للطبراني؛ الإمام الحافظ أبي القاسم سليمان ابن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد ومحمد عبد المحسن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، مصر.

ـ المعجم الكبير ، للطبراني ؛ الإمام الحافظ أبي القاسم سليمان ابن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠هـ) ، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، مصر .

ـ المعجم المؤسس للمعجم المفهرس ، لابن حجر العسقلاني ؛ الإمام الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي الكناني العسقلاني الشافعي (ت ٨٥٢هـ) ، تحقيق الدكتور يوسف عبد الرحمن المرعشلي ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .

ـ المعجم المفهرس ، لابن حجر العسقلاني ؛ الإمام الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي الكناني العسقلاني الشافعي (ت ٨٥٢هـ) ، تحقيق محمد شكور محمود الحاجي إمرير المياديني ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان .

ـ مغني المحتاج إلىٰ معرفة معاني ألفاظ المنهاج ، للخطيب الشربيني ؛ العلامة الخطيب شمس الدين محمد بن محمد الشربيني الشافعي (ت ٩٧٧هـ) ، تحقيق علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

ـ المغني ، لابن قدامة المقدسي ؛ الإمام موفق الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله المقدسي الحنبلي (ت ٦٢٠هـ) ، تحقيق الدكتور عبد الله ابن عبد المحسن التركي والدكتور عبد الفتاح محمد الحلو ، دار عالم الكتب ، الرياض ، السعودية .

ـ المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة ، للسخاوي ؛ الإمام شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت

٩٠٢هـ) ، تحقيق محمد عثمان الخشت ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان .

- المنح المكية في شرح الهمزية ، لابن حجر الهيتمي ؛ شيخ الإسلام الإمام العلامة أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي الشافعي المكي (ت ٩٧٤هـ) ، تحقيق بسام محمد بارود ، دار المنهاج ، جدة ، السعودية .

- منتهى السول علىٰ وسائل الوصول إلىٰ شمائل الرسول ، للحجي ؛ الشيخ المحدث عبد الله بن سعيد اللحجي المكي (ت ١٤١٠هـ) ، دار المنهاج ، جدة ، السعودية .

- الموسوعة اليوسفية في بيان أدلة الصوفية ، لخطار ؛ الشيخ يوسف خطار محمد ، مكتبة دار الألباب ، دمشق ، سورية .

- الموطأ ، لمالك بن أنس ؛ إمام دار الهجرة أبي عبد الله مالك بن أنس الأصبحي الحميري المدني (ت ١٧٩هـ) ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .

- المواهب اللدنية بالمنح المحمدية ، للقسطلاني ؛ الإمام الحافظ شهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد القسطلاني الشافعي (ت ٦٨٦هـ) ، تحقيق صالح أحمد الشامي ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، لبنان .

- المواهب المحمدية شرح الشمائل الترمذية ، لبالجمل ؛ الشيخ سليمان بن عمر بالجمل العجيلي الأزهري الشافعي (ت ١٢٠٤هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

- نحت حديد الباطل وبرده بأدلة الحق الذابة عن صاحب البردة ، لداود

الخالدي ؛ العلامة الشيخ داود بن سليمان النقشبندي الخالدي الشافعي (ت ١٢٩٩هـ) ، تحقيق عبد الرزاق النقشبندي الخالدي ، دار جوامع الكلم ، القاهرة ، مصر .

- النور السافر عن أخبار القرن العاشر ، للعيدروس ؛ العلامة عبد القادر بن شيخ بن عبد الله العيدروس (ت ١٠٣٨هـ) ، تحقيق محمود الأرناؤوط وآخرين ، دار صابر ، بيروت ، لبنان .

- الوافي بالوفيات ، للصفدي ؛ العلامة صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي الشافعي (ت ٧٦٤هـ) ، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفىٰ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .



فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٧
ترجمة الإمام البوصيري رحمه الله	١٠
أسماء هذه القصيدة	١٩
عدد أبيات قصيدة البردة	٢٠
فصل فيمن شرح البردة أو خمّسها أو سبّعها	٢٤
أقوال العلماء في قصيدة البردة	٣٩
المرائي	٤٥
ملاحظة في أن رؤيته صلى الله عليه وسلم حق	٥٣
ذكر من روى البردة أو سمعها من الأئمة الأعلام أو حفظها عن ظهر القلب	٥٩
فصل في بعض خواص البردة	٦٣
فصل في رد من طعن في البردة الشريفة	٧٤
البحث عن اعتراضهم على قوله : أقسمت بالقمر . . . إلخ ...	٧٧
البحث عن اعتراضهم على قوله : يا أكرم الخلق . . . إلخ ..	٨٣
سروره بما قيل في حضرته صلى الله عليه وسلم من الأشعار ..	٩٥
خطاب ونداء رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موته وسائر الأموات..	٩٨

التوسل به صلى الله عليه وسلم وبغيره من الصالحين ١٠١
الأبيات التي أنشدت في حضرته صلى الله عليه وسلم ١١٨
الأبيات التي تمثل بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ١٢٢
تنبيه في الشعر ١٢٥
تأثير الشعر وتحريكه للنفوس ١٣١
البحث عن اعتراضهم على قوله : فإن من جودك . . . إلخ ... ١٣٥
البحث عن اعتراضهم على قوله : لعل رحمة ربي . . . إلخ ... ١٣٩
تنبيه في أن أعداء البوصيري أصدقاؤه حقيقةً ١٤٧
نصيحة في التحذير من تكفير أهل لا إله إلا الله ١٥٢
الخلاصة ١٧٣
خاتمة في ذكر نبذ من أحوال أهل المحبة لرسول الله ﷺ ... ١٧٦

تقريظ مفتي الديار الهندية رحمه الله ١٨٧

فهرس المصادر والمراجع ١٩١
فهرس الموضوعات ٢٠٧